المؤرخ العربي

مجلة تصدرها
الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب
بغداد - العراق

العدد الخامس والعشرون

١٩٨٤

مجلة

المؤرخ العربي

رئيس التحرير

الدكتور

مصطفى عبد القادر النجار

الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العدد الخامس والعشرون

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

مجلة تصدرها

الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب

بغداد - العراق

المحتويات :

كلمـــة العـــدد

بكل فخر نقدم الى القاريء العربي الكريم ، هذا العدد الجديـد من المؤرخ العربي مجلة المؤرخين العرب وهي حافلة بالمواضيع التاريخية العلمية ، والتي ساهم في تحريرها نخبة من المؤرخين من ذوى الفهم التاريخي والموصوفين بالروح الموضوعية والخلق العلمي المتسامي .

ان مجلة المؤرخ العربي والتي تبرز اليوم مثلا ساميا لوحدة جهـود المؤرخين العرب وصفاء ذهنيتهم التاريخية ونموذجا عاليا للسلوكية الخيرة التي اتصف بها المؤرخ العربي وبنزعته الانسانية .

ان الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب تامل ان يستمر التعاون الوثيق بينها وبين اعضاء الاتحاد في جميع انحاء الوطن العربي ويمدوها بخلاصـة نتاجهم الفكري ومن اجل تطوير وازدهـار الدراسات التاريخية لابرازها في مجلة المؤرخ العربي لتكون المرآة الصادقة للجهود المخلصة التي يقدمهـا المؤرخون العـرب .

والله ولـي التوفيـق .

هيئـة التحريـر

... « الحيـاد في التاريخ » ...

الدكتور حسين امين

الحياد من المواضيع الراهنة المهمة ، وبخاصة في وقت تستمر الاستعدادات الكبيرة لانعقاد مؤتمر دول عدم الانحياز في بغداد في الاسبوع الاول من ايلول سنة ١٩٨٢ وفي حالة استمرار الحرب بين العراق وايران حتى ايام انعقـاد المؤتمر المذكور ، تكون هناك حالة تاريخية نادرة ، حيث ان طرفي النـزاع عضوان في منظمة عدم الانحياز ، وان احداهما هي الدولة المستضيفة للمؤتمر .

والحياد في اللغة ، من حاد يحيد حيدة وحيودا وحيدودة ، أي مال عنه وعدل وحيادا جانبه .

ان الحياد ماهو الا موقف الدولة التي لاتشترك في حـرب قائمـة وتحتفظ بعلاقاتها السلمية مع كل من الفريقين المتحاربين ، وتلجأ الدول عادة لاتخاذ موقف الحياد لتجنب نفسها ويلات حرب ترى انه لامصلحة لها الدخول فيها ، ثم تلتزم مقابل ذلك بالامتناع عن تقديم المساعدة او التحيز لاي مـن الفريقين المتحاربين .

وفكرة الحياد لم تستقر في وضعها القانوني الا بعد نزاع طـال امـده لعدة قرون بين المحاربين وغير المحاربين ، فقديما كانت الدول المتحاربـة ترى من حقها ان تطلب العون من جاراتها او تفرض عليهم مد يد المساعدة لها متى

كان في مقدورها واملاء كلمتها ، اما الدول الغير المتحاربة فلم تكن تتوانى عن تقديم المساعدة للدول الصديقة التي تشتبك في الحرب دون ان تعتبر بذلك طرفا فيـــه •

ولم تكن القوات المتحاربة ترى غضاضة في الاعتداء على اقليم دولة غير مشتركة في الحرب متى رأت مصلحة لها في ذلك ، وكانت هذه الامور تبـــدو طبيعية في عهد لم تحدده او تنظم علاقات الدول فيه قواعد قانونية ثابته •

يبدو انه لما تكررت مساعدات غير المحاربين لبعض المحاربين مما انـــزل اضرارا بالجانب الاخر المحارب ، بينما كثر اعتداء المحاربين على ممتلكات غير المحاربين تعالت اصوات الجانبين بالشكوى من هذه الاحوال التي لاينظمهـــا قانون ووجدت الحاجة لان يسعى كل من الطرفين لصيانة حقوقه قبل الاخر •

ولعل اول ظاهرة لفكرة الحياد في التاريخ تبدو في معاهـــدة الحديبيـــة التي عقدت بين الرسول محمد (ص) وقريش والتي كان من نصوصها :

أ ــ ان لقريش ومحمد (ص) الحق في محالفة القبائل العربية •

ب ــ لايجوزلقريش ولا لمحمد (ص) التدخل لمصلحة حلفائهمـــا عند التنازع •

فواضح هنا ان للرسول محمد (ص) الحق في محالفة القبائل وكذلك لقريش هذا الحق ولكن على الجانبين ان يقفا موقفا حياديا عند حدوث نزاع بين حليف لمحمد (ص) وحليف لقريش • ويحدثنا التاريخ ان قريشـــا خرقت هذا البند بان ناصرت وساعدت حليفتها قبيلة بكر على قبيلة خزاعـــة حليفـــة محمد (ص) فكان ذلك سببا في قيام المسلمين بتجهيز جيش كبير لمحاربة قريش وكان من نتائج ذلك دخول المسلمين مكة فاتحين •

وقامت فكرة الحيادعلى اساس تمسك دولة او اكثر بعدم التدخل قدر

الامكان في نزاع حربي بين آخرين كما قدمنا ، والحياد قسم مهم من اقسام القانون الدولي الذي يهتم بتنظيم العلاقات الدولية زمن الحرب وعلى ذلك نشأت فكرة الحياد بمعناها القانوني المعروف لدينا الآن منذ ان انشىء القانون الدولي العام في العصور الحديثة .

ومعاهدة وستفاليا المعقودة سنة ١٦٤٨ تعتبر بداية للعهد الذي بدأ فيه الاهتمام بهذا القانون الدولي ، او هي في الواقع الاساس الذي قام عليه القانون الدولي الحديث والمبادىء التي حكمت العلاقات الدولية ما يقرب من قرن ونصف قرن من الزمان ، وعلى ذلك فالحياد وبصفته قسم من اقسام القانون الدولي لم يوجد في العصور القديمة حيث سادت الحروب بين الدول، وكانت الدول المتجاورة تشترك في الحرب وتساعدها او تساعد كل فريق دولة اخرى قريبة ، او تأتي جيوش من دولة اخرى للاشتراك في الحرب لنصرة احد الطرفين واصبحت الدول البعيدة او التي لاتعرف من اخبار هذه الحروب شيئا لاتدخل في الحروب ... وهذا الموقف بطبيعة الحال لا يوافق موقف الحياد المعروف لدينا حديثا .

وكان النظام الاقطاعي والنفوذ الكنسي عقبتين كوؤدتين في سبيل ظهور الحياد باعتبار قانونيا ، فانه من الطبيعي ان لايظهر مبدأ الحياد في صياغة دولية ترتكز نظمها على اساس الخضوع لسلطة الامبراطور او البابا ، لان طبيعة الحياد تنافى علاقة الخضوع ، فاذا لم تشترك احدى مقاطعات الامير او السيد في حرب امرها الامير بخوض غمارها ، فأن ذلك لايعتبر حيادا منها بل هو خوف أو جبن ، وكثيرا ما تفاجأ هذه المقاطعة او تلك بالاجبار على الحرب ، اذ يأمرها السيد بانه لاحياد في هذا الوقت وهنا يجب اطاعة الاوامر .

وعلى اثر تقدم العلاقات بين الدول وتصدع النظام الاقطاعي ، وتحول الجماعة الدولية الى طوائف متماثلة في نظمها ، مستقل بعضها عن البعض

الاخر ، وتحت التأثير العميق الذي يحدثه العامل الاقتصادي ، ظهرت فكـرة الحياد باعتبارها مبدأ مشروعا يمكن قبوله .

وبالرغم من التشريعات العديدة التي وضعت لتنظيم الحياد وتعـدد الاتفاقيات الدولية المنظمة له من ذلك تصريح باريس البحري سـنة ١٨٥٦ بشأن تجارة المحايدين في البحار ، ثم تصريح لندن البحري سنة ١٩٠٩ الذي نظم القواعد الخاصة بالحرب البحرية ووضع حقوق المحاربين وواجباتهم ومن ذلك ايضا اتفاقيتا لاهاي سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٧ بشأن تنظيم حقوق الـدول المحايدة وواجباتها حيال الحرب البرية والبحرية ، هذه التشريعات الدولية التي حددت حقوق المحايدين وواجباتهم لم تكن لتمض عليها بضوع سنوات حتى قامت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ فحطمتها لان المحاربين في سبيل تحقيـق الانتصار لانفسهـم لم يقيموا وزنا لاحكام الحياد القانوني ولم يهتموا بقوانينـه .

وبعد الحرب العالمية الاولى واجهت الدول مشاكل استعمارية عديدة كما خرقت معظم الاعراف الدولية وظهرت بعض الانظمة ذات المطامع الواسـعة مثل النظام النازي في المانيا والفاشستي في ايطاليا ، ففي سـنة ١٩٣٥ احتلت ايطاليا الحبشة واغارت المانيا سنة ١٩٣٩ على النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ولم يعيرا لكل القوانين والانظمة والاعراف الدولية أي أهتمام وبذلك واجـه العالم خطر حرب جديدة هي الحرب العالمية الثانية والتي شـاركت فيهـا معظم الدول الاوربية كما شاركت فيها الولايات المتحدة واليابان ودول اخرى في العالم بحكم علاقاتها ومصالحها السياسية والاقتصادية .

وعند انتهاء الحرب العالمية الثانية وكانت الشعوب قد اكتوت بنيرانهـا وآلامها وفضائعها انطلقت تلك الشعوب ضـد اعدائها المستعمرين وضـد المستغلين من تجار الحروب وناهبي خيرات الشـعوب ، وقامت الحركات

الوطنية التي تطالب بالتحرير والاستقلال وتقرير المصير ، وبمرور الزمن تصدع النظام الاستعماري تحت ضربات قاصمة من الحركات التحررية ، واخذت الشعوب المغلوبة على امرها والتي كانت تعاني من ويلات الاستعمار الى التقارب والتفاهم وتوحيد الكلمة للنجاة من الاستعمار والطامعين ، وتحررت بعض الشعوب بعد جهاد ونضال مريرين مثل الهند والهند الصينية ومصر وسوريا والعراق والصين وكوريا الشمالية وفيتنام الشمالية .

وكان العالم قد ظهرت فيه قوتان كبيرتان بعد الحرب العالمية الثانية : المعسكر الاشتراكي ممثلا بحلف وارشو ، والمعسكر الغربي ممثلا بحلف الاطلسي وحلف جنوب آسيا وحلف بغداد والمعاهدات العسكرية الاخرى ، في وسط هذا الظرف السياسي والعسكري الواضح برزت الدول النامية والتي تحررت حديثا من الاستعمار وصارت تنشد السلام والخلاص والابتعاد عن الحرب وكل اشكال المطامع الاستعمارية ، أجل برزت دعوة الهند واندونوسيا ومصر ويوغسلافيا وسوريا وكوبا الى تكوين جبهة جديدة تلتزم الحياد وعدم الانحياز الى الكتلتين الشرقية والغربية ، فاجتمع زعماء تلك الدول في باندونج سنة ١٩٥٥ والذين قرروا قيام كتلة دول عدم الانحياز واتخاذ مبدأ الحياد الايجابي طريقا وسلوكا في سياسة تلك الكتلة ، ثم انعقد المؤتمر الاسيوي الافريقي سنة ١٩٥٧ في القاهرة والذي ايد قرارات مؤتمر باندونج واستنكر كل اشكال التكتلات والتحالفات العسكرية كما اكد على حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وايد النضال البطولي الذي يخوضه الشعب الجزائري من اجل الخلاص والتحرير .

وللفائدة فانني ابين هنا اهم قرارات مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ .

١ ــ احترام حقوق الانسان وميثاق الامم المتحدة .

٢ ــ احترام سيادة جميع الدول .

٣ ـ عدم التدخل في شؤون الدول الاخرى .

٤ ـ الاعتراف بحق المساواة بين جميع الاجناس والقوميات .

٥ ـ الامتناع عن استخدام اية تدابير واتفاقات دفاعية جماعية لصالح اية دولة من الدول الكبرى والامتناع عن الضغط على الدول الاخرى .

٦ ـ تسوية كل النزاعات بالطرق السلمية .

٧ ـ تنمية المصالح المتبادلة وزيادة التعاون .

٨ ـ احترام العدالة والالتزامات الدولية .

وكان مؤتمر باندونج قد اتخذ ثلاث مبادىء عامة ذات معاني سامية تدعم مبدأ الحياد وتنصره هي :

١ ـ حق الشعوب في تقرير مصيرها .

٢ ـ استنكار الحروب العدوانية .

٣ ـ تخفيف حدة التوتر .

وعند قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق اعلنت الحكومة العراقية تمسكها بقرارات ومبادىء مؤتمر باندونج ، لذا صار العراق بهذا عضوا جديدا وفاء لا في كتلة عدم الانحياز التي تؤمن كل الايمان بمبدأ الحياد الايجابي .

هذا عرض سريع لنشأة مبدأ الحياد الايجابي ، الذي صار مظهرا وطريقا للشعوب التي تروم الانعتاق وتستهدف الحرية ، وقد استمسكته به الشعوب لانه لم يعد حيادا جامدا ساكنا ، بل اصبح حيادا ديناميكيا متحركا يؤدي دوره في السياسة العالمية ، لقد اتضحت ملامح الحياد واصبح حيادا ايجابيا ولم يعد حيادا بالمفهوم القديم وهو عدم الاشتراك في الحرب بنوعيها

الباردة والساخنة ، بل اصبح تحركا للقضاء على الاستعمار مثير الحروب وعلى اسلحة التدمير والفتك النووية ساعيا الى الحد من حدة التوتر الدولي ، لقد اصبح ايجابيا لا سلبيا كالمعهود في الحياد السويسري •

ان الظروف التي تمر بها الشعوب المحبة للسلام والتواقه للجرية تهددها اليوم اطماع المستغلين والطامعين والمستعمرين ، وتقف كتلة عدم الانحياز المواقف المشرفة في الدفاع عن حقوق تلك الشعوب التي تناضل من اجل الاستقلال وتقرير المصير ، ويشهد وطننا العربي هجمة صهيونية بربرية للقضاء على لبنان والفتك بالفلسطينيين الذين يناضلون من اجل حقهم المشروع وحريتهم المسلوبة ، كما يشهد هجمة حاقدة من قبل الطغمة الحاكمة في طهران وقم على عراقنا الحبيب ، ووقوف الشعب العراقي ومعه الشعب العربي يدافع عن الارض والتراث بكل شجاعة وبطولة •

اننا ننتظر من دول حركة عدم الانحياز وقفة موحدة وعادلة ازاء كل الهجمات الطامعة والنزعات الحاقدة والتي تستهدف سلب الحريات ونهب خيرات الشعوب وتحطيم كل المكتسبات الحضارية التي ناضلت الانسانية من اجلها ، اجل ننتظر من دول حركة عدم الانحياز ان تثبت وجودها وتؤدي دورها الانساني الحاسم في ايقاف تلك المطامع والقضاء على كل مظاهر العدوان لتعيش الانسانية بحرية وتنعم بخيراتها وتأخذ مكانها التاريخي في الوجود الانساني •

صولون

حياته وإصلاحاته - ملاحظات

الدكتور سامي سعيد الاحمد
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

صولون

حياته واصلاحات ـ ملاحظات

الدكتور
سامي سعيد الاحمد
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

حصل المشرع والسياسي الاثيني الشهير صولون على شعبيه فائقة بالعالم الكلاسيكي وبولغ كثيرا في مانسب اليه وحياته ونسجت حوله ذلك أساطير عدة بحيث صار من الصعب التمييز في الكثير من المواضع بين الحقيقة والاسطورة • وبلغت شهرته الحد الذي جعل الكثير من الباحثين المحدثين ينسبون اليه العديد من الاصلاحات الاثينية الدستورية والقانونية • وحتى جعل اخرون اعمال صولون هي الاساس التي استند عليه النظام الدمقراطي الاثيني(١) وتعكسه التقاليد الاثينية كشخص بذل كل ما في وسعه من اجل مدينة اثينا ومواطنيها وكان شاعرا ومشرعا ورجل دولة •

١ ـ المصادر :

ان أحسن مصدر عن حياة صولون واصلاحاته وافكاره هي أشعاره التي يصعب أخذ الكثير منها كأصيله نظمت فعلا من قبله • وقد شعر الاقدمون بهذه الحقيقة فتقبل ثيوجينيس منها ثمانية عشر بيتا فقط من أصل ٢٧١ بيتا أي أقل من سبعة بالمائة منها(٢) • وهناك جدل بين الباحثين حول اصالة نصوص تشريعاته التي تقدم لنا مصدرا هاما اخرا عن حياته • ثم الاثباتات الرسمية للمسؤولين الكبار والكهنة والمنتصرين في ألعاب الاحتفالات والوثائق المالية

1. Aubery de Selincourt, The World of Herodotus, (Boston, 1962), p. 351.
2. T.W. Allen, Theogni, The Classical Review, Vol. 19, (1905), p. 388.

والتكريسات المعبدية وما الى ذلك • وأخبرنا بلوتارخ بان اثبات الالعاب البيثية في دلفاي كان المصدر الذي اعتمد عليه ارسطو فيما كتبه عن دور صولون في الحرب المقدسة(٣) • وهنالك المأثورات الشفهية عن صولون والتي يصعب الاعتماد عليها والاخذ بما ورد فيها كحقائق ثابتة عنه •

وان اقدم اشارة عن صولون وردتنا حتى الان في الكتابات اليونانية جاءت في كتابه بسطرين وردت بملهاة لكراتينوس (٥٢٠ — ٤٢٣ ق٠م٠) في اثينا عرض فيها صولون كخطيب يخبر مستمعيه بان رماد رفاته يجب أن ينشر فوق جزيرة سلاميس • وذكر هيردوتس مقابلة صولون لكرايسوس ملك ليديا ومكالمته له(٤) • وخصص هيرميبوس (حوالي سنة ٢٠٠ ق٠ م٠) اجزاء عدة من كتاباته عن الحكماء السبعة (وصولون واحد منهم) وعن المشرعين وكان صولون في كلتيهما • وجمع ديديموس الاسكندراني (بداية العصور الميلادية) قوانين صولون • ومن الذين كتبوا عن صولون بكل اطالة وتفصيل ارسطو وديودوروس الصقلي وبلوتارخ وديوجينيس ليرتيومي والتي تعتبر كتاباتهم المصادر الاساسية المتوفرة حاليا عن صولون) وهنالك بعض الجدل بين الباحثين عن صحة ما أورده ارسطو عن اصلاحات صولون • اما كتابات ديودوروس فتضمنها الفصل التاسع من كتابه في التاريخ وهي قليلة الاهمية اعتمدت الاخبار الاسطورية عن صولون فصار على قيمة تاريخية ضئيلة اضافة الى عدم ذكره المصادر التي اعتمد عليها في كتابته عن صولون • أما بلوتارخ الذي عاش في اواسط القرن الاول الميلادي (بعد ديودوروس بقليل) فقد ذكر الكثير من القصائد التي اخذها على علاتها وتدخل

3. Plutarch, Lives of Illusterious Men, translated by John Dryden, (New York, 1924), p. 103.

4. Herodotus I : 29.

الكثير من كتاباته عن صولون ضمن النطاق الاسطوري ولكنه ذكر لنا الكثير من المصادر التي اعتمد عليها أمثال اندرويتون تلميذ ايسقراطيس وأرسطو وهيراكلايديس وبونتيكوس الفيلسوف الاثيني ودمتريوس الفاليري (المولود حوالي سنة ٣٤٥ ق.م.) وثيوفراستوس . من اواسط القرن الرابع ق.م. وفانياس تلميذ ارسطو . واعتمد كثيرا على هيرميبوس وديديموس الاسكندراني . ويؤكد الباحثون الذين درسوا مصادر بلوتارخ بالذات بانه كان اكثر اعتمادا على ديديموس وهرميبوس(٥) . أما كتابات ديوجينيس الليرتيوسي فان اغلبها يحتاج الى تحقيق واخرى هامة . واكد البعض بان ديوجينيس (منتصف القرن الثاني) قد اعتمد كثيرا على قصائد صولون وبعض خطبه وأكد على خمس رسائل يذكر انها ارسلت من بايسيستراتيس الى صولون مع أجوبتها ، ورسائل من صولون الى برياندرواء بيمينيديس وكرويسوس(٦) وذكر ديوجينيس القليل من مصادره أمثال سوسيكراتيس الروديسي من العصور الميلادية . وتعرض بلوتارخ وديوجينيس الى نفس الحوادث ولكن الاول ذكرها مع شروح له . وذكرت بعض الاحداث بصورة مختلفة عند كل منهما . وجاءت بعض كتابات ديوجينيس عن صولون متقنة واخرى مرتبكة مثل بلوتارخ وغيرها مفصلة عند واحد ومقتضبة لدى اخر وبالعكس . وان ماكتبه بلوتارخ يعتبر دون شك الاحسن فيما وصلنا والاكثر تفصيلا ووضوحا .

٢ ـ شعر صولون :

وصولون أول شاعر اثيني وصلتنا لحد الان اشعاره . وتعتبر قصائده

5. R. Prinz, De Solonis Plutarchei Fontibus, (Bonn, 1867); H. Begenmann, Quaestions Solonecae, (Holtzminden, 1875); F.E. Adcock, The Sources of Plutarch : Solon XX XXLV, The Classical Review, Vol. 28, (1914) pp. 38 ff.
6. A. Niese, Zur Geschichte Solon Und Seiner Zeit, (Bonn, 1882), p. 2.

(ان كانت نسبتها اليه صحيحة) خير مصدر عن حياته وتعطينا.فكـرة عـن شخصيته وافكاره وحتى عن منجزاته احيانا • وقد وصلتنا منظومة في مناسبات تعكس مواقفه من الاحداث الواقعة • وقد اخبرنا ديوجينيس بان صولون قد نظم ما يقارب الخمسة الاف بيتا من الشعر • وقسم بلوتارخ أشعار صـولون الى صنفين الاول يشمل القصائد التي نظمها في بدء شبابه للتسلية والاخـر من القصائد التي خصصها للقضايا السياسية والاخلاقية(٧) • ومما يدعم الشك في اشعار صولون ان بعض ابياته قد رويت الى الشاعر ثيوجينيس من مدينـة ميكارا(٨) • واستشهد بشعره الكثير من الكتاب القدامى الذيـن أسـلفنا ذكرهم • فيذكر بلوتارخ بيتين من الشعر ليوضح احاطة صـولون بالعلوم الطبيعية •

ان السحب هي التي تكون الثلج والبرد(٩) •

ويتولد الرعد من البرق الذي لاينقطع •

وذكرت ابياتا تصور اندفاع صولون لحرب سلاميس وتحريرها جاء فيها :ـ

افضل ان اكون فوليكاندروس او سيكينيتيا فقيرا

وابدل بلدي ووطني من ان اكون اثينيا

سيقولون لي « انظرها قد اتى اثيني واحد من المندحرين

والمشهورين » لاحرب بعد من اجل سلاميس يارجال

وذكرت له اشعارا يصف بها حالة اثينا المزرية (قبل اصلاحاته) والوضـع

7. Plutarch, pp. 98-99.
8. Andrew Robert Burn, The Lyric Age of Greece, (London, 1960), pp. 258-260.
9. Plutarch, p. 99.

الاجتماعي السيىء فيهـا

انا ادرك بقلب مرير متألم
رؤية هذه الارض الايونية العريقة
تتخرب على هـذا الشكل

وباخـرى قـال

ان مدينتنا بارادة زووس وجميع
الالهة سـوف لاتسقط
بنت اب الارباب ترعى ارضنا
ان بالاس اثينا بيد حامية
ولكن المواطنين قد غرهم الطمع الان
فمن اجل المال قد وضعوها في التراب
ويحمل حكامنا الظلم في رؤوسهم
قد حصلوا ثرواتهم بصورة غير مشروعة
ولم تسلم من ايديهم السارقة كنوز معبد او دولة
ولم يخشوا قانون الحـق
ان مثل هذه الشرور تعيش معنا • ومن الفقراء
كثيرون يعيشون في بلاد اجنبية
تم بيعهم ما وراء البحار وايديهم • مكبلة بخجل(١٠)

ورويت قصيدة لصولون يذم بها حكم الطاغية الفردي

وقد يحصل للمدينة الخراب من الرجال العظام
والناس من جهلهم قد انحنوا (اليه)

10. Ap. Demosthenos, On the Embassy.

في عبودية ، الى حكم فردي

واخبرنا ديوجينيس بان كثيرا من قصائد صولون كانت تغنى(١١) مما يشير الى شعبيتها وحب الناس لها سواء اكانت حقا منظومة من قبله اولا • واشار افلاطون في كتابه تيميوس الى الانتشار الواسع لقصائد صولون حيث ذكر على لسان كريتياس في محاوره بان العادة جرت في صباه ان يلقي الصبيان خلال احتفالات عيد الابوتوريا بعض قصائد صولون •

وقد اخذت الكثير من قصائد صولون كأدله على الكثير من أحداث حياته ، فأبيات استدل منها بانه ربما جاوز الثمانين من عمره •

اترك هذا واصغى الي
ولا تغضب على خطتي الفضلى
واستبدل صاحبك على هذا اللحن ايها المغني الطيب
هلا ألقى موتي في سن الثمانين(١٢) •

واخبرنا بلوتارخ بان صولون قد بدء النظم بامور تافهة ولكنه سرعان ما أدخل بها تعاليم اخلاقية وقضايا سياسية لاجل ان يسجلها كأمور تاريخية وان يبرر أعماله وللاصلاح ايضا ويهدى الاثنيين الى التمسك بالمبادىء القويمة النبيلة(١٣) • ونرى في أشعار صولون كرهه للجشع وأولئك الذين يريدون ما ليس لهم وعندهم • من المال كثير فقد أخبرنا في القصيدة ، المعروفة بالرثائية الاولى بان العقوبة ترد على الفرد لانها ضد قانون الطبيعة وبذلك فهي ضد الارباب • فالعقوبة سوف تأتي عاجلا أو اجلا ولكن النهاية فظيعه ولا يعرف

---

11. Diogenes Laertius, Life of Eminent Philosophers, R.D. Hicks ed. (Cambridge, Mass., 1959), Vol. 1, Bk. 1, ch. 11.
12. CM Bowra, Early Greek Elegists, (Cambridge, 1938), p. 75.
13. Plutarch, 1, 128.

احد متى يضرب الاله زووس • فزووس ينظر الى النهاية دائما • فصولون كان مقتنعا بان الرجل التقي الطيب يجب ان يتمتع بالرخاء ويعاقب الشرير • ونراه في هذه القصيدة ، يبرر هذه بالتأكيد على الفروق بالنظرة بين الارباب والبشر والاتقياء والاشرار ثم أخذ يفرق بين الارباح التي تم الحصول عليها بصورة غير مشروعة وبشكل شرعي(١٤) • ويخاطب العذارى التسع ربات الجمال ان يعطين السعادة والنجاح في الحياة ويناقش سبب الفشل في الحياة نتيجة العقوبة التي يرسلها زووس كعقوبة على غير المحقين والتي يحملها الافراد الى أنفسهم نتيجة جهلهم ويستنتج اخيرا بان النجاح في الحياة يستند على تملك الحكمة التي تمنحها العذارى التسع(١٥) • وان العبارة التي نسبها هيردوتس الى صولون والتي نصها (اني أعرف بان الاله مليء بالحسد وعدم الثبات) لاتحمل اية اشارة الى عدم تقوى لان الارباب تتصف بصفات البشر وذات طباع مثل طباعهم(١٦) • ويرى البعض ان هذه القصيدة الرثائية يعوزها التماسك والارتباط مما جعلهم يستنتجون بان جزء منها فقط لابد وان كان أصيلا يبدء بالتماس الى عذارى الحسن التسع (الابيات ١ـ٦) ثم الكلام عن الثروة والحصول عليها بالاغتصاب والعقوبة التي سيرسلها زووس (الابيات ٧ـ٣٢) ثم قصور وجهل الانسان مقارنة بالارباب السميعة العلمية (الابيات ٣٣ـ٧٠) ثم عبارة أخيرة عن جشع الانسان(١٧) •

14. Richmond Lattimore, The First Elegy of Solon, American Journal of Philology, (AJP), Vol. 78 (1947), pp. 162-178.
15. Archibald W. Allen, Solon's Prayer to the Muses, AJP, Vol. 80 (1948) pp. 50-51.
16. Herodotus 1 : 32; W.K.C. Guthrie, The Greeks and their Gods, (Boston, 1962) p. 121.
17. Douglas E. Gerber, Euterpe, an anthology of Early Greek Lyric, Elegiac and Lambic Poetry, (Amesterdam, 1970), p. 124.

ويرى كثيرون ان في شعر صولون خلفية ايونية فعلاقته الوثيقة بالشعراء الايونيين في عصره تظهر من قصيدته التي خاطب بها سيمنيروس الكولوفوني (صولون ، شذرة ٢٠ من قصائده) الممزوجة مع الايونية والاستعمالات الانيكية لان بعض الافكار التي عبر عنها في أشعاره كان قسما منها ايونيا • ونرى في أشعاره أفكاره الخاصة المعبرة عن عصره والتي أخرجها في طراز ايرني • وقد كتب عن علاقة صولون بذلك مع هوميروس وهسيودا واستنتج اخرون بان أشعار صولون ليست التماسا جديدا الى روح البطولة الهومرية بل تعكس عاطفة مستحدثة • ويضع صولون كل ثقته السياسية في قوة (الديكة) والتي عكست صورة لها تأثيرات هسيودية • وينذر صولون مواطني مدينته بعدم اجهاد أنفسهم في صراع المصالح وقال عن مدينته (انها تساق بالمصالح وان الزعماء قد أثروا بصورة غير مشروعة ولا تنجو من مطامعهم حتى أموال الدولة وخزائن المعبد ولا يحفلون باسس ديكة التي لا تقهر (شذرة رقم ٣) • فصولون لايرى ان عقوبة الارباب تأتي بصورة مرض أو قحط كما تصورها هسيود بل يعتقد ان أي تعد على الحق هو اخلال بالنظام الاجتماعي (شذرة ٣) • فتظهر العقوبة بالدولة عن طريق الحرب الاهلية والحزازات والاخذ بالثأر ويأخذ مواطنوها بتكوين العصابات للاخلال بالامن والحق • ويقول صولون (ان الشر الاجتماعي كالوباء الذي يضرب في كل مكان من المدينة التي كتبت عليها ذلك) • ففي كل مكان بشعره فسر صولون أثر القانون في الحياة الاجتماعية ويحاول دائما ايضاح أثر النظام في مجرى الكون والحياة البشرية(١٨) • فبالقصيدة الرثائية نقرأ عن جهد الانسان ومصيره ومدى تدينه وما يسمى بالخلق الارستقراطي القديم وذلك بتأكيده على الثراء الشخصي والمركز الاجتماعي والقانون والحق المقدس •

18. Werner Jaeger, Paidoia, The Ideals of Greek Culture, trans. by Gilbert Highet, (New York, 1965), pp. 139-142.

ويؤكد في بدايتها بان الثروة يجب ان يكون قد حصل عليها المرء بالعدالة وما يبقى هو الثراء الذي تعطيه الارباب . أما الثراء الذي استحصل بالباطل فيعجل بحضور ايتتي السريعة الجرى والعقوبة الالهية التي ستحل سريعا في النظام الاجتماعي (جزاء زووس الذي يأتي بسرعة مثل عاصفة الربيع والتي تفرق السحب فجأة . وتثير لاعماق الجو وتؤذي الحقول وتخرب ما عمله الانسان ثم ترجع للسماء ثانية) (١٩) . ونرى في الاشعار المنسوبة لصولون رأيه بان حل مشكلة القيادة غير العادلة والمستهترة هو في تثقيف ورعاية ملكات الشعب فنقراء قوله في شذرة ٩ (مدينة خربتها الرجال العظام وشعب وقع في عبودية حاكم فردي عن طريق الجهل) . وفي شذرة ٦٠ يدعو الناس الى لوم أنفسهم وليس الارباب . وفي شذرة ٣٧ يذكر عن نفسه ما نصه (لو ان شخصا غيري قد حصل على مثل هذه الحظوة فانه سوف لن يوقف الشعب عند حده حتى يأخذ نتيجة خضه والزبدة (الثراء) تؤخذ من الحليب . وفي قصيدة اخرى يخاطب الاثرياء لان يهدئوا قلوبهم القوية التي في صدورهم وان يكونوا معتدلين (شذرة ٣٨) . والجدير بالذكر ان الكثير من الباحثين يضعوا تاريخ نظم صولون لقصائده بين ٥٩٤ و ٥٦٠ ق. م. في فترة ساد بها حكم الطغاة في بلاد اليونان(٢٠) . وان قصائده التي نظمت قبل اصلاحاته تختلف عن تلك المنظومة بعدها حيث ان الاخيرة لتبرير اصلاحاته ضد شكاوى الناس. وفي هذا الرأي تطرف واضح فليست جميع قصائده من الفترة هذه تتركز على اصلاحاته فالكثير منها اخلاقية وعامة . وان اشعار صولون المذكورة

19. Karl Reinhardt, Solon Elegie Eis avtov, Rheimisches Museu, n.f. vol. 71 (1916), pp. 128 ff.
20. Donald Kegan, The Great Dialogue, History of Great Political Thought from Homer to Polybius, (New York, 1965), p. 28.

جعلت صولون يحكم بانه رجلا نبيلا وشريفا ذا عقلية معتدلة وضع مصلحة مدينته فوق الطموح الشخصي(٢١) • واعتقد البعض بانه ليس بالشاعر الملهم(٢٢) • وان الشذرات المتفرقة البالغ عددها ٢٥٠ بيتا من الشعر حاليا والمتبقية من شعره لم ترد محصورة في الشعر الايليغوسي (الرثائي) بل فيها من الشعر الينبوسي (الحب) ولكنها برأي البعض كانت دارجة الاسلوب حادة اللهجة متغلغلة في الشخصية أكثر من بقية منتجاته • وقد وضعه الشعراء ضمن مجموعة الايليغو سيين لان هذا اللون من الشعر قد ظهر فيه نبوغه ومواهبة • وربما تكون أقدم قصيدة وصلتنا له • تلك الخاصة بسلاميس التي بلغ عدد أبياتها مائة وصلتنا منها ثمانية فقط • وقد يكون من الاجدر ان نذكر تنفا من قصيدتين لصولون تعبران عن ارائه وأفكاره خير تعبير • ففي الاولى يقول (هاهي ذي التعاليم التي يأمرني قلبي بان اسمع الاثينيين اياها موجزها ان احتقار القانون يغمر الدولة بالالام ، اذ عندما يسود القانون يقر النظام والانسجام في كل مكان ويقل الاشرار ويسهد الطريق الوعر ويلين اليابس ويخنق المتكبر وينقضي العنف ويجف الشر في زهرته قبل تفتحها ويقوم السبل المعوجة ويكسر حدة الاعمال الناجمة عن الكبرياء ويقهر محاولات الثورة ويكبح جماح هياج الشحناء الاليمة وبفضله يصبح كل شيء لدى الانسان منسجما ومتزنا) (٢٣) • وفي القصيدة الثانية نقرأ قوله (ان كايا تلك الام العظمى لجميع أرباب أو ليس أي الارض السوداء تستطيع ان تشهد بهذه

---

21. A. Andrews, The Great Tyrants, (New York, 1956), pp. 89-90.
22. J.B. Bury, S.A. Cook and F.E. Adcock, Cambridge Ancient History, CAH, Vol. 4, (Cambridge, 1960), p. 36.

٢٣ــ الدكتور محمد غلاب ، الفكر الهيليني او الادب الهيليني ، ج٢ (القاهرة ؛ ١٩٥٢) ، ص ٦١ •

الاحداث أمام محكمة الزمن فاني أنا الذي انتزعت انفا منها تلك الحـــدود (النصب) المهينة التي كانت معروسة في كل موضع منها ، شـــاهرة شعار العبودية . أجل انها تستطيع ان تؤدي هذه الشهادة معلنة انها كانت في الماضي مستعبدة وانها أصبحت اليوم حرة . حقا انهم لكثيرو العدد أولئك الرجـال الذين أرجعتهم الى أثينا ... نعم اولئك الرجال الذين كانوا قد بيعوا للاجانب بيع السلع مقابل حقوق ظالم أقرتها القوانين القديمه . وهناك اخرون كان قد أبعدوا أنفسهم فرارا من اضطهاد ومن الالتزامات الجائرة التي فرضتها الديون عليهم ، وقد ساءت أحوالهم بسبب ما عانوا من حيرة الظلال الى حـد انهم صاروا لا يتكلمون اللغة الاتيكية واخرون بقوا هنا ولكنهم صاروا يعانـون الام العبودية الوضيعة مضطربين أمام أهواء سادتهم فأرجعت لهم حريتهـم كاملة . وفعلت كل هذا بقوة ارادتي اذ ضممت الحزم والصلابة الى العدالة .. وقد وضعت قانونا واحدا يساوي بين الاعلين والصعاليك وينظم العدالة شاملة الجميع ... وقاومت كل الحملات كأني ذئب هاجمته مجموعة من الكـلاب الثائرة يقاومها وهو يدور حول نفسه) . وان قصيدته الرثائية الخلقية المذكورة آنفاً تظهر صولون متفائلا يحب متع الحياة كالمجد والثراء والمسرات البريئـة ولا نجد عنده أي من الميول التنسكية أو الانعطافات الحرمانية بل تـدل على اعتداله(٢٤) . وصولون هو القائل قبل غيره (اعرف نفسك) التي تنسب الى سقراط(٢٥) . وتظهره قصائده معجبا بأوذيسى .

٣ ـ ولادة صولون :

يصعب الان تحديد تاريخ ولادة صولون بالضبط وحتى مكانها ولو ان

24. Greek Elegy and Lambus, (Loeb Library), I, Solon 36, p. 149, 151. نفسه ص ٦٢ ، ص ٦٤ .
25. Stringfellow Barr, The Will of Zeus, (New York, 1965), p. 71.

الرأي الغالب هو ولادته في أثينا ففي قصيدة له يذكر صولون كونه أثينيا (حقا في ذلك اليوم هلا اغير بلد آبائي وأكون مواطنا لسكينوس أو فوليكوندروس منه أثينيا . وقد اعتبره هيردوتسر وشيشرون أثينيا في وقت يذكر ديودوروس الصقلي كون ولادته في جزيرة سلاميس(٢٦) . ويتفق ديوجينيس مع ديودوروس بذلك ويذكر تمثالا لصولون نصب في سوق سلاميس ، مدون عليه العبارة (هنا يقف صولون المشرع ابن سلاميس الذي كسر الكرامة الفارسية) . وذكر لنا ديموستين تمثال صولون هذا في سوق سلاميس دون ان يذكر الكتابة(٢٧) . وذكر ايسجينيس هذا التمثال وكذلك دايوكريسسوستوم (٤٠-١١٥) من بروسا باسيا الصغرى وبوسانياس(٢٨). وتعرض ارسطو الى وصية صولون التي طلب فيها نثر رفاته على جزيرة سلاميس ولو انه نفسه يشك بصحة هذا الخبر .

ومن الجدير بالذكر بان ليس هناك تاريخا ثابتا متفق عليه لاى حدث في حياة صولون وحتى سنة بدء أرخونيته التي يجعلها الباحثون بين ٥٦٤ - ٥٩٠ ق. م. وقد حدد ألي سنة ميلاد صولون في مقالته عنه بدائرة المعارف الكلاسيكية (الباولي سفيزوفا) في سنة ٦٢٤ ق. م. على أساس انه كان حوالي الثلاثين من عمره عند سنة القوانين . ويضع ديوجينيس سنة أرخونية صولون بالسنة الثالثة من الاولمبياد السادس والاربعون (السنة ٥٩٢ ق. م.) (٢٩) . فاذا أخذنا بهذا التاريخ فيكون ميلاد صولون قد حدث بعد ثماني سنوات من فشل كيلون في محاولته أخذ السلطة بالقوة في أثينا . ويتفق

26. Diodorus Siculus, History, trans. by C H. Oldfather, (London, 1946), IX, 1.
27. Demosthenes, Against Aristogeiton, 11, 23.
28. Aischenes, Timarch, 1 : 25; Dio of Prusa, Thirty Seven Discourse, 7.4; Pausanias, Attica, 16.
29. Diogenes, Bk. 1, ch. 11, p. 63.

غالبية الكتاب القدامى بان صولون قد توفي بعد عشر سنوات من أخذ بايسيستراتيس للحكم سنة ٥٦١ ق٠م٠ أي سنة ٥٥١ ق٠م٠ فاذا كان صولون قد مات وله من العمر ثمانون عاما كما يقول ديوجينيس فيكون ميلاده سنة ٥٣٩ ق٠ م٠ ويكون عمره عند اعتلائه منصب الارخون (المسؤول الكبير) ٤٦ عاما ٠ وذكر ارسطو بان صولون قد عارض بايسيستراتيس عندما أخذ الحكم بعد ٣٢ عاما من سنة حكمه كأرخون ٠ وهذا يجعل بدء أرخونية صولون سنة ٥٩٣ ق٠م٠ وأخبرنا ديموستين بمقالته الموسومة السفارة المزيفة ما نصه (ها قد مضى ٢٤٠ عاما من عصر صولون يقصد بدء أرخونيته) حتى الان (زمانه) ٠ فاذا اكانت المقالة قد دونت سنة ٣٥٢ ق٠ م٠ فان بدء أرخونية صولون ستكون ٥٩٢ ق٠ م٠ واذا كان صولون قد توفي وله من العمر مائة عام (كما يقول لوقيانوس) وفارق الحياة سنة ٥٥١ ق٠ م٠ فتكون سنة ميلاده ٦٥١ ق٠ م٠ وهذا التاريخ يجعلنا اذا ما اعتمدناه أمام صعوبات اخرى٠ ويجعل الكثيرون ولادة صولون سنة ٦٤٠ ق٠ م٠ على أساس قول بلوتارخ في عبارة نسبها الى فانياس بان صولون قد مات في أرخونية هيكيستراتوس سنة ٥٥٨ ق٠ م٠ الى جانب ذكر ديوجينيس وافلاطون بان صولون مات وعمره ثمانون سنة(٣٠) ٠

٤ ـ عائلة صولون :

أخبرنا بلوتارخ بان والد صولون هو يوفوريون(٣١) ٠ ويقول ان الكثيرين يجعلون والده ايكسيكيستايديس ٠ ويذكر ديوجينيس(٣٢) وديودوروس(٣٣) كون الاخير هو اسم والد صولون ٠ ويرجع الكثيرون

30. Plato, Republic, 10 : 599 e; Douglas Gerber, op. cit. p. 123
31. Plutarch, p. 97.
32. bk. 1, 11, p. 47.
33. bk. IV, 1, p. 3.

نسب صولون الى كودروس ملك أثينا الخرافي الذي ترجع الغالبية العظمى من عوائل أثينا النبيلة نسبها اليه • وحتى هناك من يربط نسب صولون بأشخاص خياليين وحتى بالارباب أمثال نيليوس وبوسايدون • ويذكر بلوتارخ بان والد صولون كان من الطبقة الوسطى ويؤيد أرسطو كون صولون من الطبقة الوسطى ويستشهد لذلك ببيتين من الشعر لانعرف اصالتهما (انت الذي أقحمت نفسك في الافراط اضبط نفسك ، ان الرغبات القوية في صدرك ، اجعل عقلك النير يقف عند مناصد معتدلة ، لاننا سوف لانخضع لك ولا يتحول كل شيء الى ما تريد) (٣٤) وربما يكون تفسير أرسطو ذلك على أساس مهنة صولون التي جلبت له بعض الثروة • ولكن الابيات عامة ومن الصعب الاستنتاج على أساسها بكون صولون من الطبقة الوسطى • في وقت يذكر به أرسطو بان صولون قد برز على أساس نبل عائلته وشهرته(٣٥) • ويذكر بلوتارخ بان لما خرب والد صولون مقاطعته الزراعية امتهن صولون التجارة وبدء رحلاته لا للحصول على المال بالدرجة الاولى بل لاكتساب العلم والخبرة(٣٦) •فوالد صولون قد مات حسب ما يظهر وصولون كبير السن واذا كان مايذكره بلوتارخ صحيحا فان التجارة وكسب المال كان هدف صولون الرئيسي في أسفاره • ويربط اخرون صولون ببيت ميدون Medontids ويجعله من طراز الارستقراطين الاتيكيين القدامى وينعته بضيق النظرة(٣٧) • ولا نعرف عن زوجه صولون شيئا ولا عن أطفاله ولكننا نعرف بانه كان متزوجا وله أولاد • فلا نعرف عدد أولاده سواء الذكور أو الاناث منهم ونستنتج

34. Aristotle, The Constitution of Athens, trans. by Kurt von Fritz, (New York, 1961), p. 73.
35. Ibid, V, 3.
36. Plutarch 1, 127.
37. J.B. Bury, A History of Greece to the Death of Alexander the Great, (London, 1963), p. 181.

وجودهم من القصص المروية عن صولون . فقصة زيارة صولون الى ملطية باسيا الصغرى ومقابلته طاليس فيها تذكر وجود علي الاقل ولد ذكر واحد له(٣٨) .

٥ ـ حياة صولون :

ان أغلب من كتب عن صولون لم يتعرض الى تربيته وتلمذته . فيمتدح ديودوروس صولون وشغفه بالعلم وتحليه بالفضيلة وتخصيصه الوقت الكافي لدراسته كل أنواع المعرفة وممارسته لكل ضرب من ضروب الفضيلة ويجعله على مستوى عالي بصورة طبيعية(٣٩) . فاذا كان صولون واسع العلم حقا كما يذكرون وعلى جانب كبير من الثقافة فعلى من تتلمذ ؟ وبمن التحق ؟ وأخبرنا بلوتارخ بانه قد عمل في التجارة بمقتبل عمره(٤٠) . واكتفى ديودوروس بالقول بانه قد تتلمذ على خير الاساتذة وقضى وقته عندما بلغ مبلغ الرجال في معية رجال اشتهروا بالحكمة دون ان يذكر أسماء هؤلاء وربما استنتج ذلك على أساس شهرة صولون وما عرف عنه من حكمة ومعرفة وقد كسبته أسفاره خبرة طيبة في الحياة واعتبره اليونانيون لاحد حكمائهم السبعة . ولو ان أسماء هؤلاء الحكماء قد رويت بصورة مختلفة الا ان اسم صولون وطاليس كانا في جميع الروايات وحتى قيل ان صولون قد رفض جائزة

٣٨ـ يذكر بلوتارخ (١٠٦و١) ان صولون قد سأل طاليس في المقابلة عن سبب عدم زواجه فلم يجبه طاليس بل اوعز الي شخص غريب ان يقول بانه قد وصل من اثينا قبل اسبوع . فلما قابل الاخير صولون استفسر منه عما يجري في اثينا فاخبره بان ابن شخص اسمه صولون قد توفي باثينا . فما كان من صولون الا واخذ يصيح ويولول . فاخبره طاليس ان هذه الامور التي وقعت وقع الصاعقة على شخص مثل صولون هي التي منعتني من الزواج وانجاب الاطفال .

39. IV, ix, 1.
40. Ibid, p. 112.

قدمت اليه باعتباره أكثر الحكماء السبعة حكمة • وقد نسجت الكثير من الاخبار عن علاقات بين هؤلاء الحكماء ودعوات متبادلة بينهم وجلسات حوار بين صولون واناكارسيس السكيثي وايمينيديس الكريتي وطاليس الخ•

ونسجت الكثير من الاساطير حول أسفار صولون ، فذكرت له سفرة الى مصر وأبياتا من الشعر تصف وقوفه عند فرع النيل الشرقي ثم ذهابه الى جزيرة قبرص علما بأن تواريخ سفراته والبلدان التي زارها قد ذكرت بصورة مختلفة بين الكتاب • فبلوتارخ يذكر بان صولون قد سافر كثيرا في صباه من أجل التجارة ورؤية العالم وانه سافر ثانية بعد اعلانه تشريعاته(٤١) • بينما يخبرنا أرسطو بان صولون بقي في أثينا فترة من الزمن بعد انتهاء مدة أرخونيته(٤٢) • ويتعرض هيردوتس الى سفر صولون بعد أرخونيته واخراجه تشريعه(٤٣) • وذكرت القصائد المنسوبة له ذهابه بعد اصداره قوانينه حتى يتجنب الشرح والتبديل أو النقد • وذكر ارسطو وبلوتارخ بان صولون قال بان قوانينه ستظل ثابتة لمدة مائة سنة بينما جعل هيردوتس هذا الرقم عشر سنوات • وذهب صولون الى مصر أول مرة حيث قابل الكاهنين بيسينوبيس وسونخيس • ولم يذكر ديوجينيس أي سفرة لصولون قبل أخذ بايسيستراتيس الحكم ومن انه سافر عندما فشلت محاولاته ضد الاخير(٤٤) • ووضع سفرته الى مصر بعد تشريعاته بكثير في وقت يضعها أرسطو بعدها مباشرة • ويتعرض هيردوتس الى مقابلة صولون لاماسيس الملك الثالث لاسلالة السادسة والعشرين (٥٧٠ ــ ٥٢٦ ق• م•) تلك المقابلة التي يصعب قبولها لعدم اتفاق التواريخ • ويصر ديودوزوس على تأثر صولون بمصر في تشريعاته والتي تعني انه يضع سفرته لمصر قبل اصداره قوانينه وتدل

42. Aristotle, op. cit. p. 78.
43. 1 : 21.
44. Diogenes Bk. 1, 11, p. 51.

على التقدير الكبير للحضارة المصرية • ولم يذكر افلاطون مقابلة صولون لاماسيس في وقت يتعرض فيه لسفرته الى مصر وسماعه قصة اطلانطس • ومن الجديد بالذكر ان مبدأ نزع القيود (السايسختيا) الذي أتي به صولون وخلص بموجبه المدينين الذين لا يتمكنون من ايفاء ديونهم من الموت أو النفي، قريبا عن مصر ولم يجد صولون في المؤسسات المصرية السياسية ما يجلب المدح(٤٥) • ووضع البعض زيارة صولون لمصر قبل قوانينه ، معرضا الى تأثره بتنقيحات أماسيس للقوانين(٤٦) • فبلوتارخ يذكر احتمال وجود صولون بمصر قبل صيرورته أرخونا ، فاذا تتقبل حقيقة سفر صولون في شبابه كما يذكر فربما كان فعلا في مصر • وذهب صولون بعد مصر الى قبرص حيث تجعل المصادر سفره اليها مرتبطا مع تلك لمصر بحيث بقي ضيفا على فيلوكيبروس حاكم احدى المدن في الجزيرة • وأخبرنا بلوتارخ بان هذا الحاكم قد غير موقع المدينة الى محل أكثر حصانة واستراتيجية ونظمها بمساعدة صولون • وكعرفان لاحسان صولون بدل الحاكم اسم المدينة من ايبيا الى صولي ويستشهد بعبارة في قصيدة منسوبة لصولون عن اعادة تنظيم المدينة ولكن ليس في الابيات التي يذكرها بلوتارخ ما يؤيد عبارته • والتشابه بين اسم صولون وصولي (صولوي) ربما كان عرضيا • علما بان لدينا أكثر من مدينة واحدة باسم صولي منها مدينة صولي في كليكيا • فاذا كانت المدينة قد سميت على اسم صولون فعلا فيجب ان تكون صولونيا او صولون بوليس وليس صولي او صولوى • اضافة الى ان صولون قد تعرض لاهالي صولي بشيء من الاستهانة وود لو يعود لبلده بسرعة • وهذا أمر يصعب قبوله اذا

45. P.G. Elgood, The Later Dynasties of Egypt (Oxford, 1951), p. 95.
46. James Henry Breasted, History of Egypt, (New York, 1945), pp. 590-596.

كانت المدينة فعلا قد سميت على اسمه . ويتكلم هيردوتس وبلوتارخ عن الصداقة التي نمت بين صولون وحاكم المدينة . وهذه الصداقة هي الاخرى يصعب تقبلها على أساس كره صولون لحكم الطغاة . وبعد ذلك ذهب صولون الى ليديا حيث قابل ملكها كرويسوس التي يصعب قبولها لعدم مطابقتها للتواريخ المعطاة وما الحق بها من تنائج . فذكر لنا هيردوتس كيف ان كرويسوس حاول اثارة دهشة صولون بثرائه فسأله عن من يعتقد انه اسعد رجل في الدنيا مؤمنا بانه سيذكر اسمه . ولكن صولون ذكر اسماء ثلاثة اشخاص غيره فلما استفسر منه كرويسوس عن السبب أخبره بانه لايمكن الحكم على سعادة الانسان على الارض طيلة حياته حتى تعرف نهايته وكيفيتها، فاذا كانت موته شرف ومجد وراحة فانذاك يحكم عليه بالسعادة . ونقرأ في القصة عن غضب كرويسوس وطرده صولون . ولكن هذا الجانب من القصة تنقصه الرسالة التي يذكر ديوجينيس ارسال صولون لها الى كرويسوس يشكره فيها عن حفاوته به الخ . ولو ان القصة قد ذكرها غالبية الكتاب القدامى ومنهم بلوتارخ وديودوروس وديوجينيس الا انها لا تتطابق من الناحية الزمنية اضافة الى كونها تناقض الكثير من الاحداث . فاذا كان صولون في أثينا عند ما أتى بايسيستراتيس الى الحكم ومات هناك فمتى قابل كرويسوس الذى جاء الى الحكم سنة ٥٦١ ق. م. ويظهر ان بلوتارخ لم يصدق بالقصة حيث يقول ما نصه (يعتقد البعض ان القصة لا تتفق مع التواريخ ولكني لا أتمكن من رفض قصة على هذه الشهرة) الامر الذي يدل على سريان الشك لها في زمانه . ولكن شهرة القصة لا يمكن ان يثبت صحتها ، ويجعل ديودوروس شخصا باسم بياس حاضرا في تلك المقابلة ويذهب هيردوتس كيف ان كرويسوس تذكر كلمات صولون عندما قبض عليه كورش وتنهيأ لحرقه حيا(٤٧) . ويتعرض ديوجينيس الى رسالة يذكر ان صولون

47. 1 : 29.

بعث بها الى كرويسوس في ساردیس عاصمته شكره فيها على حفاوته البالغة وأخبره (لو كنت لا اثمن العيش في نظام دمقراطي لفضلت العيش عندك على الحياة في أثينا حيث نصب بايسيستراتيس نفس طاغية)(٤٨) فاذا كانت الرسالة صحيحه فمعناها ان كرويسوس قد عامل صولون بالحسنى (ان كان قد قابله فلا) • ويعتقد البعض ان هيردوتس الذي يعتبر أول من ذكر القصة قد أخذها من بعض الفلاسفة وأخرجها باسلوب منه(٤٩) • فاذا كان صولون قد أتى الى الارخونية سنة ٥٩٤ ق• م• ثم سافر لمدة عشر سنوات بعد مدة بقائه في الارخونية فكيف قابل كرويسوس الذي أتى الى الحكم سنة ٥٦١ ق• م• ولكن ديوجينيس يضع سفرة صولون الى مصر وقبرص ثم الى كرويسوس بعد معارضته بايسيستراتيس وفشله في ايقافها • ولكن ان كان كلام ديوجينيس صحيحا فهو يتفق من الناحية الزمنية مع صعود كرويسوس • ومن ساردیس ذهب صولون الى كليكيا حيث كانت هناك مدينة باسم صولي • ويذكر ديوجينيس بان صولون قد أوجد مدينة في كيليكيا أسماها صولي أسكن بها مستوطنين أثينيين • وربما ابتدعت هذه القصة للتشابه بين اسم صولي وصولون • اما قصة زيارة صولون لمدينة ملطية باسيا الصغرى فني الغالب ابتدعت من أجل ذكر مقابلة له مع طاليس التي ذكرناها أعلاه والتي يشك بها غالبية الباحثين • وهنا يذكر ديوجينيس بان صولون قد عرف خلال أسفاره بان بايسيستراتيس قد نجح في أخذ ناصية الحكم ولهذا قرر عدم العودة الى اثينا وبعث برسالة الى بايسيستراتيس ذكر بها بانه هو الاحسن بين الطغاة • ويصعب قبول الرسالة لانها تتعارض مع كره صولون لكل الطغاة وتتنافى مع ما يذكره أغلب الكتاب عن معارضة صولون

48. Diogenes, Vol. 2, p. 67.
49. George Grote, A History of Greece, Vol. III, (London, 1869), p. 152.

لبايسيستراتيس عند محاولته أخذ ناصية الحكم بالقوة • ويستمر ديوجينيس في القول بان الكثيرين قد دعوا صولون للبقاء عندهم ولكنه تقبل دعوة طاليس ولم يرجع الى أثينا وذهب الى قبرص عن طريق سورية حيث مات هناك • في وقت يصر به بلوتارخ بان صولون قد عاد الى أثينا وعاش في صداقة مع بايسيستراتيس(٥٠) • فهناك علاقة يقدمها الكتاب القدامى بين أخذ بايسيستراتيس الحكم في أثينا وسفر صولون الاخير • فقد أعطانا أرسطو تواريخا عدة الى المدد التي حكم بها ثم نفي خلالها بايسيستراتيس وجميعها لاتتفق مع بعضها • فبالنسبة الى ارسطو ان الفارق الزمني بين حصول بايسيستراتيس على الحكم أول مرة وموته كانت ٣٣ سنة قضى منها ١٩ سنة في الحكم • وهذا معناه انه قضى ١٤ سنة في النفي • ولكن ارسطو نفسه يذكر في الفصل ١٤ من دستور أثينا بان مدة نفي بايسيستراتيس الاولى استغرقت ١١ سنة في وقت يذكرها عشرة في الفصل ١٥ من نفس كتابه ، وبذلك يكون لمجموع مدة النفي ٢١ سنة • واذا ماتقبلنا القول بان مدة حكم بايسيستراتيس الثالثة كانت الاطول فانها استغرقت بالواقع سنة واحدة اذا ما تقبلنا عدد سنوات حكميه الاول والثاني • فوفاة صولون كانت في الغالب سنة ٥٦١ ق• م• وهذا معناه ان صولون قد عارض محاولة بايسيستراتيس الاولى ولما فشل فيها ترك أثينا • والرسالة التي يذكرها ديوجينيس من بايسيستراتيس الى صولون تثبت كون صولون كان في أثينا خلال محاولة بايسيستراتيس الاولى •

وقد أعطانا ديوجينيس بضع رسائل ينسبها الى صولون بعث بها الى بضع شخصيات معروفة في زمانه وتعكس بعضها أفكارا نجد فيها ما يناقض الافكار المعروفة عن صولون • ففي رسالة يذكر ان طاليس قد بعثها الى

50. Plutarch 1, 114.

صولون دون شك كجواب على رسالة للاخير له لم تصلنا يذكر فيها ما نصه (اذا كنت متألما بفكرة كوننا محكومين من قبل طاغية وكشخص مثلك يكره جميع الحكام المطلقين فانك على الاقل (في ملطية) ستكون وسط مجتمع من الاصدقاء) والرسالة كما ذكرنا يرفض صحتها الباحثون المحدثون • ويظهر من هذه الرسالة ان صولون قد بعث برسالة الى بياس في برايني(٥١) • وفي رسالة اخرى يذكر ديوجينيس ان بايسيستراتيس بعث بها الى صولون نقرأ فيها لهجة بايسيستراتيس الاعتذارية عند أخذ الحكم في أثينا ويتعرض الى مؤهلاته الشخصية التي تؤهله لاخذ هذا المنصب ويوعد فيها بان يترك للاثينيين حرية ادارة شؤونهم وانه لم يرتكب ذنبا بحق اله أو انسان(٥٢) • وقدم لنا ديوجينيس رسالة ثانية من صولون الى بياندر يخبره فيها يطلب مساعدة أجنبية يسند حكمه الفردي في المدينة • وهذه الرسالة تناقض ما نعرفه عن كره صولون للحكم الفردي كما تبدو لاول وهله ولكن بدراستها نراها عبارة عن جواب لرسالة بعث بها برياندر اليه ويظهر من جواب صولون بان الاول قد عرض فيها مشاكله وجواب صولون ما هو الا ضرب من النصيحة نشم منها حبة للدمقراطية ، فنقرأ بها ما نصه (ان أحسن طريقة (للحكم) هي ان تترك القوه وبذلك تتخلص من اللوم ••• ولكنك اذا ترغب ، رغم الاخطار ان تبقى طاغية فاجعل قوة المرتزقة عندك أقوى جميع حاميات المدينة وبذلك تتخلص من الخوف ولا تحتاج الى ابعاد أي فرد(٥٣) • وهناك رسالة اخرى يذكرها ديوجينيس بعثها صولون الى ابيمينيديس يذكر فيها ميزات الدمقراطية ويؤكد على أهمية الزعامة في الدول ويقول ما نصه (ان الدين والشريعة غير كافيين لخير المدينة وصالحها • يمكن ان يكون ذلك (الخير والمصلحة) باولئك

51. Diogenes, p. 47.
52. Ibid, p. 55.
53. Ibid, p. 65.

الذين يقودون الجماهير باي اتجاه يريدونه) • ثم يقول (ان الزعماء ذوى الشعبية سيؤذون الناس اذا ما اعطوهم الحرية الكافية ولا يوقفون بايسيستراتيس من تأسيس حكمه الفردي المطاق وعندما أنذرتهم أنا لم يصدقوني بل اعتقدوا بانه كان صادقا عندما أخبرهم بما يبغون سماعه وعندما اعلمتهم انا بالحقيقة لم يصدقوني) : وتتعرض الرسالة الى مقاومة بايسيستراتيس واعتبار الناس اياه مجنونا وأخذ يعدد المراحل التي مر بها بايسيستراتيس في خدع الشعب واختتم رسالته بالقول (وبعد ذلك حطم الدمقراطية وذهبت جهودي في تحرير الفقراء الاثينيين من العبودية هباء ولكنهم صاروا جميعهم الان عبيدا الى سيد واحد هو بايسيستراتيس(٥٤) • وفي الرسالة التي يذكر ديوجينيس ان صولون بعث بها الى بايسيستراتيس فقد تعرض صولون الى كرهه للطغيان والحكم الفردي وكيف انه كان يتمكن ان يعان في وقته حكمه الفردي ولكنه أعطى للاثينيين حريتهم • وفي الرسالة المنسوبة لصولون الى كرويسوس يعتذر الاول فيها عن عدم تمكنه من العيش في ليديا بناء على حبه وتثمينه للدمقراطية ورغبته في العيش حيث يتساوي الناس في الحقوق(٥٥) •

٦ ـ دور صولون في احداث بلده المهمة :

أ ـ الحرب المقدسة :

لقد وصلتنا اخبارا عده عن دور صولون في هذه الحرب • فذكر ايسجينيس بان صولون قد اشترك في الحرب المقدسة (لحماية امتيازات معبد

54. Ibid, p. 66.
وتذكر المصادر مقابلة بين صولون ومساعده حصلها من ابيبدميندس هذا. فيذكر بلوتارخ زيارة الاخير الى اثينا ويجعل افلاطون الزيارة متاخرة بينما يضعها ديوجينيس بعد فترة ارخونية صولون .
55. Ibid, p. 68-69.

ذلك من قبل الجامعة الامفكتيونية) وان الحرب قد قامت بناء على اقتراح صولون نفسه • ويجعل بلوتارخ الحرب بعد تشريعات صولون وذكر يوسينياس بان صولون عمل مشاورا الى كلايسثينيس طاغية سيكيون الذي قاد الحملة • واعتقد البعض ببدء الحرب المقدسة في وقت أرخونية صولون واشتركت بها أثينا بناء على اقتراحه • ولكن ليس هناك أي دليل عن حدوثها خلال فترة أرخونيته ويصعب الاعتقاد باحتمال ترك صولون لاثينا واشتراكه بالحرب خلال فترة أرخونيته التي تستلزم وجوده في أثينا ويستحيل اشتراك الارخون في العمليات الحربية • ويتكلم ديوجينيس عن خدمات صولون في تحرير سلاميس من ميكارا والتي يؤيدها جميع الكتاب القدامى تقريبا دون تعيين وقت تلك الحرب • ولكن هذا الاشتراك لايزال بالنسبة لنا موضع جدل • فلدينا الان تقريرين عن الحرب وأخذ صولون للجزيرة ولكن التقريرين اسطوريين • نقرأ في احدها كيف ان صولون قاد قوة تتألف من ٥٠٠ جميعهم من سيكونوا ذوي الدرجات المتقدمة في حالة انتصارهم • وينص الثاني بان صولون قد ابتنى معبدا في المحل الذي نزل به الاثينيون من الجزيرة • ونقرأ في بلوتارخ بان صولون كان قائد الحملة وان بايسيستراتيس ساعده بينما يذكر اينياس بان بايسيستراتيس كان القائد دون ان يذكر صولون • وهناك تناقض في التفاصيل ايضا• ففي الوقت الذي يذكر به بلوتارخ بان الاثينيين بعد انتصارهم احتلوا سلاميس بينما يقول اينياس بانهم ذهبوا الى ميكارا • وربما يكون ذكر بلوتارخ لبناء صولون لمعبد على موقع لمعركة مستمد من تقليد معروف في سلاميس • ويعلق بلوتارخ بان في نهاية الحرب كان هناك تحكيما حول سلاميس وكان صولون ممثل أثينا بينما يعطي هيردوتس دورا في هذا التحكيم الى بايسيستراتيس دون ان يذكر صولون • وقدم ديوجينيس قصة يصعب تصديقها تنص بان صولون قد فتح بعض القبور ليعرض كيف ان الموتى قد دفنوا ووجوههم للشرق وكي يبرهن لهم بانهم قد استعملوا القوة

في استرجاع سلاميس ، وذلك لان أثينا قد واجهت نكسات عدة حول سلاميس مما جعلها تصدر بيانا ينص باعدام كل من يقترح على الناس ضرورة استرجاع سلاميس بالحرب • ولكن صولون ادعى بانه مجنون ووضع التاج على رأسه واندفع الى السوق وأخذ يتلو بعض قصائده واقتنع الناس بضرورة الحرب مع ميكارا لاجل سلاميس • ولكن كل هذه المعلومات ماز لت صعبة التصديق•

ب ــ دور صولون في حل مشكلة الكيلونيين والالكمايونيديين :

في سنة ٦٣٢ ق• م• حاول كيلون أحد المنتصرين في الالعاب الاولمبية وزوج ابنه ثيوجينيس طاغية ميكارا احتلال اكروبوليس أثينا بجماعة له ومساعدة والد زوجته • وعند فشل المحاولة هرب كيلون وقتلت جماعته • ونتيجة لهذه المحاولة تولدت مشكلة الثأر بين الكيلونيين والالكمايونيديين • ويقول بلوتارخ بان الاخيرين قد خضعوا الى المحاكمة وكان صولون المحكم فيها • ويظهر ان المشكلة قد بقت دون حل نهائي حتى زمن أرخونية صولون الذي أحال المشكلة الى محكمة تتألف من ١٠٠ قاضي تم اختيارهم من النبلاء • وحسب ما يقول ارسطو بان رئيس الالكمايونيديين كان من الزعماء السياسيين البارزين في الفترة التي سبقت تسلم بايسيستراتيس السلطة • فاذا أخذنا كلام أرسطو مأخذ صدق فبعد سنوات من المحاكمة الاولى (التي تلت المحاولة بزمن يصعب تحديده) والتي لعن بها الالكمايونيديين ونفوا الى الابد اعيدت الآن محاكمتهم في زمن لم يحدده ارسطو (بما خلال أرخونية صولون او قبلها بقليل) فصار لهم الحق في العودة وبدء نشاطهم السياسي دونما صعوبة(٥٦) • وهذا الامر محتمل ولكن شرح أرسطو له تميز بالتعقيد • علما بان بلوتارخ يجعل حل صولون لمشكلة العداء بين الالكيمايونيديين والكيلونيين

56. Aristotle, 13, 3.

وأرجاع الاولين الى أثينا واعطائهم ما فقدوا أضافة الى ارجاع جزيرة سلاميس من ميكارا وما رافقها من شعبية احد الاسباب التي مكنت صولون من النجاح في الحصول على منصب الارخون أضافة الى سوء الحالة في البلد (كثرة المدينين الى الاثرياء الخ) والتي تطلبت صلحا يتقبله ويحترمه الجميع (٥٧) •

٧ ـ ارخونيه صولون :

لقد صار صولون أرخونا حوالي سنة ٥٩٤ ق• م• وظل في هذا المنصب أربع سنوات متواليات • واختياره كأرخون بأمل حل مشاكل البلد يدل على مدى حب الاثينيين له • وقد ذكرنا الاسباب التي قدمت لاختياره هذا • ويعتقد البعض ان صولون ظل أرخونا لمدة ٢٢ سنة ولم يتقاعد الى حياته الخاصة الا سنة ٥٧٢ ق• م• ذهب بعدها في أسفاره بمصر والشرق(٥٨) • والمعلومات المتوفرة عن أتيكا عند بدء أرخونية صولون كافية لتلقي ضوء على الحالة العامة • فالقسم الكبير من اراضي أتيكا صارت في حوز الاغنياء ورزح الكثير من الاثينيين تحت عبء الديون الثقيلة بحيث هرب الكثيرون تخلصا من ديونهم وبقي بعضهم في الخارج مدة طويلة نسي خلالها لغته الاصيلة • وغدا الكثير من الاحرار عبيدا الى دائنيهم أو باعوا أطفالهم • ونعرف بان صولون افتدى الكثير من هؤلاء العبيد المباعين ربما من اموال المعبد • وان العديد من الذين تم بيعهم بعيدا عن أثينا عاشوا في ايجينا وميكارا وكورينت وهي مناطق يونانية لاتبعد كثيرا عن أثينا وربما قصد صولون بنسيانهم « لغتهم » فقدانهم لهجتهم الاثينية • كما حرر صولون اخرين من داخل البلد ممن كانوا يخافون من أسيادهم(٥٩) • وكان العصر زمن استيطان

57. Plutarch, Solon, 63.
58. Will Durant, The Life of Greece, Story of Cviilization, II (New York, 1939). p. 118.
59. Burn, op. cit. p. 293.

وتجارة سريعة وأرض أتيكا فقيرة في زراعة الحبوب وذات صناعة غير متقدمة وكان النبلاء مسيطرين على السياسة والقضاء • وقد أخبرنا صولون بانه من أجل تحرير هؤلاء فقد حرر الارض وأرجع الاثينيين الذين بيعوا كعبيد في الخارج والذين تم نفيهم نتيجة ديونهم كما حرر المدينين الذين حولوا الى العبودية •

٨ ـ الدستور :

لم يشكل صولون حكومته على طبقات واضحة التحديد ، فالطبقات كانت موجودة من قبل وابقى التصانيف القديمة حسب الممتلكات وأضاف طبقة رابعة هي الطبقة العامة (الثيتيس) وهي :

أ ـ البينتاكوسيميد يمني الذين يزيد دخلهم عن ٥٠٠ مقياس (٧٥٠ بوشل) من الحبوب أو الزيت وينتخب منها الارخون والقواد •

ب ـ الهيبياس ومعدل دخلهم ٣٠٠ ـ ٥٠٠ مقياس وقادرون على تموين حصان وينخرطون في الوظائف الاقل وسلاح الفروسية •

جـ ـ الزيوكيتاى ـ (أصحاب القطع الصغيرة من الاراضي) ومعدل دخلهم ٢٠٠ ـ ٣٠٠ مقياس •

د ـ العمال (الثيتيس) الذين ابعدوا الان عن المناصب في وقت سمح لافراد الطبقة السابقة بالالتحاق في الفرق ذات السلاح الثقيل من المشاة • ويتم أختيار جميع الموظفين في الدولة من الطبقات الثلاث الاولى بالاختيار والانتخاب(٦٠) • وعلى كل قبيلة من القبائل الاربعة ان تختار قائمة من المرشحين ومن القوائم المختلطة يتم اختيار العدد المطلوب بالقرعة •

60. Aristotle, op. cit. 8.

ومجلس الاربعمائة من القبائل الاربعة ، مائة من كل قبيلة وهو المعروف باسم البوولة أو سنات أثينا وقد استحدثه صولون وحدد بـه تأثير القبائل حيث كانت أثينا قبل اصلاحاتـه تحت تأثير وادارة القبائل وبطونها(٦١) • ويعتقد الباحثون ان العضوية في هذا المجلس كانت تتبدل كل سنة ولكن هذا يعني انتخابات مجددة في كل سنة وهـذا يصعب تصوره • ولكن هناك من يعتقد بان الشواغر كانت تملىء في هـذا المجلس بالانتخابات(٦٢) • ومهمة هذا المجلس الاشراف على أعمال المجلس الشعبي وهذا يجعلنا نعتقد بان الثيتيس ليس لهم حق التصويت في انتخابات هذ المجلس • ويسود الاعتقاد بان صولون قد لجيء الى القرعة في اختيار الموظفين وهي بدعة جديدة استحدثها حيث ان الفكرة المعروفة انذاك بان الارباب تبين ارادتها بالقرعة • ومهمة مجلس الاربعة الاربعمائة تهيئة جدول أعمال جلسة المجلس الشعبي (الاكليسيا) الذي صار الان أكثر ديمقراطية بقبول العامة اليه • أما الاريوباكوس فقد احتفظ بمعظم وظائفه وخسر الكثير من قوته ، ومن اعضاء مجلس الشيوخ (الاريوباكوس) الارخونات الاسبقين الذين يظلون فيه مدى الحياة • ولا يؤكد بلوتارخ كون صولون قد استحدث الاريوباكوس(٦٣) ويذكر أرسطو وجود الاريوباكوس قبل صولون في وقت يؤكد فيه استحداث صولون لمجلس الاربعمائة(٦٤) • ويؤكد ذلك بلوتارخ ويذكر ان سببه ان معاملات المدينين الذين تخلصوا الان من الديون صارت تعرض على الاريوباكوس • ولكن ربنا غير صولون بنيه

61. Richard Mansfield Haywood, Ancient Greece and the Bear East, (New York, 1964), p. 249.
62. CAH, 4, p. 54.
63. Plutarch, 1, 140.
64. Aristotle, viii, 4.

الاريوباكوس كما يظهر من اشارات ارسطو • وظل الاريوباكوس كما كان من قبل يطادر المتهمين والمعتدين مع سلطة كاملة بفرض العقوبات والغرامات • وأثر هذا المجلس وأهميته لابد وان تكون كبيرة واليه عهد صولون بالاشراف وحماية القوانين وحق فرض اية عقوبة دون اعطاء سبب لها •

وألف صولون الان محكمة (ديكوستريون) لسماع استئناف احكام الموظفين الكبار وهي مفتوحة لجميع المواطنين ويتم اختيار اعضائها بالقرعة • وعلى أعضاء المحكمة المعروفة باسم الهيليايا (اشترط صولون أن يكون عمر العضو فيها ٣٠ سنة) داء اليمين قبل بدء كل محاكمة • وتشرف هذه المحكمة على أعمال الموظفين الكبار الذين يشرفون على أعمال اخرى في وقت يشرف فيه مجلس ٤٠٠ على مجلس الشعب والاريوباكوس على جميع المواطنين • وان تأسيس صولون للمحاكم العامة ساعد أثينا على كسر احتكار النبلاء للقضاء • وفتح مجلس الشعب الان لجميع المواطنين الاثينيين • وعلى هذا الاساس يعلق ارسطو بالقول بان صولون في اصلاحاته نقل السلطة من النبلاء الى العامة • واعترف صولون بالطبقة الوسطى النامية عندما جعل الشروط للوظائف معتمدة على المال •

٩ ــ السايسخثيا (نزع القيود) :

أخبرنا بلوتارخ بان صولون عمل أكثر من تخفيف شدة قانون الديون بل ألغى حق الدائن في استعباد المدين • وربما خفف صولون الايجار حتى يكون الدفع سهلا واضاف بان عدم التمكن على الدفع يجب ان لا يؤدي الى استعباد المدين وألغى جميع الديون سواء أكانت للدولة أو الافراد • فقبل صولون كانت هناك أعداد غفيرة من الفلاحين الصغار المرتبطين بطريقة ما الى سيد ثرى وهؤلاء الرجال يسمون الهيكتة موروى (أصحاب السدس) وهذا

معناه انهم كانوا يعطون السدس من محصولهم لاسيادهم ولكن هناك من قال بانهم كانوا يدفعون خمسة اسداس ولكن هذه النسبة عالية واذا لم يكن بامكانهم الدفع فأنذاك يقدمون ابنائهم وانفسهم الى العبودية . وفي محاولة لشرح الازمة وحلها تربط المصادر القديمة امثال تلك لارسطو وبلوتارخ الهيكتة موروى مع الديون(٦٥) . ويقول بلوتارخ ان الشعب قد اختار صولون لحل المشكلة المالية لانه لم يكن متورطا في الصراع بين اللاولاكين والاثرياء والفقراء . ولكن بلوتارخ يذكر في محل اخر وكذلك ارسطو ان صولون قد أتى بقانون ينص على ان انزال العقوبة بكل من يقف على الحياد في الامور السياسية(٦٦) . ولو ان بلوتارخ يستغرب على اصدار صولون لمثل هذا القانون ولكنه يعلل اصدار صولون له برغبته بجعل الناس مهتمين بالمسائل التي تخص المصلحة العامة . فبعد فشل مؤامرة كيلون ونفي عائلة الالكيمايونديين أخذ الاثينيون يتخاصمون حول الحكومة والديون وكانت هناك ثلاثة احزاب في هذا الصراع :

أ ـ التل الذين يفضلون الدمقراطية .

ب ـ السهل الذين يؤيدون الارليكاركية .

جـ ـ الساحل الذين يرغبون بحكومة مزيجة .

فالى جانب الصراع السياسي كانت هناك المشكلة الاقتصادية . فاغلبية الناس كانت مدينة الى الاثرياء حسب ما يظهر وساد في أثينا جو متذمر واحتمال انفجار في الموقف . فهؤلاء المتذمرين كانوا اما من الهيكتة موروى أو من الذين باعوا ابنائهم أو أفراد من عوائلهم وحتى انفسهم وهناك من ترك البلاد .

65. Werner Jaeger, op. cit. pp. 147-148.
66. Plutarch, Solon, 140; Aristotle, viii, 5.

فيظهر ان كانت هناك موافقة بين الطبقات الثرية والمستغلة على انتخاب صولون • ويخبرنا بلوتارخ بان صولون قد خدع الطرفين حيث وعد الفقراء بتقسيم الاراضي والاثرياء ضمانا لديونهم(٦٧) • ومما أضاف الى الاختيار كون صولون على مستوى عالي من الخلق والتمسك بالمبادىء السامية كالعدالة والمساواة والحرية الخ • فيخبرنا صولون في قصيدة يذكرها بلوتارخ عن استهزاء الناس به لعدم اعلانه نفسه طاغية في أثينا • ويؤيد ذلك ارسطو ويقول ان صولون (اهتم في شرفة ومصلحة الدولة أكثر من طمعه الشخصي) (٦٨) • خاصة وان العصر كان فترة حكم طغاة في مختلف الدويلات اليونانية • وفي الوقت الذي يتفق فيه الكتاب القدامى على كون الاصلاحات الخاصة بالديون هي من عمل صولون فانهم يختلفون في مدى تلك الاصلاحات فيذكر لنا بلوتارخ معتمدا على اند رويتون بان صولون لم يلغ الديون كليا بل خفض الفوائد(٦٩) • في وقت يعزو ارسطو الى صولون الغاء جميع الديون الموجودة الى جانب اصلاحه نظام العملة بعد ذلك • ويفسر بلوتارخ اعتمادا على اندرويتون ذلك بان صولون قد غير نظام العملة والاوزان حتى يكون لدى الطبقة العامة المال الكافي لدفع ديونهم علما بان بلوتارخ نفسه لم يسلم بصحة هذا ويستشهد ببيتين من الشعر المنسوب الى صولون (احجار الرهن التي تغطيها قد الغيت وحررت الارض التي كانت مستعبدة) (٧٠) • فيذكر بلوتارخ تغيير صولون المانا من ٧٣ دراخمة الى ١٠٠ حتى يتكمن المدينون من الايفاء دون ان يخسر المرابين ولو ان النسبة التي يذكرها أرسطو كانت اكثر في وقت يذكر ديودوروس ان السايسختيا كان اعادة الديون من استعمال

67. Plutarch 135-137.
68. Aristotle, vii, 1.
69. Plutarch 137.
70. Ibid, 138.

الارض دون ان يتمكن الدائن ان يستعبد المدين(٧١) • دون ان يذكر اصلاحا في نظام العملة • وفيما عدا اندرويتون فان الكتاب القدامـى متفقون بـان صولون قد ألغى الديون عن جميع الاثينيين • ويذكر بلوتارخ ان الناس لـم تكن راضية عن أصلاح صولون هذا فالاثرياء لم يكونوا راضين لانهم فقدوا ديونهم وتألم الفقراء لعدم تقسيم صولون للاراضي • ويستمر بلوتارخ بـان صولون قد انتخب بعد ذلك الاصلاح أرخونا ليصلح مايراه مناسبا ويشرع قانونا للبلد(٧٢) • ومعنى هذا ان بلوتارخ يجعل السايسختيا قبل أرخونيـة صولون وهذا اختلاف جوهري • علما بان بلوتارخ يذكر في موضع اخر ان نجاح صولون في اختياره أرخونا يستند على استرجاعـه جزيرة سلاميس ولنجاحه في السايسختيا • وهناك اختلاف حول أصل السايسختيا • فيذكـر ديودوروس تأثر صولون بقانون الملك المصري بوخارس الذي يقول بانـه ينص على (لا دفع على ديون فيما عدا عن أرض المدين) لان الانسان نفسـه تعود ملكيته الى الدولة • واعتقد بعض الباحثين المحدثين ان صولون اعجب في الغالب بالادارة والتشريع المصري وربما اخذ عن مصر نزع القيود بالغـاء ديون المدينين العاجزين عن الايفاء نتيجة الموت أو انهم قد نفوا واستعبدوا الى جانب ضرورة تصريح كل فرد بما يكسبه من دخل وتوع ذلك الدخل(٧٣) • ولا يذكر لنا أرسطو أي شيء عن أصل السايسختيا بل يذكر ان صـولون قد سافر الى مصر حيث بقي مدة بعد اكماله اصلاح الدستور الاثيني في وقت يذكر ديوجينيس ان صولون قد ذهب الى مصر عندما أخـذ بايسيستراتيس ناصية الحكم في أثينا ولو ان بلوتارخ يذكر كثرة الناس الذين تقاطروا علـى صولون طالبين منه تبديل قوانينه واضطراره لذلك على ترك أثينا ويذكـر

71. Diodorus, 1, i, 79.
72. Plutarch 138.
73. Elgood, op. cit. p. 95.

بلوتارخ بان صولون ليس فقط سكن مصر ولكنه درس فيها ايضا(٧٤) •

١٠ ـ قوانين صولون :

يعتبر صولون الشخصية التاريخية الحقيقية بين المشرعين اليونانيين الذين سبقوه(٧٥) • وقد افتخر صولون في القصائد المنسوبة له بانه شرع قوانينا للجميع • واخبرنا بانه اتبع في قوانينه طريقي الاقناع والاجبار اللذين يعتقد بضرورة استعمالهما من قبل الدولة مهما يكن نوعها حتى الدمقراطية منها • ويخبرنا في قصيدة (شذرة ٢٣) رفضه لطلب الفلاحين باعطائهم حصصا متساوية (ايسومويريا) من الاراضي في أتيكا • ويتحدث ديودوروس عن تأثر صولون في قوانينه بمصر حيث يقول بان صولون بعد زيارته لمصر جلب القانون (اذا قتل أي أنسان بتعمد رجلا اخر او عبد فانه يقتل) الى أثينا(٧٦) • وقانون صولون الذي يثار حوله الجدل بين الباحثين هو طلبه من كل شخص التصريح بمصدر رزقه • فبلوتارخ يذكر هذا القانون ضمن وصفه لقانون يخص تحرير الاباء من ابنائهم غير الشرعيين(٧٧) • دون ان يذكر اصل قانون صولون بالتصريح هذا • وقد نسبه بلوتارخ في محل اخر الى بايسيستراتيس • ويذكر هيردوتس(٧٨) • انه قانون مصري استحدثه أماسيس وتأثر به صولون عند زيارته مصر • ويذكر ديودوروس ان صولون أخذ ما يماثل قانون التصريح هذا من القانون المصري الذي ينص (كل من

74. Plutarch, 146.
75. Alfred Zimmern, The Greek Commonwealth, (New York, 1961), p. 130.
76. Diodorus, 1, i, 265.
77. Plutarch, 143.
78. 11 : 177.

يعطي معلومات خاطئة في تصريحه بعدم) (٧٩أ) • ولم يذكر ارسطو ايـــة أشارة لهذا القانون • فقد تمت حماية الفلاح الان من أي تعدي على حدود أرضه أو مائه • وأجبر الدولة على دفع خمسة دراهم عن قتل الفلاح او الراعي لذئب كبير ودرهم (دراخما) عن قتل ذئب صغير • واشترط على الشـــخص الذي يستنبت نبته ان يجعلها على بعد خمسة أقدام عن حدود قطعة جـاره • ومن يحفر قناة أو حفرة فعليه ان يجعلها بعيدة عن قطعة جاره بالنسبة الـى عمقها واذا ربى شخص نحلا فعليه ان يجعل خليتها على بعد ٣٠٠ قـــدم من قطعة جاره • وحدد صولون مساحات الاراضي التي يسكن للفرد من تملكهـا ومنع تصدير المنتجات الزراعية فيما عدا الزيتون وذلك من أجل ان يستثمر الاثرياء أموالهم في زراعة هذا خاصة ومنه يستخرج الزيت وزيت الاضـاءة والصابون • واعطى صولون المواطنة الاثينية الى الاجانب الذين يســكنون بصورة دائمية في أتيكا ويعملون في أشغال ماهرة • وكان لهذا القانون أهمية في تقدم أثينا الصناعي ولو انه لابد وان جلب له معارضة شديدة • وقيل ان صولون فرض عقوبة لمن لا يعلم ولده حرفة • وهناك تقليد عزي الى صولون فرض عقوبات ضد من لا يزاول تجارة أو له حرفـــة علمـــا بان دراكون وبايسيستراتيس قد نسبت لهما قوانينا مماثلة • واذا كان صولون فعـلا قد سن مثل هذا القانون فانه بذلك اراد مكافحة البطالة(٧٩)ب • وان سـماحه بتصدير الزيت ادى الى انتعاش صناعة الفخار حيث تم تصديره في فخار أحمر ــ بني ممتاز الامر الذي جعل أثينا تنافس مراكز صناعة الفخار المهمة الاخرى مثل رودس وكورنت الخ • وعرف الاثينيون الان ترك سطح الفخار ليمثـل

79A. Diodorus, 1, i, 77.

79B. CAH, 4, p. 45.

لون الجلد والخافية بالاسود(٨٠) • ومنع تصدير الحبوب نظرا للحاجة المحلية له • وبدء صولون باستغلال مناجم الفضة في لوريوم الذي كان خطوة اخرى في جلب الثروة والرخاء الى أثينا • كما حددت مساحات الاراضي التي يمتلكها الرجل • ثم عدل صولون التقويم بحيث صارت الاشهر تتعاقب ٣٠ ، ٢٩ حتى نهاية السنة • وهذا ساعد على تقدم التجارة والزراعة والعمل • وفي التوريث قرر صولون ان اذا لم يترك الاب غير ابنه فان هذه الابنة الوحيدة لاتستطيع ان ترث وانما تعود التركة دائما لاقرب العصبة • وفي هذا يسير صولون على نهج الشرع القديم ، وكل ما نجح فيه انه منح للبنت التمتع بالميراث بالزامه الوارث ان يتزوج بها • وقبل صولون القرابة عن طريق النساء ولكنه وضعها تحت مرتبة القرابة عن طريق الذكور (اذا لم يترك ولدا يرثه أخوة لا اخته ••• وعند انعدام الاخوة أو أبناء الاخوة ينتقل الارث الى الاخت واذا لم يكن هناك اخوة ولا اخوات ولا ابناء اخوه يرثه ابناء العم وابناؤهم واذا لم يوجد ابناء عم (أقارب من العصبة) يتحول الارث الى ابناء الاخوال (اقارب الدم) • وادخل صولون في التشريع الاثيني الوصية ، فقد كانت الاملاك قبله تنتقل انتقالا اجباريا لاقرب العصبة أو عند انعدام العصبة الى اعضاء الفخذ ولكن صولون سمح بالتصرف في ثروته وباختيار من يوصي اليه حيث حذف حق الفخذ على أملاك كل واحد من اعضائها وابقى حق الاسرة في الارث وظل الابن الوارث الالزامي واذا لم يكن للرجل أطفال فله الحق في الوصية كما يريد • وكان للوالد قبل صولون سلطة مطلقة حيث يتمكن ان يبيع ابنه أو يقتله ولكن صولون حددها تمشيا مع الاخلاق الجديدة وحرم على الاب بيع ابنته اللهم الا اذا أرتكبت خطيئة فاحشة ومن المحتمل ان نفس التحريم كان يحمي الابن • وحرم على المرأة ان توصي حيث انها ليست بمالكه

80. C.E. Robinson, Hellas, (Boston, 1955), p. 48.

حقيقية وليس لها الا التمتع بالاستعمال ولكنه سمح لها بسترجاع بائنتها(٨١) • ولا يمكن اجبار الابناء الذين يرثون ابائهم على تقديم صداق لاختهم • واذا لم يكن للشخص وارثين شرعيين فله الحق ان يوصي بايرائها من يشاء وهذا في الغالب أخذ شكل تبني في الوصية • واذا بقت الممتلكات غير مقسومة فان الوصية يمكن ان تعتبر تبني • والمعروف ان المدافعين عن القانون أمام القضاء في العصور التي تلت صولون لم يتوانوا ان يعزوا الى صولون اي قانون يلائم قضاياهم • وان الكتاب من العصور المتأخرة ليست لديهم أية وسيلة لمعرفة القوانين الاولى والمتأخرة وما أدخله صولون حقا • ولم تصلنا اية مجموعة كاملة لقوانين حوله • وابقى قوانين دراكون في القتل بعقوبات أخف(٨٢) • فعوقبت السرقة اثناء النهار بالغرامة أو السجن وسمح بتفتيش بيت يشك بوجود مال مسروق فيه واعتبر صاحب البيت الذي يقتل سارقا دخل بيته بريئا • وسمح للشعب في الجلوس للقضاء واعطى الحق لكل مواطن ان يطلب احقاق الحق له ولغيره • وان مجلس المواطنين للقضاء (الهيليايا ومعناها الاجتماع) • ويقول ارسطو بان صولون قد أعطى حق الاعتراض الى الهيليايا وهناك أدله بان الهيليايا كان يحاكم في قضايا غير مهمة وبسيطة • وفتح صولون أبواب الوظائف القضائية لجميع الاهالي • وقبل صولون كان للابن جملة واجبات وليس حقوق فما دام أباه حيا فانه قاصر وادخل صولون على كل هذه تعديلات(٨٣) •

وبلغت العناية بالجثة والقبور حدا صارت فيه الضرورة بادخال تشريع

٨١ـ غوستيل دي كولانج ، المدينة العتيقة ، ترجمة عباس بيومي بك (القاهرة ، ١٩٥٠) ، ص ٤٢٦ ـ ص ٤٢٨ •

82. CAH, 4, p. 42.

83. E.R. Dodds, The Greeks and the Irrational, Sather Classical Lectures, Vol. 25, (Berkely, 1959), p. 46.

الحد منه لايقاف التبذير بالمال ومنع البكاء لمدة طويلة على الموتى والصرف الكثير على الجنائز وحدد الملابس التي تدفن مع الميت الى ثلاثة كما حدد كميات الاكل والشرب التي يمكن صرفها على المادب الجنازية ومنع النادبات من القاء الملاحظات الحزينة • ومنع ذبح ثور في مثل هذه المناسبات وزيارة قبور غير أفراد العائلة عدا أوقات الدفن كما حرم الكلام السيء عن الموتى • وبالنسبة للنساء فقد سمح للوريثة الصغيرة السن لشخص ذو أهمية ان تتخذ خليلا من أقرب الناس لزوجها • وقيل ان صولون منع النساء من الخروج من منازلهن ومعهن مؤونة تزيد قيمتها عن أوبل واحد أو ان تكون السلة التي تحملها يزيد ارتفاعها عن ذراع أو الخروج ليلا وشعلة أمامهن • وحرم الشخص الذي لايزود والديه بما يحتاجان اليه من الامتيازات وجعل البطالة جريمة ولم يسمح لاي شخص يحيا حياة دعارة ان يخطب بمجلس الشعب واعتبر ممارسة البغاء قانونيا وفرض عليه الضرائب وأسس مباغي عامة مرخصة تشرف عليها الدولة وصاح احد المواطنين (تحية لك يا صولون لقد اشتريت نساء الشوارع لمصلحة المدينة وخانق المدينة المليئة بالرجال الاقوياء الذين بدون مؤسساتك الحكيمة يسلموا انفسهم الى حاجات النساء)(٨٤) • وارجع عقوبة المائة دراخما لمن ينتهك حرمة امرأة حرة وحدد الصداق معلنا بان الزواج يجب ان يكون مبنيا على رغبة الاثنين وحب النسل • ولكنه كما يقول باوتارخ سؤل ان يفرض ضريبة أجاب (الزوجة عبء يصعب حمله)(٨٥)• ومنع العروس الاثينية من الحصول على ما يزيد عن ثلاث بدلات • كما وضع صولون موادا تخص المواطنين المولعين باللواط وحدد ممارستهم مع الشباب

84. Athenaeus, XIII, 25; A. Babel, Women under Socialism, (New York, 1923), p. 35.
85. T.G. Tucker, Life in Ancient Athens, Chautauqua, (New York, 1917), p. 159.

من نفس الطبقة لاجل الحفاظ (حسب رأيه) على الكرامة الطبقية • ويظهر من اجراءات صولون انه كان يؤيد هذه العادة ويحبذها وتشير الى رسوخها في المجتمع الاثيني انذاك(٨٦) • ومنع صولون العبيد من ممارسة اللواط باية صورة ومن اللعب في الملاعب العامة وذلك لتشجيع الرجال الاحرار على مزاولتها(٨٧) • علما بان الذين يهيمون بحب النساء في المجتمع الاثيني يقدمون أبياتا تشير الى كره صولون اللواط وتفضيله حب النساء والخمر والغناء (أعمال سيبريس وباخوس والعذارى التسع ، هن ينابيع البهجة التي افضلعها اليوم) • وقيل ان صولون صمم ان يشيد معبدا للربة أفروديت باندیموس في أتيكا على ان تجمع تكاليفه من المسؤولين عن مبغى المعبد(٨٨) • وينسب الى صولون حبه الرياضة البدنية وتشجيعه لها • فمحاوره لوقيانوس المعروفة باسم أناخارسيس عبارة عن حوار خيالي بين أناخارسيس السكيثي (الذي يقال أنه كان صديقا لصولون) والذي ينتقد حماس اليونانيين للالعاب وحماس صولون ودفاعه عنها • ويقول بلوتارخ ان صولون وضع في تشريعه حدا أعلى لجوائز الفائزين في الالعاب الرياضية وجعلها ٥٠٠ للفائز في الالعاب الاولمبية و ١٠٠ في العاب الضيق • وجائزة الاخيرة كانت تساوي قوت عامل لمدة سنة كاملة انذاك وابقى صولون عقوبة الموت للسرقة من الملاعب لكل شيء تزيد قيمته عن ١٠ دراخما(٨٩) • ولم يشجع المصارعين واعتبر المصارعة ضرب من تضييع الوقت •

86. Richard Lewinsohn, A History of Sexual Customs, (New York, 1953), pp. 57, 59.
87. Robert Flaceliere, transl. by James Cleugh, Love in Ancient Greece, (New York, 1962), p. 76.
88. Ibid, pp. 77 138.
89. H.A. Harris, Greek Athletes and Athletics, (London, 1964), pp. 37, 166.

ولم يسمح صولون لعامل الختم ان يحتفظ بنسخه من الختم الذي صنعه كما جعل عقوبة فقاء عين الاعور بفقيء عيني المرتكب • وصارت عقوبة الموظف الكبير الذي يعثر عليه ثملا الموت • واذا كانت هناك بئرا عامة فعلى من يعيش حواليها بفرسخ واحد (ثمن الميل) ان يستغلوها ويستسقوا منها • واذا زادت المسافة فيجب ان يحفر الاهالي بئرا اخرى • واذا حفروا الى عمق عشر قامات في الارض ولم يجدوا ماء فلهم انذاك الحق بملىء وعاء بحجم ست غالونات ماء مرتين باليوم من بئر جارهم • ونظم صولون الاضرار التي تسببها الحيوانات ، فاذا عض كلب رجلا فيجب ان يسلم ذلك الكلب مربوطا على قطعة خشب طولها اربعة أذرع • ويذكر ان صولون باصلاحاته حاول تحرير الفرد من الارتباطات الدينية والعائلية ويلحقه أكثر بالدولة(٩٠) • كما نعرف عن ادخاله قوانينا للعناية بالارامل واليتامى والقتل وحول النظر في القتل المتعمد الى الاريوباكوس • وربما فرض صولون ضريبة جديدة (الايسفورا) على الطبقات العليا الثلاثة بين طالين ونصف طالين وعشر أمنان لمواجهة مصاريف الاصلاحات التي اقترحها • ويظهر انه اضافة الى اعطائه حق الاعتراض على قرار الموظف الكبير عند محكمة الشعب فقد أبقى الموظفين الاقل قيمة كما هم في الماضي أمثال النوكراروى (الموظفين الماليين في الدوائر) والبوليتاى (الذين بايديهم عقود الدولة وبيع الاملاك المصادرة) ثم الموظفين الاحدى عشر المسؤولين عن الشرطة ثم الكالاكريتاى المسؤولين بالدرجة الاولى عن أضاحي الدولة(٩١) • وقد قوى صولون مركز الطبقات الدنيا باعطائهم الحق في الحرية الشخصية والتأكيد على مكانهم في الاقتصاد • كما سمح لاي فرد

90. George Willis Botsford and Charles Alexander Robinson, Hellenic History, (New York, 1948), p. 82.
91. N.G.L. Hammond, A History of Greece to 322 B.C. (Oxford, 1963), p. 160.

ان يأخذ قضية أو يتكلم نيابه عن أي شخص مظلوم وبهذا حرر المواطنين من سيطرة القبيلة أو النقابة ووضع الدولة فوق الاحزاب والقبائل • ومن الجدير بالذكر ان صولون جعل قوانينه نافذة المفعول لمدة مائة سنة وقد دونت حسب مايظهر على ألواح خشبية ويقول ارسطو بان بقاياها مازالت موجودة في البريتانيوم زمانه وتسمى السيبريس • ومن القوانين الاخرى التي وضعها صولون كانت عن سوء تصرف الاشخاص في المعابد أو المحلات العامة أو في الاحتفالات وقد قيل ان صولون سن قانونا يعاقب من يتقاعس عن حمل السلاح في الحروب الاهلية وينتقد بلوتارخ صولون بعدم التبصر وفقدان المهارة حيث يقول ما نصه (في الحق ان صولون لم يكن رجلا متبصرا ولا ماهرا لان الالهة منحوه الحظ فنبذة ولان شبكته كانت مليئة بالاسماك فذهل عنها ونسى ان ينتفع بما فيها أو ان الجرءة قد أعوزته أو انه قد فقد صوابه)(٩٢) • واذا اردنا ان نصف شخصية صولون وأفكاره من كتاباته فان الوجه الوحيد الظاهر من حياته هي السياسة • فقد كان صولون يتهيب من الفوضى السياسية والحكم الاستبدادي الفردي وحكم الاثرياء وفضل النظام الدمقراطي حيث نقرأ في أبيات منسوبة له ما نصه (مثل هذه القوة التي أودعتها الشعب حتى لا يقللوا ما عندهم أو يبذروا بما حصلوا ، من كان ثريا وسامي المركز فقد حفظت من الخنا وجعلت أمامهم درع قوتي ولم اسمح لاحد ان يتعدى على حقوق الاخر) ويظهر من كلام ارسطو بان صولون فضل الدمقراطية الموجهة وليس المسيبه (ان الناس يتبعوا الزعماء اذا لم يعطوا الحرية الكثيرة أو المقيدة جدا لان التخمة تولد الوقاحة لما تجره من الراحة والرفاه الى الرجال الذين يتماكون المقدرة على الحكم الصحيح) (٩٣) • وقد وضع اللوم في

٩٢ـ الدكتور محمد غلاب ، المذكور اعلاه ، ج٢ ، ص ٦١ •

93. Aristotle, xii, 2.

تدهور الاوضاع على جشع واستغلال الطغاة وحبهم لاخذ السلطة وجهل الناس . وينسب اليه القول (الكثير من الرجال الاشرار أثرياء والكثير من الرجال الطيبين فقراء ولكننا سوف لا نبادل الفضيلة بالثراء لان الاولى دائمة والثراء يتنقل من شخص لاخر) (٩٤) .

١١ ـ نهاية حياة صولون :

يخبرنا بلوتارخ ان صولون برز للدفاع عن الدمقراطية ومعارضة اقتراح بايسيستراتيس الى مجلس الشعب باعطائه حرسا . ويقول ديوجينيس ان صولون حاول استعمال القوة ضد بايسيستراتيس واعتبره اعضاء المجلس مجنونا وحصل بايسيستراتيس على ما يريد . ويذهب بلوتارخ ان بعد سيطرة بايسيستراتيس على القلعة اندفع صولون الى السوق وخطب بالناس . ويقول ديودوروس ان صولون حاول أول مرة ايقاف بايسيستراتيس عن طريق الاقناع بعدها حاول استعمال القوة ولكنه لم يحظ بتأييد أحد . واعترضه بايسيستراتيس مستفسرا عن القوة التي جاء بها لمعارضته فأجابه صولون (ان شيخوختي لضحت لا تسمح لي بالرهبة من الموت) . وذكر ديوجينيس أمثلة عدة لسوء معاملة بايسيستراتيس لصولون عكس بلوتارخ الذي يقول ان بايسيستراتيس قد اكرمه وعامله بالحسنى ومن ان صولون ظل ينظم القصائد حتى مات وشيع تشييعا عاما مهيبا في أثينا . ويصر ديوجينيس بان صولون كان في كيليكيا عندما سمع بنجاح بايسيستراتيس النهائي ذهب بعدها الى قبرص حيث مات فيها او أوصى ان ينثر رماد جثته على جزيرة سلاميس . ويذكر ديودوروس كيف ان بايسيستراتيس قد أخذ صولون بالركون الى الهدوء والسكينة وان يعمل على التعاون معه . فالمتفق عليه ان صولون كان

94. Kegan, op. cit. p. 39.

في أثينا عندما سيطر بايسيستراتيس على الحكم ولكن من الصعوبة القول ان كان صولون موجودا في أثينا عند محاولة بايسيستراتيس الاولى التي فشل فيها . ومن الصعب القول ان قصيدة صولون الموجهة الى الاثينيين بعد تسلم بايسيستراتيس الحكم قد قالها في اخر محاولة للاخير ولو ان الغالبية من الباحثين تنسبها لها ونصها (اذا لم يكن لكم بد من احتمال هذه الالام بواسطة جبنكم ووضاعتكم فلا تتهموا الارباب لتعاستكم ، اذ انكم انتم الذين رفعتم بتأييدكم هؤلاء الطغاة وجعلتموهم عظماء ، وهذا هو السبب في انكم ترسخون الان في هذه العبودية المخجلة ... ان كل واحد منكم يسير على انفراد في حياته مقتفيا أثر الثعلب في حيله ولكنكم مجتمعين لستم الا قطيعا من الطائشين ... انكم لا تنظرون الا الى اللسان والكلام المعسول دون أن تأبهوا للافعال والسلوك) . (٩٥) ويذكر بلوتارخ ان صولون قد عاد الى أثينا من رحلته وتوفي فيها ولا يعتقد في قصة وصيته بنثر رماد جثته فوق سلاميس . بينما يذكر ديوجينيس بانه توفي في قبرص وأوصى بنثر رماد جثته فوق سلاميس . وهناك تقليد من القرن الخامس يذكر وجود قبر عند أسوار أثينا عرف بقبر صولون والواقع ان صولون لابد وان عاد الى أثينا ومات ودفن فيها . والمتفق عليه انصولون قد توفي في أرخونية هيكيستراتوس بينما أخذ بايسيستراتيس السلطة في ارخونية كومياس التي سبقت الارخونية الاولى بسنة .

٩٥ــ الدكتور محمد غلاب ، المذكور اعلاه ، ص ٦٣ .

ردود الفعل العراقية تجاه اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين «١٩١٧ - ١٩٣٦ م»

ترجمة وتعليق
د . ممدوح الروسان
الاردن ـ جامعة اليرموك

ردود الفعل العراقية

تجاه اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (١٩١٧ م ـ ١٩٣٦ م)

ترجمة وتعليق
الدكتور ممدوح الروسان
الاردن ـ جامعة اليرموك

تمهيد

نص تقرير أعده الكابتن هولت "Holt" المستشار الشرقي في السفارة البريطانية في بغداد وأرسله القائم بالاعمال البريطاني في بغداد المستر بتمان "Bateman" الى وزير الخارجية البريطاني المستر ايدن بتاريخ ١٧/٨/١٩٣٦م .

اشار المستر بتمان في رسالته التي أرفقها مع التقرير(١) الى أن ماورد فيه من آراء تمثل وجهة نظر العراقيين الذين كانوا على اتصال مباشر وغير مباشر بالقضية الفلسطينية خلال الثمانية عشر عاما الماضية ، وأضاف أن تجنب بريطانيا للمتاعب في العراق (نتيجة لتكرار الحوادث المضطربة في فلسطين) يرجع الى تأثير الساسة القدامى في الحكومة العراقية ، فجميعهم مقتنعون بعدالة ونزاهة السياسة البريطانية ، وليست عندهم أية نية لتعكير صفو العلاقات الطيبة القائمة بين بريطانيا والعراق .

أما دعاة الوحدة العربية من العراقيين فانهم مقتنعون بان اخوانهم في فلسطين لا يلقون المعاملة العادلة ، ولذا لا توجد أية ضمانات حول امكانية مواجهة الحكومة الحالية(٢) للضغوط التي قد تتعرض لها اذا ما استمرت الاضطرابات الحالية في فلسطين(٣) .

---

١ ـ FO. 406/74, No. 99, E 484/94/31 Mr. Bateman to Mr. Eden No. 422
Baghdad, August 17/1936, Enclosur in No. 99, Report on The Repercussions in Iraq of The Creation of National Home for Jews in Palestine.

٢ ـ المقصود بها حكومة يسن الهاشمي التي تولت الحكم في الفترة ما بين ١٧/٣/١٩٣٥ ـ ٢٩/١٠/١٩٣٦ .

٢ ـ يقصد بالاضطرابات الحالية في فلسطين ، قيام الثورة الفلسطينية الكبرى نيسان ١٩٣٦ .

وختم بتمان رسالته راجيا عدم السماح بنشر أو اذاعة أية أجزاء أو فقرات معينة من هذا التقرير لان ذلك سوف يسبب احراجا كبيرا للحكومة العراقية ، ولذا لا يجوز استخدامه أو الاطلاع عليه الا بهدف الاستعمال الرسمي كاطلاع اللجنة الملكية(٤) مثلا .

يكشف التقرير عن السياسة المتناقضة التي كان يمارسها أعضاء الحكومات العراقية ، فهم من جهة كانوا يرغبون في استمرار علاقات الصداقة والتعاون مع بريطانيا ، ومن جهة أخرى كانوا يبدون مشاعر العطف على أماني عرب فلسطين ، ولذا فقد كانوا حريصين على كبح جماح المشاعر الوطنية الشعبية العراقية ، المفرطة الحساسية تجاه ما يجرى في فلسطين من أحداث وتوجيهها في قنوات لا تضر بالعلاقات العراقية ـ البريطانية من ناحية ، ولا بالعلاقات بين العرب واليهود في العراق من ناحية ثانية ، وتمشيا مع هذه السياسة فقد منعوا التظاهرات ، وشددوا مراقبتهم على الصحف العراقية.

وينقسم التقرير الى ستة أقسام ، تناول في قسمه الاول الحديث عن وضع اليهود في العراق منذ عام ١٩١٧ م حتى عام ١٩٣٦ م ، وردود الفعل العراقية الرسمية والشعبية تجاه تكرار اضطراب الحالة في فلسطين ، وأثر ذلك على العلاقة بين العرب واليهود في العراق ، أما في قسمه الثاني فتكلم عن موقف الحكومة والشعب في العراق تجاه الثورة الفلسطينية الحالية (أي

---

٣ ـ عرفت هذه اللجنة « بلجنة بيل » وقد اعلنت الحكومة البريطانية عن رغبتها في ارسال هذه اللجنة بتاريخ ١٩٣٦/٥/١٨ بهدف دراسة أسباب الثورة في فلسطين ، ولكنها لم تشكلها وتحدد اختصاصاتها الا يوم ١٩٣٦/٧/٢٩ ، وقدمت الى فلسطين يوم ١٩٣٦/١١/٥ على اثر نداء الملوك العرب لاخوانهم عرب فلسطين بوقف الاضراب يوم ١٩٣٦/١٠/١٣ م ، وقدمت تقريرها في حزيران ١٩٣٧ راجع .. مذكرة الحكومة البريطانية التي قدمتها الى لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين سنة ١٩٤٧ ـ ترجمة د . فاضل حسين ـ مطبعة الحرية ـ بغداد ١٩٦٧ ، ص ٧ ، ٨ .

ثورة عام ١٩٣٦ م) •

وفي قسمه الثالث تحدث التقرير عن العلاقة بين الصهيونية ، وحركة الدعوة للوحدة العربية ، بينما تعرض في قسمه الرابع الى تطورات القضية الفلسطينية وأثرها على العلاقات العراقية البريطانية ، وأشار في قسمه الخامس الى العلاقة بين الحكومة العراقية من ناحية والحركة الصهيونية واليهود في العراق من ناحية ثانية ، وجاء قسمه السادس بمثابة خلاصة موجزة ومكثفة لما ورد فيه •

وفيما يلي ترجمة لنص التقرير حول ردود الفعل العراقية تجاه اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين •

١ ـ في الماضي

من الطبيعي أن يتابع العراقيون (الذين شاركوا في الثورة العربية ضد تركيا خلال الحرب العالمية الاولى بقيادة الملك حسين ، وابنه الملك فيصل) ، باهتمام قضايا الاقطار العربية التي حاربوا من أجل استقلالها كما أنهم أثاروا اهتماما مماثلا بين أصدقائهم • وعلى ما يبدو فقد شهدت السنوات الاخيرة في هذا البلد بوادر الاهتمام الشعبي العميق بقضايا عرب فلسطين على ضوء اقامة وطن قومي لليهود فيها •

لقد مر وعد بلفور في العراق عام ١٩١٧م بدون أن ينتبه له أحد تقريبا(٥) فقد كانت القوات التركية لا تزال مشتبكة في قتال الجيوش

٥ ـ ابرقت وزارة الخارجية البريطانية بنص وعد بلفور الى مندوبها السامي في القاهرة السير ريجنالد ونجت صباح يوم ١٩١٧/١١/٢ وطلبت في برقيتها مراقبة تعليقات الصحف بدقة كي لا تضر بالمشاعر العربية ولم تكتف السلطات البريطانية بذلك بل راحت تنسق مع فرنسا من اجل حملة ردع صحفية لمواجهة ما قد ينشر من تعليقات حول التصريح لا في الصحف =

الانجليزية ومستقبل العراق كان لا يزال غامضا . كذلك فان الاعمال المعادية لليهود في القدس عام ١٩٢٠ م وفي يافا عام ١٩٢١ م (٦) لم تثر الرأى العام

= العربية وفي البلاد العربية فقط ، وانما في الصحف العربية في المهجر ، وجريدة المستقبل الباريسية . وتمشيا مع هذه السياسة تلقت جريدة المقطم برقية من مراسلها في لندن حول تصريح بلفور نقلا عن الجويش كرونيكل يوم ١٩١٧/١١/٩ فنشرت التصريح يوم ١٩١٧/١١/١٠ بدون تعليق ، ولقد احتفل يهود الاسكندرية بوعد بلفور عام ١٩١٧ / انظر : خيرية قاسمية / النشاط الصهيوني وصداه في الشرق العربي ١٩٠٨ - ١٩١٨ / مركز الابحاث / بيروت ١٩٧٣ ص ٢٧٦ وما بعدها .

وكان ليون كاسترو المحامي اليهودي قد اسس عام ١٩١٧ اول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر تحت اسم منظمة الصهيونيين في مصر برئاسة جاك موصيري . وفي عام ١٩١٨ صدرت المجلة الصهيونية وشعارها : اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين بضمنة القانون العام « انظر : سهام نصار / الصحافة اليهودية في مصر دعت الى قيام دولة اسرائيل » / مجلة الامة القطرية ٤/١١ ، ايلول / ١٩٨١ ، ص ١٧ ، ١٨ وحول النشاط الصهيوني في مصر في القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩١٧ انظر يعقوب لنداو : اليهود في مصر في القرن التاسع عشر / النشاط الصهيوني المبكر بمصر / عرض زهير مارديني - مجلة الدستور لندن / ٢٣٨/٤ - ٦/١٤ /١٩٨٢ .

اما في العراق فان اليهود لم يحتفلوا بوعد بلفور عام ١٩١٧ ، ولا في عام ١٩١٨ - انظر حاييم كوهين - النشاط الصهيوني في العراق - ترجمة مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٣ .

وفي ١٩١٨/١٠/٩ ارسلت نسخة من تصريح بلفور الى ادارة المناطق الجنوبية المحتلة مقرونة بتعليمات مشددة حول عدم السماح بنشره انظر :
Aaron Klieman : Foundation of British Policy in Arab World The Cairo Conference, 1921, London, 1970 P. 14 Note 30.

٦ - حول هذه الاعمال التي انفجرت في القدس نيسان / ١٩٢٠ وفي يافا ١٩٢١ وعن اسبابها انظر د . عبدالوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث بيروت / ١٩٧٣ ص (١٤٧ - ١٤٩) ، (١٧٤ - ١٧٧) ، د . فاضل حسين / م . س / ص ٨٢٧ .

العراقي الذي كان مشغولا في النضال من أجل الاستقلال من ناحية ، وفي انتخاب الملك فيصل من ناحية ثانية(٧) • الا أن الصحافة العراقية خصصت مساحات كبيرة في تلك الايام المبكرة للتعليق على أحداث فلسطين وأبرزت برقيات احتجاج اللجنة العربية العليا الى حكومة صاحب الجلالة •

لم تشهد فلسطين في السنوات التالية ما بين (١٩٢٣ م ـ ١٩٢٨ م) أعمال عنف خطيرة يمكنها أن تستقطب العرب خارج فلسطين ؛ في الوقت الذي كان فيه الزعماء السياسيون والجماهير الشعبية في العراق منهمكين في شئونهم الخاصة ، الامر الذي حال دون اهتمامهم بما يجرى من أحداث في المناطق الاخرى في الوقت الذي استمرت فيه الصحافة العراقية في نشر جميع الاخبار الهامة المعادية للحركة الصهيونية(٨) وحتى عام ١٩٢٨ م لم تصدر أية منشورات شعبية متعاطفة مع عرب فلسطين ومعادية لليهود •

---

٧ ـ هذا الكلام لا يتفق مع ما ذكره سلمان شينا سكرتير الجمعية الادبية الاسرائيلية التي سمحت سلطات الانتداب البريطاني بتأسيسها في بغداد بتاريخ ١٩٢٠/٧/١٥ ، فقد ذكر في رسالة له بتاريخ ١٩٢١/٢/٢٢ ، بأن العلاقات بين المسلمين واليهود كانت متوترة جدا حتى التمرد العربي الاخير (ثورة العشرين) • انظر حاييم كوهين ، م • ن ، ص ٢٨ •

٨ ـ انظر : ممدوح الروسان ، العراق والسياسة العربية (١٩٢١ ـ ١٩٤١) ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، جامعة القاهرة ـ كلية الاداب ١٩٧٢ ، ص ٢٢٨ وما بعدها .
وانظر : قصيدة الملا عبود الكرخي بعنوان : جمعية اليهود ، التي هاجم فيها النادي اليهودي في بغداد ، صحيفة البدائع البغدادية ١٩٢٤/٦/١٦، وراجع اعداد جريدة الاستقلال لعام ١٩٢٣ التي نبهت الى خطر النشاط اليهودي في العراق وبخاصة على اثر توزيع كتاب النهضة الاسرائيلية وتاريخها الخالد ، خلدون ناجي معروف ، الاقلية اليهودية في العراق ، ١٩٢١ ـ ١٩٥١ ، ج ١ ، ص ٧ ـ ١١ . وجريدة الاستقلال ٢٦/ ١٩٢٧/١٠ حول عرض السينما الوطني لفيلم : بئر يعقوب ، وهو دعاية سافرة للصهيونية .

في ٨ شباط ١٩٢٨ م قام اللورد ملشت Melchett (السير الفرد موند فيما بعد) وهو من الانجليز المشايعين للصهيونية ، قام بزيارة بغداد ورافق وصوله أحداث وتظاهرات معادية للصهيونية(٩) • ونشرت الصحف مقالات معادية للصهيونية ولوعد بلفور والصهيونيين وأعمالهم مع أنه لم تجر في فلسطين في ذلك الوقت أحداث مهمة يمكنها أن تثير المشاعر الشعبية • ويرجع السبب الرئيسي للتظاهرات التي شهدتها بغداد الى أعمال المشاغبين بهدف الاساءة للعلاقات بين الحكومة العراقية ودار الاعتماد من ناحية ، ولاعتقاد البغداديين أنه كانت هناك نية لدى اليهود لتنظيم استقبال ودي « للورد ملشت » ولذا صمموا على أن لا يجرى لاي زعيم صهيوني استقبال حماسي في مدينتهم(١٠) واعتقدوا أن أفضل وسيلة لاحباط نوايا اليهود هي القيام بعمل مضاد • ومع أن الانتفاضة أخمدت فجأة كما ظهرت ، الا أنها وجهت الانظار الشعبية وركزت اهتمامها العميق على تنامي الحركة الصهيونية في فلسطين •

ففي السنة التالية (١٩٢٩ م) أثارت الاضطرابات(١١) التي جرت في

٩ ـ حول التظاهرات وردود الفعل الشعبية والصحفية ، وموقف السلطات العراقية تجاهها ، انظر : عبدالرزاق الحسني ، الوزارات العراقية ، جـ٢ ط ٣ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

١٠ـ جاء في جريدة النهضة العراقية يوم ١٩٢٨/٢/١٧ ، ع ٣٥ ما يلي : كان يمكن لسكان القطر جميعا ان يرحبوا به كرجل عمالي او كزعيم بريطاني ، ولكن قيام بعض الافراد الشواذ من اخواننا الاسرائيليين لاستقباله كزعيم صهيوني جعل العواطف تختلف بالنسبة الى الغاية المتوخاة . وطلبت من الحكومة ان لا تلوم الطلبة العراقيين على اظهار عواطفهم تلقاء اخوانهم العرب في فلسطين . نقلا عن خلدون ناجي معروف ، م ن ، ص ١٣ـ١٤ .

١١ـ تعرف هذه الاضطرابات بثورة البراق ، فقد نظم مئات من الشباب اليهودي تظاهرة عند حائط المبكى ، ورفعوا العلم الصهيوني ، حول تلك الحوادث واسبابها وكيفية علاجها . انظر تقرير لجنة شو : المذكرة البريطانية ، د . فاضل حسين ، م ن ، ص ١٧ ـ ٢١ .

فلسطين في الاسبوع الاخير من شهر آب الرأي العام العراقي وتشكلت جمعية احتجاج من قبل عدد من الساسة البارزين من بينهم ياسين الهاشمي (وهو رئيس الوزراء الان(١٢) ولحسن الحظ فان لديه قدر كاف من الخبرة وبعد النظر تمكنانه من ادراك الاضرار التي قد تلحقها الاضطرابات العنيفة بمصالح العراق وبتوجيه هذه اللجنة عقدت عدة اجتماعات عامة للاحتجاج على الصهيونية ، (١٣) واعلان تأييد ودعم عرب العراق لاخوانهم عرب فلسطين . واستمرت أعمال العنف عدة ايام في بغداد الامر الذي استدعى تدخل البوليس . (١٤) وحدثت بعض الاضطرابات البسيطة مع المتظاهرين وجرح عدد قليل من الرجال ، وارسلت برقيات احتجاج من قبل مختلف الجماعات الدينية والسياسية الى رئيس وزراء انكلترا ، كما ارسلت نسخ منها الى عصبة الامم وامتدت مظاهر الاحتجاج الى المدن الرئيسية ، ففي حين جرت مظاهرة صغيرة خارج القنصلية البريطانية في البصرة فشلت محاولة تسيير المواكب في الموصل . ولم تستطع الحركة المحافظة على قوة اندفاعها الاولى ولا على استمرارها نظرا لعدم تأييد الملك فيصل لها ، وما كاد شهر ايلول ينتصف حتى توقفت عن كونها تهديدا للقانون والنظام . ومع انه جرت اضطرابات في فلسطين بعد ذلك بشهرين على اثر محاكمة سلطات الانتداب للفلسطينيين الذين اتهموا بالاشتراك في الاضطرابات الاخيرة (ثورة البراق ١٩٢٩) . فلم يكن

١٢ـ اي عام ١٩٣٦ .

١٣ـ لم يحظر النشاط اليهودي في العراق الا في عام ١٩٢٩ ، فمنذ هذا التاريخ اصبح النشاط الصهيوني سريا ، ولكن لم تكن هناك اية ملاحقات لليهود حتى عام ١٩٣٤ . حاييم كوهين ، م ن ، ص ١٠ .

١٤ـ حول الاجراءات التي اتخذتها السلطات لحماية اليهود واموالهم ، وتعطيل جريدتي النهضة والوطن لنشرهما مقالات مخلة بالامن العام بالاضافة الى انذار جريدتي العالم العربي والعراق لتجنب كل ما شأنه الاخلال بالامن . انظر : الحسني ، الوزارات ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

لها اية ردود فعل غاضبة في العراق • (١٥) ومع نهاية عام ١٩٢٩ انصرف الرأي العام العراقي الى الاهتمام بمشكلات العراق الخاصة • (١٦) •

في خريف عام ١٩٣١ اثارت مداولات المؤتمر الاسلامي الذي عقد في القدس (مع انها لم تكن موجهة مباشرة ضد الصهيونية) الاهتمام باوضاع عرب فلسطين • فقد حضر المؤتمر ثمانية من الشخصيات العراقية غير الرسمية(١٧) • واهتمت الصحافة العراقية بنشر اعمال المؤتمر بشكل واضح، ونظرا لعدم مرافقة اعمال المؤتمر اية احداث هامة في فلسطين لذا لم يكن له أي اثر او تهديد •

١٥ــ الا ان البرلمان العراقي ولاول مرة اوقف جلسته لمدة خمس دقائق في ١٩١٧/١١/٢ وارسل رئيس المجلس برقيات احتجاج للحكومة البريطانية وعصبة الامم ولجنة التحقيق في فلسطين ، واصدرت الصحف نشرات خاصة في اطر سوداء اشتملت على مقالات معادية للصهيونية ، حاييم كوهين ، م ن ، ص ٣٥ • ذكر الحسني ، ان التظاهرات قامت بمناسبة وعد بلفور وحدثت فيها مصادمات بين العرب واليهود ، وحملت الصحف على السياسة الانجليزية ، وانتقدت مطالبهم . الحسني ، الوزارات ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ •

١٦ــ في بداية عام ١٩٣٠ طرد من العراق اول مدرس فلسطيني كان يدرس في مدرسة الطائفة اليهودية في البصرة ، وعزل طبيب يهودي كان يعمل في دائرة الصحة العراقية ، واستمرت مطاردة الصهيونية ، فقد صوردت احيانا رسائل وصحف . او وضعت تحت الرقابة وبالتدريج حظر دخول الصحف اليهودية الى العراق سواء اكانت بلغة عبرية او بلغة اخرى مرسلة من فلسطين او اي دولة اخرى . حاييم كوهين ، م ن ، ص ٥١ ــ ٥٢ •

١٧ــ مثل العراق في المؤتمر المجتهد الاكبر كاشف الغطاء ، وسعيد ثابت والشيخ بهجت الاثري وابراهيم الواعظ ، وماجد القرغولي وحسن رضا ، وكان كاشف الغطاء وسعيد ثابت من اعضاء لجنة المؤتمر التنفيذية ال ٢٥ • محمد عزت دروزة ، حول الحركة العربية ج ٣ ، ص ٧٩ ، ٨١ ، وحول هذا المؤتمر انظر : انيس صايغ ، الهاشميون وفلسطين ، ص ١٧٣ ــ ١٧٤ وعبدالوهاب الكيالي ، م ن ، ص ٢٦٧ ــ ٢٧٠ ، وكامل محمود خلة ، فلسطين والانتداب البريطاني (١٩٢٢ ــ ١٩٣٩) ، ص ٣٢٦ــ٣٢٩ •

تابع الرأي العام العراقي عام ١٩٣٣ باهتمام جهود عرب فلسطين لوقف تيار الهجرة اليهودية ، وعمليات بيع الاراضي العربية لليهود(١٨) • وكان هجوم الصحافة (العراقية) عنيفا على الصهيونية(١٩) • وطوال عام ١٩٣٣ ازداد الهياج الشعبي الى درجة انه راح يهدد بغداد بالخطر • وكان لقضية وادي الحوارث(٢٠) • وما رافقها من تجريد العرب من اراضيهم بناء على قرار قضائي غير عادل لصالح الصندوق القومي اليهودي ، كان لهذا الحادث اثره الكبير ، فقد عقدت الاجتماعات ، وارسلت برقيات الاحتجاج الى سفير صاحب الجلالة ، وجرت محاولات لمقاطعة التجارة اليهودية • وما كادت مظاهر العنف والتأييد العراقية تخمد ، حتى بعثت من جديد اثر الاضطرابات الفلسطينية التي جرت في تشرين اول وتشرين ثاني واشعلت جذوة التعصب العرقي من جديد • وارسلت برقيات الاحتجاج على اجراءات السلطات البريطانية والطغيان الصهيوني الى سفير صاحب الجلالة من قبل رؤساء الجمعيات الدينية والسياسية ، وناشدت الصحف جميع الاقطار العربية لمساعدة اخوانهم ،ونظمت التظاهرات من قبل لجنة جديدة عرفت باسم لجنة الدفاع عن فلسطين ، ولكنها منعت من قبل الحكومة التي سيطرت على الموقف بيد قوية •

في نوفمبر (تشرين ثاني) عام ١٩٣٣ مر الحاج امين الحسيني (مفتي القدس) من بغداد وهو في طريق عودته الى القدس بعد رحلة زار فيها الهند

١٨ــ ارتفع عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين من (٩٥٥٣) عام ١٩٣٢ الى (٣٠٣٢٧) عام ١٩٣٣ في حين بلغت صفقات بيع الاراضي عام ١٩٣٣ (٦٧٣) ارتفعت في العام التالي الى (١١٧٨) . عبدالوهاب الكيالي / م ن / ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ ، ٢٩٠ ، والجدول رقم ٣ ، ص ٤١٤ ، ٤١٥ .

١٩ــ راجع مقال جريدة العالم العربي ٢٩٣٣/١/١٠/١٩٣٣ ، حول خطر الصهيونية على فلسطين والبلاد العربية .

٢٠ــ انظر حول هذه القضية ، الكيالي / م ن / ص ٢٥٤

وافغانستان وايران ، وفي حديث جرى بينه وبين السفير البريطاني في بغداد تناول بالضرورة القضية الفلسطينية ، قال سماحته : بانه لا يشك في رغبة الشعب الانجليزي في انصاف العرب(٢١) • ولكنه يخشى نفوذ اليهود القوي في العالم ، فهم انى وجدوا اغنياء واصحاب نفوذ ، بينما العرب فقراء وعندما يصبح اليهود اكثرية في فلسطين فانهم سيجردون العرب من اراضيهم ويخضعونهم لهيمنتهم الاقتصادية ، ويتحول العرب بالتالي الى اقلية مستعبدة ، ولا بد انه اعرب عن اراء مشابهة لاخوانه العرب في العراق •

قام الملك فيصل بزيارة الى لندن في يوليو/تموز ١٩٣٣ ، وبحث مع وزير الخارجية خلال تلك الزيارة القضية الصهيونية ، ومستقبل الشعب العربي بصفة خاصة ، وفيما يلي مقتطفات من محضر اعده السير فرنسيس همفريز حول محادثاته مع جلالته(٢٢) • تكلم جلالته عن فلسطين مشيرا الى عدة امور تناولتها احاديث سابقة ، فاشار الى ارتفاع الهجرة اليهودية ، والى تدهور وضع العرب السياسي والاقتصادي والاجتماعي واكد بشكل خاص على الوضع الاقتصادي السيء للعرب في شرق الاردن وعلى النقمة التي عمت انحاء العالم العربي نتيجة بيع وتاجير الاراضي في شرق الاردن لليهود(٢٣) واكد بشكل جدي بانه اذا لم يتوقف هذا العمل فانه سوف

٢١ـ في اعقاب انتفاضة ١٩٣٣ حافظ المفتي على موقفه الودي من البريطانيين فقد كتب المندوب السامي واكهوب في ١٩٣٤/١/١٥ يقول : « انني اثق ان المفتي يحبني ويحترمني ويحرص على تقديم العون لي . ان نفوذه الذي يضع ثقله الى جانب الاعتدال هو ذو قيمة مؤكدة ، ولو وضع هذا الثقل في الجانب الاخر فانني واثق من نشوب اضطرابات واسعة » . الكيالي م ن / ص ٢٨٥ .

٢٢ـ لم يشر التقرير الى التاريخ الذي جرى فيه هذا الحديث .

٢٣ـ لمزيد من التفاصيل حول عمليات تأجير الاراضي لليهود في شرق الاردن يمكن الرجوع الى د . سلمان بشير ، جذور الوصاية الاردنية ، دراسة في الارشيف الصهيوني القدس ، ١٩٨٠ ، الفصلين الاول والثاني .

يؤدي الى نشوب قتال واسع بين العرب واليهود • وفي رأيه فان حل المشكلة يكون باتخاذ أربع اجراءات رئيسية وهي : انقاذ شرق الاردن من وضعها ومأزقها الاقتصادي ، والمنع الشامل لبيع او تاجير الاراضي لليهود في شرقي الاردن ، واقامة حكومة تمثيلية وفقا لما كان قد اقترحه هربرت صموئيل ووضع حد ثابت للهجرة اليهودية • وردا على سؤال حول امكانية تعاون العرب في اقامة حكومة تمثيلية أو نيابية قال جلالته : انه واثق من تعاون العرب اذا ما منحوا تمثيلا عادلا ووضع حد نهائي لتيار الهجرة اليهودية ، وهو يعتقد ان هذا الاجراء اساسي وجوهري وبدونه فان العرب في المستقبل القريب اما أن يطردوا خارج فلسطين واما أن يتحولوا الى العبودية الاقتصادية والاجتماعية•

وسئل جلالته ايهما اهم في نظره ، الوضع في فلسطين ، أم الوضع في شرق الاردن ؟ فاجاب بان الوضع في شرق الاردن اشد الحاحا ويستدعي اهتماما عاجلا ، فالعرب لن يسمحوا بتغلغل اليهود في شرق الاردن بدون مقاومة ، وما لم تتوقف الحركة التي بدأت فان سفك الدماء سوف يكون هو النتيجة المؤكدة لذلك •

ولقد أوضح جلالته (أى الملك فيصل) بشيء كبير من الحرج انه بتدخله في تفاصيل قضايا لا تعنيه شخصيا ربما يضع نفسه وبشكل مفضوح كمن يسعى الى تحقيق مكاسب شخصية وليس هذا قصده • فرغبته الكبرى هي توطيد أو توثيق اقوى علاقات الصداقة مع حكومة صاحب الجلالة ، ولكنه كان يدرك صعوبة ذلك اذا ما انفجر صراع جدي وخطير بين العرب واليهود ، فهذه الحقيقة هي التي جعلته يدرك أن واجبه يفرض عليه ابلاغ حكومة صاحب الجلالة بتصوراته الشاملة عن المستقبل(٢٤) •

٢٤ـ كان الملك فيصل قد اعرب عام ١٩٢٩ في مذكرة الى المستر يانغ بتاريخ ١٩٢٩/١٢/٨ ردا على سؤال الحكومة البريطانية عما لدى جلالته من =

رافق الهدوء النسبي الذي شهدته فلسطين خلال عامي ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ضعف الشعور المعادي للصهيونية في العراق ، ولسوء الحظ فان الحوادث البسيطة اثارت اكثر من مرة الهياج الوطني الذي وان لم يؤد الى اخطار جدية الا انه كان من مؤشرات تنامي الشعور الشعبي الكامن ، ففي خريف ١٩٣٤ اقصي عدد من موظفي وزارة الاشغال(٢٥) العامة في العراق كان بينهم عدد من اليهود ، وقد نسب هؤلاء ابعادهم الى دوافع عنصرية ونجحوا في اثارة الصحافة البريطانية ، فكتبت عدة مقالات اتهمت فيها الحكومة العراقية باضطهاد الاقلية اليهودية في العراق • الامر الذي ادى الى حملة عنيفة في الصحافة العراقية معادية لليهود والصهيونية(٢٦) • مما دفع الحكومة العراقية

= ملاحظات تتعلق بفلسطين فقال : يجب ان لا يطالب العرب حكومة صاحب الجلالة بالغاء وعد بلفور ذلك غير متيسر ، كما انه يجب على الحكومة البريطانية ان لا تطالب العرب بالاعتراف بوعد بلفور واقترح ثلاثة حلول لحل النزاع وهي :

١ ــ توحيد سوريا وفلسطين والعراق بحيث تصبح وطنا قوميا للعنصر السامي من عرب ويهود •

٢ ــ توحيد شرق الاردن وفلسطين •

٣ ــ تشكيل حكومة فلسطينية ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تشترط سكوت الطرفين عن وعد بلفور وتحديد الهجرة وفقا لاحوال البلاد الاقتصادية •

انظر : المركز الوطني لحفظ الوثائق، بغداد / ملف ١٩٢٩/١٥/٥ ــ ١٩٣٥ ــ الموقف في فلسطين في نظر الملك فيصل •

٢٥ــ كان وزير الاقتصاد والمواصلات هو ارشد العمري في وزارة علي جودت الايوبي الذي شكلها في ١٩٣٤/٨/٢٧ ، الحسني ، الوزارات جـ٤ ، ص ٢٧•

٢٦ــ اشار السير همفريز (السفير البريطاني في بغداد) في رسالته الى السير جون سيمون (وزير الخارجية البريطاني) بتاريخ ١٩٣٤/١٢/١٣ ، الى ان عدد الذين ابعدوا من وظائفهم كانوا ثمانية ــ ثلاثة من اليهود وثلاثة من =

الى التدخل لمنع التظاهرات المعادية للصهيونية .

ومع أن المشاعر الشعبية كانت هادئة عام ١٩٣٥ ، الا ان الكراهية العراقية الموروثة للصهيونية بعثت على اثر ابعاد اثنين من مدرسي المدارس اليهودية بتهمة الدعوة للصهيونية ، كما تعرض المقر شبه الرسمي لممثل الوكالة اليهودية في بغداد للتفتيش من قبل البوليس اضطر على اثرها الى

= المسيحيين واثنان من المسلمين - واضاف : الى ان المبعدين اليهود نجحوا في تحويل قضيتهم الشخصية الى قضية عامة اظهرت ان اليهود في العراق مضطهدين ، وابدى تشككه حول الباعث الذي دفع الوزير لاتخاذ هذه الاجراءات فيما اذا كانت وليدة عدائه للصهيونية ام وليدة الرغبة في تطهير الوزارة . وقال ان رد الفعل في العراق يشبه الى حد ما حدث في المانيا عندما تناولت اليهودية العالمية قضية معاداة اليهود للحكومة النازية . ومع انه كان هناك كلام كثير في الصحف الا انه لم يسمح باي حال باتخاذ اي اجراء عنيف ضد اليهود .

ولقد التقى مع الملك فيصل ووزيري الخارجية والاقتصاد ونبههم الى الاضرار التي قد تلحق بالمصالح العراقية السياسية والتجارية اذا ما اثيرت اليهودية العالمية نتيجة الاعتقاد بان اليهود في العراق لا يلقون المعاملة العادلة . وقد اكد الملك ووزراؤه ان الحكومة لن تلحق اضرارا باليهود وانهم سوف يضعون نصيحته موضع التنفيذ في التعامل مع اليهود .

Fo. 406, E 7701/6495/93
Sir Humphrys to Sir John Simon, No. 707, Confidential, Baghdad, December 13, 1934

اما حاييم كوهين فقد نسب الحملة الصحفية العراقية ضد اليهود الى الدعاية النازية م ن ، ص ١٤٧ ، وانظر الحسني ، وزارات جـ ٤ ، ص ٢٩ .

مغادرة البلاد(٢٧) . وفي صيف ١٩٣٥ زار المستر بن زفي(٢٨) (احد الزعماء البارزين في المنظمة الصهيونية في فلسطين) زار بغداد وهـو في طريق عودته الى ايران ، ورغم التوصية التي زوده بها المندوب السامي في القدس فقد تعرض لاجراءات بوليسية غير لائقة ، وحجز جواز سفره ولم يفرج عن جواز سفره الا بعد تدخل القائم باعمال حكومة صاحب الجلالة لدى رئيس الوزراء(٢٩) ، وسمح له بمغادرة البلاد بسلام(٣٠) .

ومما هو جدير بالملاحظة ان ممثل العراق لدى عصبة الامم في جنيف تناول في خطابه امام مجلس العصبة في سبتمبر ١٩٣٥ موضوع الهجرة اليهودية

٢٧ـ بدات السلطات العراقية في طرد المدرسين اليهود القادمين من فلسطين للتدريس في المدارس اليهودية منذ عام ١٩٣٠ ، وقد جرى تفتيش منزل رئيس الجمعية الصهيونية في بغداد اهرون ساسون في يناير / كانون الثاني ١٩٣٥ ، وفي ١٩٣٥/٢/٢٨ تلقى رسالة من حاكم بغداد جاء فيها : لقد علمت الحكومة انك انشأت جمعية باسم الجمعية الصهيونية في بغداد ترمي الى الاتحاد مع الصهيونية وتشجيع السكان الى الانضمام اليها وعليه فان الحكومة لا تعترف باي منظمة قائمة من هذا النوع طالما انها لم تؤسس وفقا لقانون الجمعيات . وفي تموز / يوليو هاجر الى فلسطين ، حاييم كوهين م ن ، ص ٥٢ . اعترفت السلطات العراقية بشكل غير رسمي بزعماء الجمعية الصهيونية في بغداد على انهم ممثلون للصهيونية فيما يتعلق بالهجرة طوال فترة العشرينات من القرن الحالي تقريبا . وهذا ما قاله العين عزرا مناحيم دانييل في البرلمان العراقي ايلول ١٩٤٨ فقد ذكر : «ان الحكومة العراقية سمحت بالنشاط الصهيوني في العراق ولم تمنح جوازات سفر للمهاجرين اليهود الى فلسطين الا بعد موافقة ممثل الوكالة في العراق آهرون ساسون » . راجع : جريدة لواء الاستقلال ، بغداد ١٩٤٨/٩/١٤ .

٢٨ـ اصبح فيما بعد رئيسا لدولة الكيان الصهيوني خلفا لحاييم وايزمن اول رئيس لدولة الكيان الصهيوني .

٢٩ـ وهو يسن الهاشمي .

٣٠ـ جاءت زيارة بن زفي الى العراق تلبية لطلب المنظمات الصهيونية في بغداد . حاييم كوهين ، م ن ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

الى فلسطين واعرب عن امله بان لا يسمح لها بحيث تلحق ضررا بحقوق السكان الوطنيين العرب ، ولقد لقي خطابه ترحيبا حارا في الصحافة العراقية .

٢ ـ في الحاضر

رافق نشر مقترحات المندوب السامي حول اقامة مجلس تشريعي في فلسطين في بداية عام ١٩٣٦ تجدد اهتمام الصحافة العراقية بشكل بارز بفلسطين ، كما تابع الرأى العام العراقي باهتمام ردود فعل عرب فلسطين تجاه تلك المقترحات(٣١) . وحوالي نفس الوقت زار العراق احد الشخصيات الفلسطينية البارزة (اميل الغوري) واجرى اتصالات مكثفة مع الدوائر السياسية . وفي ربيع نفس العام وصلت فلسطين وفود من وجهاء وساسة وطلاب العراق بهدف السياحة وكانت حفلات التكريم التي اقيمت على شرفهم مناسبات تعهدوا اثناءها بدعم ومساعدة رجالات العراق لعرب فلسطين في نضالهم ضد الصهيونية .

فلما بدأت سلسلة الاصطدامات الفلسطينية المتتالية بين العرب واليهود في المناطق المجاورة لتل أبيب ابريل/نيسان ١٩٣٦(٣٢) ، سرعان ما ظهرت كافة المشاعر العراقية المريرة التي كمنت خلال العام الماضي فجمعية الدفاع عن فلسطين استأنفت نشاطها وبدأت بتنظيم الوسائل لدعم العرب في فلسطين ،

٣١ـ حول الظروف التي صدرت فيها مقترحات المندوب السامي (واكهوب) وردود الفعل الفلسطينية تجاهها انظر : الكيالي ، م ن ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ والمذكرة البريطانية ، فاضل حسين ص ٣١ ـ ٣٣ .

٣٢ـ يقصد بهذه الاصطدامات الثورة الفلسطينية الكبرى التي انفجرت في ١٩٣٦/٤/١٩ من تل ابيب ثم عمت جميع انحاء فلسطين . انظر الكيالي م ن ، ص ٣٠٢ وصالح مسعود ابو نصير ، جهاد عرب فلسطين خلال نصف قرن ص ١٨٠ وما بعدها . والمذكرة البريطانية ، فاضل حسين ، م ن ، ص ٣٣ .

ففي مساء كل يوم كانت توزع النشرات عن آخر أنباء الحوادث في فلسطين ويظهر الحماس الشديد الذي كان ينطلق به موزعي النشرات في الشوارع عن مدى عمق واهتمام الجمهور العراقي بتطورات القتال في فلسطين •

وفي مايو / آيار زار وفد من النواب والاعيان العراقيين سفير حكومة صاحب الجلالةوسلموه مذكرة أعربوا فيها عن قلق العراق العميق بالنسبة للموقف، وأوضح الناطق باسمهم عن اقتناعه بأن الحقوق الوطنية السياسية والاقتصادية لعرب فلسطين لا يمكن تأمينها الا بتحديد الهجرة • وأعرب عن أمله بأن يبلغ السفير كير ذلك لحكومته(٣٣) • وأضاف : من الطبيعي أن يبدي عرب العراق اهتمامهم الشديد بمصير العرب في الاقطار المجاورة • ولذا فان أية أحداث تسبب الاسى والقلق لجيرانهم واخوانهم لابد أن تثير بشدة الشعور العام في العراق • وكعراقيين ، فانهم شديدوا الحرص على حماية وتقوية العلاقات الطيبة القائمة بين بلدهم وبريطانيا ، الا انه ابدى مخاوفه من أن يؤدي الفشل في ايجاد حل مبكر للقضية التي أوجدها العدوان الصهيوني في فلسطين الى رد فعل غير مناسب للمشاعر الشعبية في العراق • كذلك فقد ارسلت مذكرات احتجاج (صيغ بعضها بلغة فجة وصيغ بعضها الاخر بعبارات نابية ، تضمنت الاشارة الى الاعمال الوحشية التي ارتكبت من قبل القوات البريطانية في فلسطين) من قبل عدد كبير من النوادي والجمعيات في نواحي

٣٣ـ كان رئيس الوفد ناجي السويدي كما جاء في رسالة السفير البريطاني الى المستر ايدن وزير الخارجية بتاريخ ٤/مايو/١٩٣٦ وفيها شرح ما دار من حديث بين السفير ورئيس الوفد كما ارفق السفير مع رسالته نص المذكرة التي قدمها الوفد العراقي انظر حول ذلك :
Fo. 406, E 2653/94/31. Sir Clark Kerr to Mr. Eden, despatch No. 229, Baghdad, May 4, 1936, and Enclusur No. 112, Memorandum handed to Sir Clark Kerr by Deputation of Senatours and Deputies.

عديدة من البلاد(٣٤) • وارسلت نسخا منها الى عصبة الامم ورؤساء البعثات الدبلوماسية في بغداد •

ومع أن الحكومة العراقية نجحت بمهارة في منع التظاهرات والاجتماعات العامة ، الا انه عينت أياما للحداد وتنكيس الاعلام ، وافتتحت حملات لجمع الاكتتابات في عدة مدن من اجل جمع التبرعات لضحايا القتال ، وجمعت عدة آلاف من الدنانير بهذه الطريقة وارسلت الى فلسطين(٣٥) •

وفي حزيران زار العراق ممثل اللجنة العربية العليا في فلسطين وتعاظم

٣٤ـ جاء في رسالة السفير البريطاني في بغداد المرسلة الى المستر ايدن في ١٩٣٦/٥/٥ انه تلقى مذكرتين اخريين احداهما من جمعية الشبان المسلمين والاخرى من طلبة كلية الحقوق في بغداد ، سلم المذكرة الاولى وفد مؤلف من الرئيس وعضوين آخرين زاروا المستشار الشرقي ولكنه لم يذكر اسمائهم ، ولم يضمن تقريره مذكرتهم ، اما المذكرة الثانية فقد قدمت الى السفارة من قبل اثنين من الموقعين عليها ولكنهما لم يطلبا مقابلة احد في السفارة . وقد عبرت المذكرة عن المشاعر العدائية الحقيقية للطبقة المثقفة في العراق ، ووصفت الحكم البريطاني والاستيطان اليهودي بنير الاستعمار وطالبت بتحديد الهجرة مع الاستعداد بالوقوف الى جانب بريطانيا اذا بدلت سياستها .

Fo. 406/E 2654/94/31. Sir Clark Kerr to Mr. Eden : انظر Baghdad, May 5, 1936, dispatch No. 23, and Enclouser No. 133.

٣٥ـ تحدث كير في رسالته الى المستر ايدن بتاريخ ١٩٣٦/٥/٢٧ عن يوم فلسطين في العراق الذي اعلن يوم الجمعة ١٩٣٦/٥/٢٢ ، واشار الى ان معظم الصحف صدرت في هذا اليوم مجللة بالسواد ، وحفلت بالمقالات والافتتاحات عن الوضع في فلسطين ، واضاف ان الحكومة منعت عقد الاجتماع الجماهيري الذي كان مقررا ، ولكن طلاب المدارس طافوا شوارع العاصمة لجمع التبرعات لضحايا فلسطين . ولقد اشتكى السفير لرئيس الوزراء مبالغة الصحف في مقالاتها فرد رئيس الوزراء بقوله لابد من السماح للناس كي تعبر عن مشاعرها مع اتخاذ الحيطة لمنع اي عمل من شأنه ان يؤدي الى الفوضى والعنف . وقد ارفق السفير رسالته مقتطفات من =

الحماس للقضية العربية في حفلات الاستقبال التي نظمت على شرفه من قبل المنظمات السياسية في بغداد(٣٦) •

كان موقف الحكومة سليما ومفيدا ، فقد كبحت هياج الرأى العام وأحبطت أى محاولة لتوجيه الغضب الشعبي المعادي للصهيونية ضد يهود العراق ومنعت الصحف من اثارة عواطف الجماهير ، ومن شن حملات عنيفة على حكومة صاحب الجلالة(٣٧) • وبصورة عامة فقد تردد رئيس الوزراء ، ووزير الخارجية(٣٨) عن بحث الوضع مع سفير صاحب الجلالة ، ولكن عندما تلقى رئيس الوزراء (في مايو / ايار) فيضا من الالتماسات العاجلة من جميع المنظمات والهيئات المختلفة المهتمة في الكفاح العربي في فلسطين من أجل

= صحف الاستقلال ـ صوت الشعب ـ البلاد ـ العالم العربي ـ العراق
انظر : Fo. 406/E 3314/2585/93 Sir Clark Kerr to Mr. Eden, despatch No. 257 May, 27, 1936.

٣٦ـ في الحفل الذي اقيم لمندوب اللجنة العربية العليا اقترح تأليف :
١ ـ لجنة للدعاية والنشر لاخبار فلسطين .
٢ ـ لجنة تطوف على التجار الموسرين لجمع التبرعات .
٣ ـ لجنة تفاوض دور السينما والملاهي لتخصيص ربع مبيعاتها للمنكوبين
انظر جريدة الاستقلال ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ت ٢١ ، ١٩٣٦/٦/٢٢ .

٣٧ـ نشرت جريدة البلاد بتاريخ ١٩٣٦/٤/٢٣ مقالا بارزا تحت عنوان « فلسطين البارومتر الحقيقي بين العرب والانجليز » جاء فيه قولها : ليست قضية فلسطين بيننا وبين الصهيونية ، بل بيننا وبين بريطانيا فانها المسؤولة عن كل ما حدث ، فان شاءت بريطانيا أن تكسب ود العرب والمسلمين وهم اعظم قوة في الشرق فعليها ان تقلع عن سياستها في فلسطين » .
ولقد دفع هذا المقال المستر « بتمن » القائم بالاعمال البريطاني الى كتابة رسالة الى رئيس الوزراء يرجوه فيها عدم السماح بمثل هذه المقالات مستقبلا . انظر :
Fo. 406/E 2653/94/31, Op. c t, dispatch No. 299, 4/5/1936
هامش ٣٢ من هذه الدراسة .

٣٨ـ رئيس الوزراء ، ياسين الهاشمي ، ووزير الخارجية نوري السعيد .

المساعدة ، فاتح رئيس الوزراء رسميا السفير السير كلارك كير في الموضوع قائلا(٣٩) :

« ان القضية الاساسية في رايه تتمثل في الهجرة اليهودية • فالعرب في فلسطين يتوقعون في حالة استمرارها بدون قيود ان يتحولوا الى وضع أقلية ضعيفة تحت سيطرة شعب غريب متفوق عليهم كثيرا في مصادره الفكرية والاقتصادية فالخوف من هذا المصير هو الذي يدفعهم الى العمل اليائس ، وأوضح أنه يقدر جيدا صعوبات حكومة صاحب الجلالة ويعرف الضغوط القوية التي تتعرض لها من الجهات المختلفة لايجاد وطن لليهود الفارين من المانيا » •

« ومع هذا فانه يرى أن من واجبه تحذير سفير صاحب الجلالة بشكل ودي انه بالرغم مما يكنه العرب عامة من نوايا طيبة تجاه الانجليز ، فعلى حكومة صاحب الجلالة ان تدرك ان حالة التعاون بين الشعبين سوف تتدهور اذا لم يوجد حل سريع او عاجل للقضية الفلسطينية • ولاسباب تتعلق بالسياسة الداخلية ، ومن اجل علاقاتهم الحسنة مع حكومة صاحب الجلالة التي يعقدون

٣٩ـ بعث كير رسالة الى المستر ايدن حول الحديث الذي دار بينه وبين رئيس الوزراء ياسين الهاشمي ، وانه بعد ان ابدى استعداده لابلاغ حكومته وجهة نظر العراق قال : « انه لا يمكن عمل شيء قبل ان يعود النظام وتتوقف اعمال العنف ، وان مستقبل فلسطين يتوقف على تعاون العرب واليهود ، فرد الهاشمي بقوله : ان عرب فلسطين يقبلون باي حل يحميهم من التحول الى اقلية في بلد يعتبرونه وطنهم الخاص . وانه نصح اصدقائه الفلسطينيين بالصبر والثقة بحكومة صاحب الجلالة والبعد عن اعمال العنف التي لا تجلب لقضيتهم الخير ، وانه لقي استجابة لدى بعضهم » .. انظر :

Fo. 406/E 3399/2585/93.
Sir Clark Kerr to M . Eden, despatch No. 276, Baghdad, June 3, 1936

عليها آمالا كبيرة ، فان الحكومة العراقية لا ترغب (على حد قوله) أن تنزلق الى القيام باى عمل تجاه القضية(٤٠) ، ولكن ليس بوسعهم وبشكل خاص مقاومة الضغط الموجه اليهم لنصرة القضية العربية » .

ردا على مقترحات الملك عبدالعزيز بن سعود(٤١) حول ضرورة قيام كل من العراق والسعودية واليمن بعمل مشترك من أجل المساعدة لاعادة الاوضاع العادية الى فلسطين ، ردا على تلك المقترحات فاتح رئيس الوزراء في يوليو /

٤٠ــ اشارت تقارير البوليس في حكومة الانتداب في فلسطين الى ان بعض العراقيين والسوريين دخلوا فلسطين وانضموا الى الثوار في الجبال فقد وصل مؤخرا فوزي القاوقجي مع بعض الجنود العراقيين المسرحين المزودين بالعتاد والاسلحة ويتراوح عددهم ما بين (٥٠ ــ ٣٠٠) . راجع :

Fo. 371/20018, Secret, Periodical Appreciation Summary Nos. 15, 16/36, 1, 28, September 1936

وانظر : ممدوح الروسان ، العراق والسياسة العربية (١٩٢٠ ــ ١٩٤١) رسالة ماجستير ــ جامعة القاهرة ١٩٧٢ ص ٣٧٠/٣٧١ ، ويرى د . محمود خلة : ان دخول القوة العراقية بقيادة القاوقجي آب ١٩٣٦ والتي رافقت وساطة نوري السعيد كان الهدف منها تطويق الثورة ثم احتوائها وكبح جماحها . الانتداب البريطاني في فلسطين ١٩٢٢ ــ ١٩٣٩ ص ٤٤١، وانظر الكيالي ، م ن ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

٤١ــ كان الشيخ يوسف ياسين ممثل السعودية قد اعرب لممثل الحكومة البريطانية في جدة بتاريخ ١٩٣٦/٤/٢٩ بضرورة تلبية المطالب العربية فنصحه ممثل الحكومة البريطانية بعدم التدخل في الموضوع

Ben Gorion, My Talks with the Arab leaders, Jerosalem, 1972, P. 104.

ولكن على اثر فشل وساطة الامير عبدالله خلال شهري ايار وحزيران ١٩٣٦ بالنظر لعدم ثقة المفتي به ولعلاقته مع حزب النشاشيبي ، كلفت بريطانيا ابن سعود للتدخل بالنظر لعلاقاته الوثيقة مع المفتي انظر Ibid P. 105-106 ود . كامل محمود خلة م ن ــ ٤١١ ــ ٤١٢ .

تموز القائم باعمال حكومة صاحب الجلالة في بغداد حول الموضوع ، واوضح له أنه بحث اقتراح الملك عبد العزيز مع القائم بالاعمال السعودي ، وانهما أعدا مسودة مذكرة يعتقد انه بالامكان ارسالها من قبل حكومتي العراق والسعودية الى حكومة صاحب الجلالة . وهو لا يريد بأي حال متابعة الموضوع قبل ان يعرف رد فعل حكومة صاحب الجلالة تجاهها . والمذكرة عبارة عن نداء موجه الى حكومة صاحب الجلالة لوقف الهجرة اليهودية الى حين انتهاء اللجنة الملكية المقترحة من اعداد تقريرها . فهذا على ما يبدو هو الشرط الوحيد(٤٢) الذي يشعر الهاشمي انه يمكن ان يوفر املا لتدخل او توسط ناجح . فالتوسط الفاشل في رأيه سوف يكون أسوا من عدمه .

وأضاف أنه في الوقت الذي تتلبد فيه الغيوم في الافق السياسي الاوروبي فمن غير المناسب وبكل تاكيد اخضاع القوات البريطانية لعرب فلسطين بشكل فوري لانها بذلك تضعف حلقة في سلسلة الصداقة العربية الممتدة من البحر المتوسط حتى المحيط الهندي .

ارسلت هذه المحادثة الى حكومة صاحب الجلالة ، فبعثت بردها الى المستر بتمان الذي ابلغه بدوره الى رئيس الوزراء وفحواه : أن حكومة صاحب الجلالة ليست مستعدة لاذاعة أية بيانات حول الهجرة اليهودية الى فلسطين ما لم تتوقف اعمال الفوضى ويسود القانون والنظام . وحكومة صاحب الجلالة تقدر موقف الحكومة العراقية تجاه هذه القضية ، وسوف تكون ممتنة لاي عمل معتدل يمكن أن يمارسه رئيس الوزراء على العرب . وحتى اعداد هذا التقرير (١٩٣٦/٨/١٥) ، ونظرا لهذا الرد فمن المحتمل أن

٤٢- يذكر بن جوريون ان الملك غازي اضاف شرطا ثانيا وهو وقف بيع الاراضي والبحث مع عرب فلسطين حول اقامة حكومة وطنية .

Ben Gorion, op. cit., P. 107.

تفشل فكرة المبادرة المشتركة من المملكتين العربيتين المستقلتين(٤٣) •

٣ ـ الصهيونية وفكرة الوحدة العربية

الحوادث السابقة التي اشرنا اليها كانت ابرز مظاهر الحماس والغضب

٤٣ـ لم تفشل فكرة المساعي المشتركة بين العراق والسعودية كما توقع (بتمن) فقد استمرت الاتصالات خلال شهري أغسطس وسبتمبر ، والنصف الاول من شهر تشرين الاول بين جميع الاطراف المعنية بالتوصل الى وقف اعمال العنف في فلسطين ، شارك في هذه الاتصالات اللجنة العربية العليا ، والاردن والعراق والسعودية بالاضافة الى ممثلي السلطات البريطانية في القدس وجدة وبغداد ولندن وجنيف •
حاولت الاطراف العربية خلال تلك الاتصالات الحصول على وعود مسبقة من بريطانيا بضرورة اصدار عفو عام ، ووقف الهجرة اليهودية اثناء عمل اللجنة الملكية ، او تحقيق المطالب العربية المشروعة • الا ان السلطات البريطانية اصرت على موقفها وهو ضرورة وقف الاضراب بدون اية شروط مسبقة ، واضطرت الاطراف العربية الى الاستجابة للمطالب البريطانية بمناشدة ابنائهم عرب فلسطين لوقف الاضراب اعتماداً على نوايا بريطانيا المعلنة بتحقيق العدل • انظر على سبيل المثال لا الحصر المصادر التالية :

a) Fo. 371/E 6316, Mr. Bateman to M . Eden, Baghdad, Sep. 25/1936
b) Fo. 406/74, E 6095/94/31, No. 118, Mr. Bateman to Mr. Eden Sep. 27, 1936
c) Fo. 406/74, No. 129. E 6166/94/31, British Delegate, Sep. 29, 1936
d) Fo. 406/74, No. 122, Sir Clark Kerr to Mr. Eden, Baghdad, Oct. 1, 1936

وفي اغسطس ١٩٣٧ انكرت بريطانيا في عصبة الامم ان تكون وساطة الدول العربية كانت بدعوة منها ، وانما جاءت بمبادرة من العرب انفسهم وقد احجم المندوب العراقي على تكذيب هذا التصريح البريطاني انظر :
Fo. 371/20811, E 4667/22/31, Mr. Scott to Fo. Baghdad 11/8/1937, No., 187

الشعبية التي شهدتها العراق نتيجة لاحداث فلسطين خلال السنوات السبع الماضية لقد كانت صدى لما جرى من احداث خارج العراق ، ولم تشكل جزءا من المقاومة المنظمة المعادية لسياسة حكومة صاحب الجلالة في فلسطين باسم الحقوق السياسية العربية .

فحركة الوحدة العربية وان كانت حلم الحكام ورجال السياسة الا أن تأثيرها كان ضئيلا بالمقارنة بردود فعل الجمهور العفوي . كما أنها ليست ايضا معادية الى فكرة الوطن القومي اليهودي اذا ما قورنت بالعواطف الشعبية عندما تستفزها قصص المآسي التي يتحملها الاخوان العرب في فلسطين . فطموح العائلة الهاشمية يتمثل في وضع الحجاز وفلسطين وسورية بالاضافة الى العراق تحت حكم أمراء من البيت الهاشمي ،وكان الملك فيصل بطل الثورة الهاشمية راغبا منذ البداية في احتواء الوطن القومي اليهودي بشكل مقاطعة صغيرة ذات ادارة مختارة داخل الامبراطورية التي يأمل برؤيتها موحدة تحت حكم عائلته وهذا هو الفحوى الرئيسي لما يسمى باتفاق فيصل ــ وايزمن عام ١٩١٩(٤٤) . وفي السنوات التالية عندما كان الملك فيصل يبحث مع ممثلي حكومة صاحب الجلالة في بغداد موضوع الوحدة العربية كان يصرح باستمرار عن قناعته بأن التفاهم العربي ــ الصهيوني يمكن ان يتم في حالة وضع جميع الاقطار العربية في اطار أي شكل من اشكال الاتحاد الفدرالي(٤٥) . فالذي أثار العرب على حد قوله هو احتمال تحولهم الى أقلية

٤٤ــ حول هذه الاتفاقية انظر امين المميز ، عودة الى اتفاق فيصل ــ وايزمن مجلة آفاق عربية ع/٥ كانون ثاني ١٩٧٨ ، ص ١٠ ــ ١٨ .

٤٥ــ راجع الحديث الذي جرى بين الملك فيصل ووزير الخارجية البريطاني سان سيمون في حزيران ١٩٣٣ ، وفيه نسبت بريطانيا معارضتها للوحدة العربية باعتبارها عقبة امام فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . انظر : د . احمد محمود جمعة ، الدبلوماسية البريطانية وقيام الجامعة العربية ، مجلة المستقبل العربي ٥/كانون ثاني/١٩٧٩ .

مضطهدة داخل فلسطين • أما اذا اتحدت فلسطين مع سوريا والعراق فان ذلك الخطر سوف يزول ، وفي اعتقاده فان تلك الوحدة لن تحول دون قيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين(٤٦) وقد ألح الملك فيصل باستمرار بان هذا هو الاسلوب الوحيد أمام حكومة صاحب الجلالة كي تحقق وعودها المعطاة لكل من العرب واليهود •

وبوفاة الملك فيصل عـام ١٩٣٣ تعرضت الدعوة للوحـدة العربيـة لتغيرات هامة • فلم يعد الاتحاد الكنفدرالي في ظل البيت الهاشمي سياسـة

٤٦ـ عرض نوري السعيد افكارا مشابهة لافكار الملك فيصل في اللقاء الذي تم بينه وبين ونترتون (وزير الخارجيـة البريطاني) وهربرت صموئيل في باريس ١٩٣٦/٩/٢٦ انظر :

Fo. 371/20029, E 6886/94/31 Strictly Secret, Iraq Permament Delegation Geveva, dated 24/3/1936, No. 379 to His excellency the Prime Ministe , Conversation at Paris With Lord Winterton and Sir Herbert Samuel about Palestine.

وعرض نفس الافكار على السفير كلارك كير في بغداد يوم ١٩٣٦/١٠/٢٧، انظـر :

Fo. 371/20029, E 7217/94/31, British Embassy, Baghdad, 7th November 1936, Kerr to Rendal Minute by Kerr about Nuri's Idea for Permament Settlement of the Palestine Question

وكذلك حديث حكمت سليمان مع ادموند يوم ١٩٣٧/٢/٨ .

Fo. 371/20804, Kerr to Fo. 8/2/1937

اما بن جوريون قد اوضح في احاديثه مع كل من موسى العلمي ، ورياض الصلح ، وعوني عبدالهادي خلال عامي ١٩٣٤/٣٣ بان الحل في تحويـل فلسطين الى دولة يهودية في اطار الاتحاد العربي وليس اقامة مقاطعـة يهودية في فلسطين كما اقترح الملك فيصل ، كما أنه رفض تكوين اتحـاد من العراق وفلسطين وشرق الاردن قائلا :

We wanted to see only two states : Palestine including Trans Jordan, and Iraq, P. 30.

عملية ويبدو أن القادة بدأوا يفهمون بان واجبهم الاول ينحصر في تنمية المشاعر والاهداف المشتركة بين مختلف الشعوب العربية ، وهم وان لم يعودوا يركزون على توحيد الجنس العربي في ظل حاكم واحد أو أسرة واحدة ، الا أنهم أصبحوا يفكرون باتحاد فدرالي قريب من المحتمل ان يمتد يوما ما من الحدود الفارسية حتى الاطلنطي(٤٧) .

ونظرا للوضع الحالي في فلسطين فان فكرة الوحدة العربية لم تعد مهمة بذاتها بصفة خاصة ، واصبحوا يركزون اكثر على تقارب الدول العربية التي سبق لها وحصلت على استقلالها(٤٨) . وهم يشعرون أن بوسعهم الانتظار لمعالجة قضية فلسطين فيما بعد عندما تصبح العراق ومصر والسعودية وربما سوريا (فدعاة الوحدة كانوا دائما مهتمين سياسيا بسوريا اكثر من فلسطين) جبهة متحدة . وافكارهم عن الصهيونية مشابهة الى حد ما الى افكار الملك فيصل(٤٩) . وتوجد اسباب قوية للاعتقاد بان نوري السعيد وزير

٤٧- راجع حول هذا الموضوع ، وعن الدور الذي يمكن ان يلعبه العراق في تحقيق الوحدة العربية ، والذي يشبه دور بروسيا في الوحدة الالمانية / جريدة البلاد ٥٦٥ ، ١٩٣٥/٤/٥ ، وسامي شوكت ، هذه اهدافنا ، ص ٣ ، بغداد ، ١٩٣٩ .

٤٨- تبلور هذا الاتجاه بتوقيع معاهدة اخوة عربية وصداقة اسلامية وتحالف بين العراق والمملكة العربية السعودية التي بدات المحادثات لعقدها منذ وزارة علي جودت الايوبي عام ١٩٣٤ ، واستمرت في عهد حكومة ياسين الهاشمي وقد وافق مجلس النواب العراقي عليها في ١٩٣٦/٤/٩ ، وتبودلت وثائق ابرامها في ١٩٣٦/١١/١٢ ووقعت عليها اليمن في يناير ١٩٣٧ في عهد الحكومة حكمت سليمان . انظر حول الموضوع : ممدوح الروسان ، العراق والسياسة العربية (رسالة ماجستير غير مطبوعة) ، جامعة القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٤١٩ وما بعدها .

٤٩- راجع هامش ٤٥ من هذه الدراسة .

الخارجية العراقي بحث اثناء وجوده في لندن خلال الصيف الحالي(٥٠) عن حل مؤقت وفقا لتلك الاسس مع وايزمان ، وعرض عليه اتفاقا معقولا لليهود في اطار اتحاد فيدرالي للدول العربية(٥١) •

٤ ـ اثر التطورات الفلسطينية على العلاقات
بين حكومة صاحب الجلالة والحكومة العراقية

أوضحت الفقرات السابقة انه حتى الوقت الحاضر(٥٢) فان الاحداث العراقية لم تلحق ضررا جسيما بعلاقات حكومة صاحب الجلالة مع حكومة العراق • ويرجع ذلك الى قوة روابط الصداقة والنوايا الطيبة التي اوجدتها سياسة حكومة صاحب الجلالة الليبرالية في العراق من ناحية بالاضافة الى حسن ادراك الساسة العراقيين انفسهم من ناحية ثانية • مقرونا بذلك بالثقة

٥٠ـ اي صيف عام ١٩٣٦ •

٥١ـ التقى نوري السعيد يوم ٩/ /١٩٣٦ مع المستر راندال الذي اخبر نوري السعيد برغبة الحكومة البريطانية في ارسال لجنة ملكية لتقصي الحقائق ، وقد التقى في نفس اليوم مع وايزمن مقترحا عليه :

١ ـ تاجيل او وقف الهجرة اليهودية اثناء عمل اللجنة الملكية •

٢ ـ استعداد اليهود للقبول بوضع الاقلية في العالم العربي •

ويبدو ان وايزمن لم يقبل بهذين الاقتراحين خلافا لما اعتقده نوري الامر الذي دعا المندوب السامي في القدس ان يستفسر في ١٩٣٦/٦/٢٠ من وزارة المستعمرات عن صحة ما رواه نوري السعيد حول قبول وايزمن للاقتراحين ، انظر :

a) Fo. 371/20016, 12/6/1936, Conversation between Nuri & Mr. Rendal.

b) Bengorion, op. cit, P. 105

٥٢ـ اي اغسطس ١٩٣٦ تاريخ اعداد هذه المذكرة •

التي لا تزال سائدة بان الحنكة السياسية البريطانية سوف تجد حلا عادلا لقضايا العرب واليهود من ناحية ثالثة •

كعرب ، فان الوزراء العراقيين وغيرهم ممن هم في مرتبة السلطة يتعاطفون بدون شك ، وبقوة مع عرب فلسطين ، ولكنهم كسياسيين فانهم يقدرون اهمية علاقات بلادهم الطيبة والحسنة مع بريطانيا العظمى • فقد اعربوا مرارا في المحادثات غير الرسمية خلال العام الحالي عن اسفهم لحالة الفوضى في فلسطين ، ليس لانها تسبب مآسي للعرب فقط ، ولكن لخشيتهم من رد الفعل النهائي لها على العلاقات بين حكومة العراق وبريطانيا العظمى ، وعلى المشاعر العربية تجاه الشعب البريطاني ايضا •

وعلى اي حال اذا ما استمر الكفاح في فلسطين لفترة طويلة ، فمن المحتمل ان يصبح الصبر في العراق قاتلا • فحنكة الحكومة العراقية وحسن نيتها تجاه بريطانيا العظمى قد لا تكون حينئذ من القوة التي تمكنها من مواجهة ضغط المشاعر الشعبية وكنتيجة لذلك فقد تواجه حكومة صاحب الجلالة صعوبات خطيرة حقيقية في هذه البلاد •

٥ ـ موقف الحكومة العراقية من : الصهيونية واليهود في العراق

تسبب نمو الصهيونية في ظهور المشاعر العربية المريرة تجاه اليهود في العراق والتي لم تكن موجودة سابقا(٥٣) • وفي الوقت الذي يتعاطف فيه

٥٣ـ حول العلاقات بين العرب واليهود في العراق في القرن التاسع عشر قبل ظهور الصهيونية في دورها التنظيمي انظر :
Waleed Ghaddurri : The situation of the Jews in Iraq in 19th centuary. Journal of the Social Sciences vol. V, No. 4 Kuwait, Jan. 4, 1978.

العقلاء وذووا الخبرة من اليهود مع الاهداف العامة للحركة الصهيونية • فانهم يتذمرون صراحة من ردود فعلها السيئة على وضعهم في هذه البلاد • وهم يرون ان مشاعر العرب تفاقمت بالدعاية الصهيونية وليست لهم رغبة باستمرار هذه الدعاية هنا • فلديهم تصور واضح بالنسبة للمستقبل • فهم يخشون من ان يزيد التوتر الناشيء عن كفاح العرب في فلسطين بدلا من ان يقلل من قوة النوايا العربية السيئة تجاههم ، او نحوهم ، ولكن الثقة اعيدت الى حد ما نظرا للطريقة الحازمة التي اتبعتها الحكومة الحالية ، واحبطت فيها اي محاولة من قبل المتطرفين لبعث مشاعر الهياج ضد اليهود العراقيين • وسوف يستفيدون كثيرا من اية معالجة مرضية لاسباب النضال او الكفاح الحالي بين العرب واليهود في فلسطين •

٦ ـ خلاصة او خاتمة

١ ـ بالرغم من ان قادة حركة الوحدة العربية في العراق كانوا مهتمين بمستقبل او بمصير فلسطين السياسي منذ ايام الحرب(٥٤) فان المشاعر الشعبية لدعم عرب فلسطين كانت بالمقارنة حديثة النشأة •

٢ ـ اتخذ رد الفعل في العراق تجاه احداث فلسطين باستمرار شكل الهياج الشعبي من اجل دعم العرب في كفاحهم ضد اليهود •

٣ ـ وترجع اسباب تلك الهياجات الى :

أ ـ التعاطف العرقي (الجنسي) الطبيعي مع الاخوان العرب ، مقرونة بعدائهم لفكرة اخضاعهم لليهود •

٥٤ـ المقصود بها الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ •

٥٥ـ راجع هامش ٥ من هذه الدراسة •

ب ـ الاعتقاد بانهم لا محالة خاضعون لليهود ما لم يوضع حد للهجرة •

٤ ـ اتجاه الحكومة العراقية تجاه القضية اليهودية في فلسطين كان دائما وديا وسليما ، فهم لم يدعموا ابدا اية حركة مناهضة للصهيونية في فلسطين ، كما انهم لم يبادروا الى تشجيع اي هياج شعبي في العراق ، وعلى العكس من ذلك فقد حجموا بنجاح الهياج الشعبي ضمن حدود معقولة(٥٥) •

٥ ـ لم تعمل حركة وحدة العرب السياسية بالفعل شيئا تجاه الشعور المعادي للصهيونية في العراق (على الاقل كما يبدو الامر هنا في فلسطين) وقادة الوحدة العربية على استعداد لاحتواء الوطن القومي اليهودي في فلسطين في اطار اتحاد عربي على ان يكون له وضع سياسي خاص وحقوق اخرى•

٦ ـ تعرضت مكانة الاقلية اليهودية في العراق لبعض الاذى نتيجة لاستمرار الكفاح بين العرب واليهود في فلسطين ، وبالرغم من الاجـراءات التي اتخذتها الحكومة لمنع التظاهرات الشعبية المعادية لهم (اي اليهود) • لهذا السبب فالصهيونية الى حد ما غير شعبية بين يهود هذه البلاد •

الثبات والتعجب عند المعتضد بالله
في مواجهة تمرد وصيف الخادم

اعـــداد

الدكتور عبدالكريم عبده حتاملة

المشرف التربوي في مكتب اربد

ومحاضر غير متفرغ في جامعة اليرموك

الثبات والتعجب عند المعتضد بالله

في مواجهة تمرد وصيف الخادم

الدكتـــور
عبد الكريم عبده حتاملة
المشرف التربوي في مكتبة اربد
ومحاضر غير متفرغ في جامعة اليرموك

بسم الله الرحمن الرحيم

تولى المعتضد الخلافة سنة (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ ـ ٩٠٢ م) وفي عهده انتعشت الخلافة وردت اليها هيبتها بعد انحطاطها بفضل قوة شخصيته وحزمه ، وقد اكتسب خبرة واسعة منذ ايام والده الموفق الذي شاركه في كثير من اعماله الادارية والعسكرية ، فقضى على جميع القلاقل الداخلية وتصدى للخارجين على الخلافة بحزم وقوة ولا سيما القرامطة الذين قوي امرهم في الكوفة والبحرين فأنزل بهم ضربات قوية رادعة ، وامتاز حكمه بالاستقرار التام ، وساعده ذلك ابتعاد الجيش عن التدخل في الشؤون السياسية وانصرافه فقط الى الاهتمام بمجابهة الاخطار التي تهدد الدولة ، كذلك استطاع بعد حكم لم يتجاوز عشر سنوات ان يجدد دولة بني العباس التي اصابها الوهن والضعف حتى قيل فيه بدأت الدولة العباسية بابي العباس (اي السفاح) وجددت بابي العباس (اي المعتضد) .

وتبدو أهمية المعتضد بين خلفاء بني العباس في امور كثيرة : فقد راى ان التعقيد في التقويم القمري يؤدي الى العمل على جباية الضرائب في شهر نيسان على مواسم تجمع في حزيران ، ولما كان مثل هذه الشذوذ لابد ان يعرقل جباية الضرائب فقد تم تصحيحه بسهولة بصورة كانت مرضية لجميع المعنيين(١) .

---

(١) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج١١ ، ص ٣٤٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٧٨ ، المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ٧٥ .

ثم قام باجراء اخـر تناول قضيـة اخرى معقدة هي قوانين الارث في الاسلام ، فقد الغى ديوان المواريث وتوريث ذوي الارحام ، فقد كان اصحاب المواريث واجهة لابتزاز اموال الناس بالباطل • ثم انه استرجع عددا كثيرا من الاقاليم التي فقدتها الدول العباسية أثناء ضعفها كارض الجزيرة واقليم الجبل والثغور الشامية وفارس وغيرها •

كذلك منع قادة الاتراك من التدخل في شؤون الدولة واوقفهم عند حدهم وذلك بفضل قوة شخصيته وحزمه مما ادى الى استقرار البلاد واصلاحهـا ، اضافة الى انه نقل العاصمة من سامراء الى بغداد والى بنائه دار الخلافـة في الجانب الشرقي من بغداد حيث أصبحت بعد ذلك نواة المدينة الحديثة ، ثم انه قام باصلاح الامور المالية فجعل مالية الدولة مبنية على اساس رصين وانقذها من افلاسها المزمن حتى عد من خلفاء بني العباس القلائـل الذين اشتهروا بالشؤون المالية • ورغم هـذه الاجراءات التي اتبعها المعتضد بالله لتمكين خلافته واضعاف سطوة اعدائه والطامعين في ملكه ، فقد ظهرت حركات في شكل تمرد ، حاولت ان تجد في طريقها من خلال اقتطاع اجزاء من الامبراطوريـة الاسلامية واقامة دويلات تتحقق من خلالها اطماع الفاتحين بها ، كان من ابرزها حركة وصيف الخادم المسلم الارمني فيما يرجح(٢) ، وقائد مجموعة كبـيرة في جيش محمد بن ابي الساج(٣) وخادمه ، وقد تولى محمد بن ابي السـاج

---

(٢) محمد شعبان ، الدولة العباسية ، ص ١٥٢ (ط ، بيروت ١٩٨١) •

(٣) ولي محمد بن ابي الساج امرة الاحواز ، وحرب صاحب الزنج من قبـل الخليفة المعتمد (سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) وقد رغب في ضم الشام الـى ملك بني العباس عقب وفاة احمد بن طولون (٢٧٠ هـ/٨٨٣ م) ولكنه لم يوفق ، خالف اسحاق بن كنداج وحاربه وكانا متفقين على فتح الشام معا ثم خرج على الخليفة العباسي ، ودعا لخمارويه بن احمد بن طولون وهادنه ثم انتهى امره بالهرب من خمارويه، فاكرمه الموفق وخلع عليه بعد أن قيل=

اعمال اذربيجان وارمينية زمن الخليفة المعتضد ، وكان قد تغلب عليها واظهر الخلاف ، الا ان الخليفة المعتضد ولاه هذه المناطق خوفا من عصيانه(٤) ، وفي سنة (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) توفي محمد بن ابي الساج باذربيجان(٥) فاجتمع غلمانه وجماعة من اصحابه فأمروا عليهم ابنه ديوداد وانظموا الى بلاط الخليفة في حين أن أخاه يوسف خالفهم واعتزلهم(٦) . وبعد ذلك بقليل اوقع يوسف بابن اخيه (ديوداد) وكان معه جيش ابيه فهرب الجيش وبقي ديوداد في جماعة قليلة فعرض عليه يوسف المقام معه فأبى والتجأ الى بغداد(٧) . ان روح التمرد والعصيان وحب الاستقلال كانت الصفة الغالبة على محمد بن ابي الساج ، وقد تأثر بذلك خادمه وصيف الذي بدا عليه حب الانفصال والتمرد على الخلافة العباسية وذلك بسبب الترتيبات الجديدة بالنسبة للمنطقة وخلافه الشديد مع قائد مجموعة كبيرة في جيش ابن ابي الساج ويوصفه احد ابناء المنطقة ، وفعلا في سنة (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) هرب وصيف خادم محمد بن ابي الساج من برذعه(٨) وذهب الى ملطية مراغما لمحمد بن ابي الساج في اصحابه « وكتب الى المعتضد يسأله ان يوليه الثغور ليقوم بها »(٩) .

= توبته واخرجه معه لحرب الخارجين من اهل الجبل .
الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج١١ ، ص ٣٧١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٩٨ . الذهبي تاريخ الاسلام الكبير ، ورقة ١٥٣ مخطوطة . الكاتب ، المكافاة ، ص ١٤١ . خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، ص ١٠ ــ ١١ (اطروحة ماجستير) .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج١١ ، ص ٢٦٨ .
(٥) نتيجة الوباء الكثير . الطبري ، ج١١ ، ص ٣٧١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٩٨ .
(٦) الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ٨٠ .
(٧) خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش ، ص ١٠ .
(٨) في ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، برذعه ، ص ٩٤ .
(٩) الطبري ، تاريخ ، ج١١ ، ص ٣٦٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٩٤ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٥٢٠ .

ولكن المعتضد غضب كثيرا ورد عليه بعنف يأمره بالمجيء اليه ثم ارسل اليه رشيقا الحرمي(١٠) ، ولكن وصيف الخادم رفض التوجه الى المعتضد ، ومما زاد من حنق المعتضد عليه ان وصيف الخادم ارسل في ٢٠ رجب سنة (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) للمعتضد وفدا مكونا من ثلاثة اشخاص يسأله ان يوليه الثغور والدخول الى ارض الروم والتعلق بالدروب ثم يوجه اليه الخلع(١١) ، ولكن المعتضد استطاع ان يعرف نوايا وصيف الخادم من الوفود المرسل اليه. بعد ان ضربهم ضربا شديدا فذكروا له « انه فارقه على مواطأة بينه وبين صاحبه على انه متى صار الى الموضع الذي هو به لحق به صاحبه فصارا جميعا الى مضر متغلبا عليها وشاع ذلك في الناس وتحدثوا به »(١٢) .

وفي ١٦ من ذي القعدة سنة (٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م) أراد المعتضد ان يلقن وصيفا درسا قاسيا لا ينساه في حياته على فعلته هذه فتوجه الى الثغر الشامي ونزل كنيسة السوداء في طلبه فأقام بها ثلاثة ايام حتى تلاحق به الناس ، ثم اراد الرحيل في طريق المصيصه ولكنه اخبر ان الخادم يريد عين زربه ، فسأل اهل المعرفة بذلك الطريق ، وسألهم عن اقرب الطرق الى لقاء وصيف فأخذوه وساروا به نحوه ثم ارسل جيشا من عسكره بين يديه فوجدوا وصيفا فقاتلوه واخذوه اسيرا ، فأحضره عند المعتضد فسلمه الى مؤنس الخادم(١٣) ، فأمر

(١٠) وهو من كبار موظفيه اي صاحب البريد العام في جميع المناطق الواقعة في الشمال الغربي ، الطبري ، تاريخ ، ج١١ ، ص ٣٦٧ . المسعودي ، مروج ج٢ ، ص ٥٢٠ . محمد شعبان ، الدولة العباسية ، ص ١٥٢ .
(١١) الطبري ، تاريخ ، ج١١ ، ص ٣٦٨ .
(١٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(١٣) كان مؤنس في بداية حياته من الخدم الخصيان في دار الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ/٨٤٦ – ٨٦١ م) وبعد مقتل سيده انتقل الى خدمة الموفق واسهم معه في حرب الزنج ، وفي خلافة المعتضد (٢٧٩ – ٢٨٩ هـ/ ٨٩٢ – ٩٠٢ م) تقلد منصب صاحب الشرطة وذهب مع المعتضد لمحاربة

المعتضد في اصحاب وصيف بالامان وامر العسكر برد مانهبوه منهم ففعلوا ذلك(١٤) • واخيرا رجع الى المصيصة واحضر رؤساء طرسوس فقبض عليهم(١٥) لانهم كاتبوا وصيفا • ثم قام المعتضد بعد ذلك بجولة رائعة متفقدا الثغور كلها وفي طرسوس اتخذ خطوة كانت في منتهى الغرابة وفي منتهى الاهمية ايضا اذ « امر باحراق مراكب طرسوس التي كانوا يغزون فيها وجميع آلاتها وكان من جملتها نحو من خمسين مركبا قديمة قد انفق عليها من الاموال مالا يحصى ولا يمكن عمل مثلها واضر ذلك بالمسلمين وفت في اعضادهم وامر الروم ان يغزوا في البحر وكان احراقها باشارة دميانة غلام بازمار »(١٦)•

وكان دخول المعتضد الى بغداد في ٢١صفر سنة (٢٨٨ هـ / ٩٠١ م) ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد زينت الطرق وبين ايديهم وصيف الخادم على جمل فالج « لبسوا الدراريع من الحرير الاحمر والاصفر وعلى رؤوسهم البرانس »(١٧) ثم كافا واغدق العطايا للقواد الذين شاركوا المعتضد في حرب وصيف الخادم امثال خاقان المفلحي وغيره •

= وصيف الخادم . الطبري ، تاريخ ، ج١١ ، ص ٣٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل ج ٦ ، ص ٩٤ •

(١٤) الطبري ، تاريخ ، ج١١ ، ص ٣٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ص ٩٤ •

(١٥) منهم ابو اسحق امام الجامع وابو عيسى عدي بن احمد بن عبدالباقي وغيرهم من المرينين امثال البغيل (وكان من رؤوساء الثغر) وابنه . المسعودي ، مروج الذهب ، ج٥ ، ص ٥٢١ •

(١٦) الافشين : هو محمد بن ابى الساج لقب بالافشين ومات باذربيجان سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م •

(١٧) الطبري ، تاريخ ، ج١ ، ص ٣٧٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج١ ، ص ٩٤•

وقد ذكر ابن المعتز حرب المعتضد واسره لوصيف الخادم سنة (٢٨٨ هـ/ ٩٠١ م) في ارجوزته(١٨) :

واسال ثغور الشام عن وصيف تخبر بفتح عجب ظريف
قال اريد الغزو وهو آبق وليس يخفى كاذب وصادق
وقال ولوني في مكان وجاهر الاسلام بالعصيان
وسار بل طار اليه عسكره ماكان الا بالعيان خبره
فعاين الموت الذي منه هرب ومن يفوت قدرا اذا اقترب ؟
فكم وكم من هارب ذليل وكم اسير خاضع مغلول
ونائب الى الامام يعدو وذله من قبله أشد
لما اتيح لوصيف خاقان فعلمت كيف الرجال الخصيان

ثم قال :

ومات الافشين(١٩) عليه حسرة وما بكت عين عليه قطرة

---

(١٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٥٢١ .

(١٩) وهي طويلة تبلغ (٤٣٢) بيتا من الشعر وهي صورة مصغرة لنمط الملاحم كالالياذة والشاهنامة وسدت بعض النقص الذي يوجد في الشعر العربي وطبعت وحدها سنة (١٩١٣) وقد نشرها وشرحها وترجمها الى الالمانية لانغ الالماني ، هذه الارجوزة بجانب ميزتها الادبية وثيقة تاريخية هامة للاحداث في عهد المعتضد ويشرح ابن المعتز في هذه القصيدة الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفسادها قبل المعتضد واشتراكه مع والده في توطيد دعائم الخلافة العباسية والقضاء على الثائرين ثم يذكر تولية العرش وانقاذه الخلافة من الضعف الذي كان يضفي عليها واعماله الكبيرة وحروبه التي قام بها . لمزيد من التفصيلات انظر : ابن المعتز ، ديوان ، ص ٤٨١ (ط بيروت) ، خفاجي ، ابن المعتز ، ص ٣٦٥ ، احمد امين ، ظهر الاسلام ، ج١ ، ص ٢ (ط ١٩٤٥) ، تحسين حميد ، المعتضد بالله ، ص ٢٩٥ .

ويبدو ان المعتضد قد تعب كثيرا في القضاء على وصيف الخادم فقد ذكر المسعودي « ان وفاة المعتضد كان بسبب تحلل جسمه في مسيره في طلب وصيف الخادم »(٢٠) . وكان المعتضد يتعجب من شهامة وشجاعة وصيف الخادم وحزن كثيرا على موته لحسن حيله واقدام ثم قال : « ليس في طبع هذا الخادم ان يرأسه احد بل في طبعه ان يرؤس في نفسه »(٢١) .

يروى ان المعتضد ارسل اليه وهو بالسجن خادمه ليسأله عن اي شهوة ورغبة ؟ فأجاب نعم : باقة من الريحان اشمها وكتب من سير الملوك الغابرة انظر فيها ، فلما رجع الرسول الى المعتضد واخبره بما سأله امر له بما طاب وامر من تراعى نظرة في الكتب في اي فصل ينظر ؟ فاخبر انه يطيل النظر في سير الملوك وحروبها ومحنها دون سائر ماحمل الى حضرته من الدفاتر فتعجب المعتضد وقال : هو يهون على نفسه الموت(٢٢) .

وفي ذي الحجة قتل وصيف خادم ابن ابي الساج وصلبت جثته ببغداد وقيل انه مات ولم يقتل(٢٣) ، وقد ذكر المسعودي ان الخدم سألوا المعتضد ان يستروا عورته ، فأباح لهم ذلك ، فألبس ثيابا ، ولف عليه شداد جديد وخيط على مكان الثياب من سرته الى الركبتين ، وطلى بدنه بالصبر وغيره من الاطلية القابضة والماسكة لاجزاء جسمه ، فأقام مصلوبا على الجسر لاينبلى الى سنة (٣٠٠ هـ / ٩١٣ م) في خلافة المقتدر بالله(٢٤) ، وفي هذه السنة شغب الجند والعامة ، فعمدت العامة اليه تماجنا ونزلوه من فوق الخشبة

---

(٢٠) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٥٢٥ .
(٢١) المصدر نفسه ، ص ٥٢١ .
(٢٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٢٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٩٩ .
(٢٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٥٢٢ .

وقالوا : قد وجب علينا حق الاستاذ ابي علي وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا ، من يبلى على هذه الخشبة ، فلفوه في رداء بعضهم وحملوه على اكتافهم ، يرقصون ويغنون فيصيحون حوله : الاستاذ ، الاستاذ ، فلما ضجروا من ذلك طرحوه في رجله وذلك انهم شيعوه في الماء سباحة ، فغرق منهم في جريه خلق كثير(٢٥) ٠

(٢٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها ٠

المصادر والمراجع

● المصـــادر ●

- ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) : ابو الحسن علي بن ابي الكريم محمد الشيباني ، الكامل في التاريخ ، ١٢ جزءا عني بمراجعه اصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ .

- ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) : عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم العباسي ، ديوان ابن المعتز ، ط بيروت ، دار صادر (بلا) .

- الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) : ابو عبدالله شمس الدين محمد بن الاحمد .

  - تاريخ الاسلام الكبير ، مجلد ٣ ، مخطوطه موجوده في مكتبة الاوقاف المركزية ، بغداد ، رقم ٨٢ .

- العبر في خبر من غبر ، ج ٢ ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٠ — ١٩٦١ .

- الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) : ابو جعفر محمد بن جرير .
  تاريخ الامم والملوك (١٣ جزءا) ، الطبعة الاولى بالمطبعة الحسينية ، مكتبة خياط ، بيروت (بلا) .

- الكاتب (ت ٢١٣ هـ / ٨١٨ م) : ابو جعفر احمد بن يوسف .
  المكافأة ، المطبعة الاميرية ، بولاق ١٩٤١ .

- المسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي .
  مروج الذهب ومعادن الجوهر ٩ اجزاء ، بيروت (١٣٨٥ هـ/١٩٦٦ م).

● المراجـــع ●

- الجنابي ، خالد : تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، بغداد ١٩٧١
- أمين ، احمد : ظهر الاســـلام ، جزءان ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الخامسة ، بيروت ١٣٨٨ هـ ٩٦٩ .
- تحسين ، حميد : المعتضد بالله ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ١٩٧٠ .
- خفاجي ، محمد عبد المنعم : ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٨ .
- شعبان ، محمد عبد الحي محمد : الدولة العباسية ، بيروت ، ١٩٨١ .

عبد الرحمن الكواكبي

رائد من رواد النهضة الحديثة

الدكتور محمد حسين الزبيدي

عبدالرحمن الكواكبي

رائد من رواد النهضة الحديثة

الدكتور
محمد حسين الزبيدي

ولد عبد الرحمن الكواكبي في مدينة حلب في ٢٣ شوال سنة ١٢٧١ هـ ـ ١٩٥٤ م ، ويرجع نسبه الى السيد ابراهيم الصفوي احد امراء اردبيل العظام(١) وكان في بيت الكواكبي نقابة الاشراف في حلب ولها مدرسة تسمى المدرسة الكواكبية وابوه احد المدرسين في الجامع الاموي بحلب والمدرسة الكواكبية فيها .

وفي سن السادسة من عمره في سنة ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م توفيت امه وفقد الحنان الذي لايعوض وغابت عنه سكينة النفس وفقد الامن والطمأنينة التي كان يجدها في حنان امه ، ثم يغترب رغما عن الاب ، لان ظروف الدهر لاترحم فقد ابتلى بهذه المحنة التي ظهرت نفسه في بودقة الخالدين ، وعودته منذ نعومة اظفاره على مكابدة ظروف الدهر وتضعه الاقدار على طريق الجهاد المرير .

فقد رحل عبد الرحمن من حلب الى انطاكية ليعيش مع خالته السيدة (صفية بنت مسعود النقيب) وكانت سيدة فاضلة من بيت مرموق وكانت من نوادر النساء في الشرق عرفت بالادب والكياسة وكبر العقل(٢) كانت تجيد القراءة والكتابة في ذلك العصر ، وقد تعهدته بعد وفاة والدته .

استفاد الكواكبي من رجاحة عقلها وكبر نفسها كثيرا ونظرته على الميل للحق وحب الخير ، كما علمته اللغة التركية التي اجاد تعلمها فيما بعد بمدرسة

(١) رواد النهضة الحديثة ، ص ٢٥٧ .
(٢) احمد امين : زعماء الاصلاح ، ص ٢٤٩ .

الشيخ (طاهر الكلزي) بحلب ، مكث الكواكبي عند خالته ثلاث سنوات عاد بعدها الى حلب ليعيش في كنف ابيه ، فأعتنى به عناية فائقة وادخله مدرسة الشيخ (طاهر الكلزي) فتعلم فيها العلوم العربية والفارسية والتربية ، وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره سافر الى انطاكية سنة ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م ، وقد صار في هذا العصر مدركا للامور ادراكا كبيرا ، وقد اثرت الطبيعة الجميلة فيها تأثيرا فعالا في صقل ذهنه وصفاء نفسه ، فانعكست هذه الطبيعة الخلابة على نفسه وغمرتها بمشاعر الاطمئنان والرضا ، وهناك دخل مدرسة خاصة ضمت نخبة طيبة من كبار العلماء والمفكرين في ذلك العصر ، فهم : العلامة عبدالرحمن لعلبي عضو شورى الدولة هذا ينتسب لام الكواكبي والسيد نجيب عم والدته وكان يومها يعمل استاذا خاصا لامير مصر عباس حلمي ، ولكن عبد الرحمن لم يطل الاقامة في انطاكية فقد عاوده الحنين الى مسقط رأسه حلب الشهباء فشد الرحال اليها وكان يومها ابن الثانية عشرة ، وهناك ادخله ابوه المدرسة الكواكبية التي كان والده مديرا لها ومدرسا فيها ، فتعلم الكواكبي فيها كما يتعلم ناشئة زمانه وهي مبادىء الدين واللغة العربية وقد تتلمذ فيها على نخبة ممتازة من علماء عصره ومنهم : الشيخ عبد القادر الحبال والشيخ محمد علي الكحيل امين الفتوى في حلب وغيرهم من العلماء البارزين وفي الوقت نفسه تلقى العلوم العصرية على يد الاستاذ خورشيد من اشهر الادباء الاتراك ، فاتقن اللغة التركية واللغة الفارسية تكلما وكتابة وكانت مدرسة الكواكبي هذه تسير على الطريقة الازهرية فيما يقرأ من كتب وما يتبع من منهج ، ولكنه اكمل نفسه بقراءاته بعض العلوم الرياضية والطبيعية وطالع بنفسه كثيرا من الكتب التاريخية وكانت صحف اسطنبول تصل الى حلب وفيها خير الترجمات عن الغرب وحضارته فاعانته لغته التركية الجيدة على متابعة تيارات الفكر الغربي واتجاهاته المختلفة ، وفضلا عن ذلك فقد عني بدراسة قوانين الدولة العثمانية درسا دقيقا فاحاط بها احاطة تامة ، ويقول

رشيد رضا : (ان الكواكبي لم يتعلم من علوم النفس والاخلاق والسياسة وطبائع المال والفلسفة في مدرسته ، وانما عمدته في هذه العلوم ما طالعه منها من المؤلفات والجرائد التركية) (٣) .

ولما اتم الكواكبي دراسته انغمس في الحياة العملية وتنوعت اعماله وتباينت اتجاهاته وكان اول عمل قام به وهو في الثانية والعشرين من عمره محررا غير رسمي في صحيفة (فرات) العربية التركية التي انشأها المؤرخ التركي (احمد جودت باشا) وقد ساهم في تحرير هذه المجلة ايضا ، كامل الغربي ومحمد الحنفي ،وظلت هذه الجريدة توالي صدورها اربعا واربعين عاما حتى سنة ١٩١١ م . وبعد عام واحد على عمله في الجريدة عين محررا رسميا براتب شهري قدره (٨ ليرات عثمانية ذهبا) وهو مرتب محترم يومها ، ولكن الكواكبي لم يبق طويلا في عمله ، فقد تركه وانشأ جريدة يحررها بالاشتراك مع هاشم العطار سماها (الشهباء) سنة ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٨ م ، فكانت اول صحيفة عربية خالصة الفكر والاتجاه والعقيدة تشهدها ولاية حلب وقد وصف كامل الغربي هذه الجريدة فقال(٤) : ان هذه الصحيفة كانت اول معان اذاع بين الناس فضل هذا العبقري وكشف لهم عما كان منصوبا عليه من المنزلة الرفيعة في عالم السياسة والادب .

وقد ايقظت مقالات الكواكبي النارية في هذه الجريدة خمير والهبت عزائمهم وبعثت فيهم روحا جديدة ، وقد اقبل الناس على هذه الجريدة اقبالا شديدا ، حيث وجدوا الكواكبي الثائر المؤمن يواجه الحاكم المتجبر ويتحدى السلطان وبطشه بشجاعة نادرة متحدي كل الوان التعسف والعنف والاضطهاد ، ولم يستطع الوالي العثماني (كامل باشا القبرصي)

---

(٣) رشيد رضا : مجلة المنار سنة ١٩٠٢ .
(٤) مجلة الحديث : حلب ، سنة ١٩٢٩ .

الملقب بعدو الحرية والصحافة ان يصبر طويلا على الكواكبي ، فكانت مقالاته النارية قد ارهقته وايقظت الشعب من سباته وكادت تجتاح البلاد ثورة عارمة على الحكم العثماني البغيض ، فأغلق الجريدة بعد ان صدر منها خمسة عشر عدد فقط ، ولكن غلق جريدة (الشهباء) لم يفت في عضده او يستكن او يستسلم الى المصير الذي انتهت اليه الجريدة فقد انشأ في العام التالي جريدة (الاعتدال) بامتياز سعيد بن علي باشا شريف باللغة العربية والتركية واستمر فيها على نهجه السابق بهجومه على الاستبداد والظلم فاحدث في البلاد دويا هائلا وصدى واسعا فألغاها الوالي (جميل باشا) (٥) •

وفي سنة ١٢٧٥ هـ في ٩ اذار ١٨٧٩ م عين عضوا فخريا (بغير راتب) في لجنتي المصارف والمالية ، ثم اخذت اعماله ومسؤولياته تمتد الى مناصب عدة ، وقد ترك الكواكبي آثارا واضحة في ميادين الحياة العامة ومجالاتها الكثيرة •

وفي سنة ١٨٨٦ م استقال من وظائف الدولة واشتغل بالمحاماة لتحرير ظلامات الناس وشكاواهم ضد الولاة العثمانيين فأرتفع شأنه في بلده فكان يقصده اصحاب الحاجات لقضائها وذوو المشاكل لحلها وكان رجال الحكومة انفسهم يستشيرونه فيما غمض عليهم ، وهو في كل ذلك جريء فيما يقول لايقر ظالما على ظلمه ولا يسالم جائرا لمنصبه او جاهه من اجل هذا غاضب (عارف باشا) والي حلب واخذ يعدد سيئاتهم وينقم عليه تصرفاته ويحرض الناس على رفع صوتهم معه بالشكوى منه لرؤسائه في الاستانة ، فانتقم (عارف باشا) منه فزور على الكواكبي اوراقا واتهمه بانه يسعى لتسليم حلب لدولة اجنبية وحبسه وطلب محاكمته ، فبذل الكواكبي ورجاله جهدا كبير ليحاكم في ولاية غير ولايته (حلب) وحوكم في بيروت فحكم ببراءته وظهرت خيانة الوالي ومكايده فعزل(٦) •

---

(٥) احمد امين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٦) احمد امين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

هجرتـه الى مصـر :

لما وجد الكواكبي نفسه غير قادر على مواصلة الكفاح فكر في الهجرة الى بلد ليستطيع ان يستأنف فيه كفاحه ، وان يشهر قلمه الناري مرة اخـرى في وجه الاستبداد والطغيان وينادي بآرائه في الاصلاح .

لقد هاجر الكواكبي الى مصر سنة ١٣١٦ هـ ١٨٩٩ م في سن السـابعة والاربعين من عمره فوجد منها خير ملاذ له ولجميع المناضلين والاحرار وقادة الفكر الذين ضاقت بهم بلادهم فقد كانت آنئذ موطنا لضحايا الحكم العثماني وجور السلطان عبد الحميد .

كانت مصر يومها خاضعة للنفوذ البريطاني وكان الانكليز يشجعون كل حركة مناوئة للدولة العثمانية ويغذونها من أجل مصالحهم ، كما ان الخديوي عباس حلمي الثاني كان على خلاف مع السلطان عبد الحميد يقرب اليه الفارين والمعارضـين لحكمـه .

ومع هذا كانت مصر تعمها نهضة ادبية كبيرة بفضل اعلام النهضة الادبية في ذلك الوقت وفي مقدمتهم الشيخ محمد عبده .

كما ظهرت طبقة ممتازة من الصحفيين وعلى رأسهم الشيخ علي يوسف صاحب جريدة (المؤيد) حيث فسحت هذه المجلة صفحاتها لمقالات الكواكبي كما برزت كوكبة من الشعراء امثال احمد شوقي وحافظ ابراهيم ومحمـود سامي البارودي وفي هذا الجو الذي ساد مصر وصل الكواكبي اليها .

وقد التقى الكواكبي في مصر بمجموعة من اخوانه من الاحرار السوريين الذين هاجروا اليها قبله ، فقد وجد فيها (رشيد رضا) الذي فر الى مصـر سنة ١٨٩٨ م وعبد الحميد الزهراوي الـذي لعب دورا بارزا في تاريـخ الحركة العربية بعد ان تولى رئاسة المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس

سنة ١٩١٣ م ، الذي اعدمه جمال باشا السفاح في شهر مارس ١٩١٦ م ، حين زج بعدد كبير من احرار العرب الى المشنقة .

كما التقى الكواكبي بالشيخ طاهر الجزائري الذي لعب دورا كبيرا في اليقظة العربية في سورية وكذلك محمد كرد علي وابراهيم سليم النجار وغيرهم وكان ملتقى هذه الصفوة مقهى (اسبلندوبار) في القاهرة مساء كل يوم .

وقد ساعد الكواكبي رشيد رضا بالتعرف على المرحوم علي يوسف صاحب جريدة (المؤيد) وتوثقت بينهما اواصر الصداقة والمحبة ففسحت له جريدتا (المؤيد والمنار) صدرهما لنشر مقالاته عن الاستبداد ولم يكن يذيل باسمه وانما اتخذ لنفسه رمزا (مستهدى . لامستبد) او توقيع (مجيب)(٧).

وقد اتخذ الكواكبي سكنا له بحي الحسين قرب الجامع الازهر .

وفي مصر تعرف الكواكبي على الخديوي عباس الثاني وتوثقت العلاقة بينهما ، وقد تعرف الخديوي بالكواكبي عن طريق رشيد رضا والشيخ علي يوسف ، وقد ساعد هذا الجو على نشر كتابه طبائع الاستبداد على شكل مقالات في الصحف المصرية .

رحل الكواكبي من مصر الى البلاد العربية والاسلامية . فزار اولا : السودان ووصل الى سواحل افريقيا الشرقية وزار زنجبار والحبشة ثم عاد بعد ذلك الى مصر .

ثم رحل رحلته الثانية الى الحجاز وصحراء الجزيرة العربية واليمن ومنها سار الى الهند ووصل الى ميناء كراشي وطاف بالسواحل الجنوبية لليمن ، حيث عاد على ظهر سفينة حربية ايطالية ، وقد عاد الكواكبي الى مصر

---

(٧) عبدالرحمن برج : عبدالرحمن الكواكبي ، ص ٧٣ .

بذخيرة كبيرة عن حالة البلاد والتي زارها .

وقد قيل يومها ان ايطاليا هي التي يسرت للكواكبي رحلته هذه لانها كانت تتوق الى نجاح المساعي المبذولة لاخراج الخلافة الاسلامية من تركيا ، وانها كانت تتطلع الى بسط نفوذها الاستعماري على شواطىء البحر الاحمر .

لقد كانت السنوات المعدودة التي قضاها الكواكبي في مصر ١٨٩٩ هـ - ١٩٠٢ م من اهم فترات حياته حيث نشر فيها كتاب (ام القرى) وجمع مقالاته التي نشرها في الصحف عن الاستبداد في كتابه الذي سماه (طبائع الاستبداد) واستطاع ان يهاجم السلطان عبد الحميد ، وان يؤلب الناس لقد كان الكواكبي منذ صباه وعلى امتداد سنوات حياته طرازا نادرا من الناس ونموذجا للخلق السوي والنفس الراضية وللوقار والحلم . والفطنة والنجدة وعفة اللسان وصدق الارادة ، كان يقول الحق ولو على نفسه ، ومن كان هذا حاله يقاسي الامرين ولا يهدأ له بال ، فكان ينصح بعضهم بالرجوع عن الجور والعسف فحنقوا عليه من جراء ذلك وتواطأ لبعض العمال مع الاعيان عليه ، وساموه من ضروب التنكيل الوانا فصبر على ما اصابه كما يصيب في العادة المنورين العقلاء في البلاد الشرقية ، كان رحب الصدر عاقلا يخاطب الناس على قدر عقولهم ، فهو سياسي محنك مع الساسة وعمراني اجتماعي مع علماء العمران ، وعالم دين مع علماء الدين ، وتاجر مع التجار ، وصانع من الصناع وعامل مع العمال وكبير من الكبراء ، بحيث كان الناظر اليه لاول وهلة يقرأ في جبهته امارات العقل والخبرة والعلم الوافر(١) .

كان الكواكبي يقف مع اعدائه موقف المنصف العاقل فعلى الرغم من ان الشيخ أبا الهدى الصيادلي كان من الد اعدائه بسبب رفض الكواكبي التصديق على نسبه وقد اصبح نقيب اشراف حلب وكانت النقابة في آل الكواكبي ، فلما سافر الى مصر كان الكواكبي يثنى على الصيادلي ، ويجد

فيه الصفات الحسنة كالمروءة والكرم والذكاء والثبات وقلما يخوض في انتقاده الا مع الخواص الذين يعرفون الحقائق فكانت عداوته عـــداوة العاقـــل الرزين(٨) وكان فوق ذلك مؤدب اللسان فلا تؤخذ عليه هفوة ، يزن الكلمة قبل ان ينطق بها وزنا دقيقا حتى ولو القى عليه السلام لفكر في الاجاز بـــه ، متزنا في حديثه ، اذا قاطعه احد سكت وانتظر حتى يتم حديثه ثم يصـــل ما انقطع من كلامه فيؤدب بذلك محدثه ، نزيه النفس لايخدعها مطمع ولا يغريها منصب ، شجاعا فيما يقول مهما جرت عليه شجاعته من سجن وضياع مـــال وتشريد وهو مع انفته وعزته وزهـــوه وتكبره على الكبراء ــ متواضـــع للبائسين والفقراء يقف دائما بجانب الضعفاء ، يشع على من يجالسه الاتزان والتفكير الهادىء وحب الحق ونصرة المبدأ والتضحية للفضيلة(٩) .

وفـــاة الكواكبـــي :

توفي الكواكبي ليلة الخميس ٥ ربيع الاول سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م بالذبحة الصدرية ، وشيعت القاهرة جنازته في موكب مهيب حضره مندوب عن الخديوي عباس ، ودفن في مقبرة (باب الوزير) بسفح جبل المقطم على نفقة الخديوي .

ورثاه الكتاب والمفكرون والشعراء وصدرت الصحف تنعاه في العالـــم الاسلامي ، ورثاه مصطفى صادق الرافعي بقصيدة طويلة منها :

راوا حـــول نعشه .

ســـلوا حامليـــه هـــل راوا نعشـــه

ملائكة مـــن حـــارب خلف حـــارب

(٨) نوري يعقوب النجار : عبدالرحمن الكواكبي ، صحفيا ، ص ٥٧ . رسالة ماجستير ــ غير مطبوعة .

(٩) احمد امين : زعماء الاصلاح ، ص ٢٤٩ .

وهل حملوا التقوى الى حفرة الثرى
وساروا بذلك الطود خلف المناكب
وهل اغمدوا في قبره صارما اذا
تجرد راع الشرق اهل المغارب
فكم هزة الاسلام في وبجه حادث
فهز صقيل الحد عضب المضارب
ارى حسرات في النفوس تهافت
لها قطع الاحشاء من كل جانب

ترك الكواكبي كتابين جليلين هما (طبائع الاستبداد) و (ام القرى) اما كتاب (طبائع الاستبداد) فهو مجموعة مقالات نشرها في الصحف عندما كان في مصر سنة ١٣١٨ هـ ، ثم جمعها في كتاب وقال في اوله :

« اني نشرت في بعض الصحف ابحاثا علمية سياسية في طبائع عن قاصد بها ظالما بعينه ، ولا حكومة مخصصة ، انما اردت بذلك تنبيه الغافلين لمورد الداء الدفين ، عسى ان يعرف الشرقيون انهم هم المتسببون لما هم فيه ، فلا يبقون على الاغيار ولا على الاقدار ، ثم اضفت اليها بعض الزيادات وحولتها الى هيئة هذا الكتاب » .

وعلى الرغم من اعلان الكواكبي انه لم يقصد ضالما بعينه ، فان مهاجمة الاستبداد قد افزعت السلطان عبد الحميد الثاني ومنع الكتاب من دخول البلاد العثمانية ، وبرغم ذلك تسربت نسخ كثيرة منه الى الناس في بلاد الشام وغيرها .

لقد عرف الكواكبي الاستبداد فعرفه ، بانه صفة للحكومة المطلقة العنان التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب .

ونعت المستبد : بانه المتحكم في شؤون الناس بارادته لابارادتهم وبحكم هواه لابشريعتهم ، ويعلم من نفسه انه الغاصب المعتدي فيضع كعب رجله على افواه الملايين من الناس يسدها عن النطق بالحق ومطالبتها به ، وقال ايضا : « المستبد يود ان تكون رعيته بقرا تحلب وكلاما تتذلل وتتماق وعلى الرعية ان تدرك ذلك فتعرف مقامها منه ، هل خلقت خادمة له ، او هي جاءت به يخدمها ما استخدمها الرعية العاقلة مستعدة ان تقف في وجه الظالم المستبد تقول له لا اريد الشيء ثم هي مستعدة لان تتبع القول بالعمل ، فان الظالم اذا ارى المظلوم قويا لم يجروا على ظلمه »(١٠) .

وقد بحث الكواكبي في كتابه هذا بشكل مفصل علاقة الاستبداد بالدين فقال : ان كل الاديان وفي مقدمتها الاسلام تنهى عن الاستبداد ولا تحث عليه، واكد على ان الاسلام مبني على قواعد الحرية السياسية ثم تناول الاستبداد والمجد فبين على ان الحكومة المستبدة تقيل في النفوس العزة على عكس الحكومات الديمقراطية فهي تشعر كل شخص من رعيتها بالعزة التي يحميها العدل ، كما عرض الكواكبي للاستبداد والمال واثر الحكومة الاستبدادية في الثروة ، فاكد ان الحكومة الاستبدادية تسبب اختلال نظام الثروة ، ونادى بانه يجب ان لا يكون هناك اثرياء بدون عمل ، فهو يطالب بان يكون احراز المال بوجه مشروع حلال .

وتناول ايضا اثر الاستبداد في فساد الاخلاق ، فالاستبداد يتصرف في اكثر الميول الطبيعية والاخلاق الفاضلة فيضعفها او يفسدها فانه يرغم حتى الاخيار منهم على الفة الرياء والنفاق ولبئس السيئتان(١١) .

ثم ابان ان الحاكم المستبد يخشى العلم لان العلم نور وهو يريد ان

---

(١٠) عبدالرحمن الكواكبي : طبائع الاستبداد ، ص ٢٢ .
(١١) الكواكبي : طبائع الاستبداد ، ص ١٠٠ .

تعيش الرعية في الظلام لان الجهل يمكنه من بسط سلطانه .. « وروى ان حاكما مستبدا شرقيا كان له مرب سويسري فقال له يوما بعد ان تآمر « ليتك تعنى بتربية الشعب وتعليمه » ، فقال الامير « كلا اني ان علمته صعب علي حكمه » .

وخاطب الكواكبي قومه لايقاظهم فقال : « ياقوم جعلكم الله من المهتدين وكان اجدادكم لاينحنون الا ركوعا لله ، وانتم تسجدون لتقبيل ارجل المنعمين ولو بلقمه مغموسه بدم الاخوان واجدادكم ينامون الان في قبورهم اعزاء ، وانتم احياء معوجه رقابكم اذلاء فياقوم الهمكم الله الرشد متى تستقيم قاماتكم وترتفع من الارض الى السماء انظاركم وتميل الى التعالي نفوسكم » (١٢) .

كذلك خاطب الكواكبي وطنه باسلوب حماسي من ذلك قوله ايها الوطن العزيز هل ضاقت رحابك عن اولادك ، ام ضاقت احضانك من افلاذك ، كلا انما فقدت الاباة ، فقد الحماة ، فقدت الاحرار .

وينتهي الكواكبي في كتابه هذا الى ان القضاء على الاستبداد منها بان نبث في الامة العلم ، اي علمها بان حالتها سيئة فاذا هي عملت يبتدىء فيها الشعور بالام الاستبداد .. ويستشهد بقول الشاعر :

اذا لم تقم بالعدل فينا حكومة　　فنحن على تغييرها قدراء

اما كتابه الثاني « ام القرى » فقد استعرض فيه احوال المسلمين بصفة عامة ، تحدث فيه عن جمعية وهمية خيالية عقدت مؤتمرا من المسلمين في مكة حضره ممثل لكل قطر اسلامي فعضو شامي ، وعضو اسكندراني ، مصري ومقدسي وبصري ومكي — الخ .

---

(١٢) نفس المصدر ، ص ١٠٩ .

واسندت رئاسة الجمعية للعضو المكي والسكرتارية « للفراتي » ويعني الكواكبي •• واجتمعوا كلهم قبيل الحج في مكان قطر من مكة يتداولون في حالة المسلمين ، وكان اول اجتماع لهم في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣١٦ هـ •

والكواكبي في اختياره مكة مقرا لاجتماع الجمعية التي تحملها هـــو تاكيد للدور ألهام الذي ينبغي على العرب ان يلعبوه في قيادة الامة الاسلامية كما كان في صدر الدولة الاسلامية •

وقد ناقش المجتمعون في هذا المؤتمر الوهمي عوامل ضعف المجتمـــع الاسلامي وكيفية علاجه ووصف انجح السبل للقيام على « فتور المسلمين » وبعد انتهاء الاجتماع لخص الفراتي « الكواكبي » ، اهم مادار في الاجتماع فقـــال(١٣) •

يستفاد من مذكرات جمعيتنا المباركة ان هذا الفتور المبحوث فيه ناشيء من مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه ، لاعن سبب واحد او اسباب قلائـــل يمكن مقاومتها بسهولة ، وكل هذه تعود الى ثلاثة اسباب هي : —

ثانيا : اسباب سياســية

اهمها : تأثير عقيدة الجبر في تفكير الامة ، ونشر مايدعو الى التزهيد في الدنيا ، وترك السعي والعمل ، واختلاف المسلمين فرقا وشيعا ، واضاعة سماحة الدين وتشديد الفقهاء المتاخرين وادخالهم في تعاليمه الخرافـات والاوهـام والبدع المضرة • وعدم المطابقة بين القول والعمل في الدين ، اعتقد ان العبارة هي « وتهوين غلاة الصوفية شأن الدين ••• الخ » والتوســع في تأويــل النصوص ، والتحايل على التحرر من الواجبات ، واعتقاد منافاة العلــوم

(١٣) الكواكبي : أم القرى ، ص ١٥٠ •

الحكمية والعقلية للدين ونبذ الحرية الدينية جهلا بمزيتها والغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة والحج .

وتدور الاسباب السياسية كلها حول الاستبداد والسياسة الحالية من المسؤولية وسوء الحكام ، وحرمان الامة حرية القول والعمل وفقدانها الامن والامل ، والعدل والتساوي في الحقوق بين افراد الامة ، واحرار الامراء على الابتعاد وانغماسهم في الترف والملذات ، وجعل جل اهتمامهم في جباية الاموال دون مراعاة مصلحة الرعية .. واعتبار العلم صدقة يحسن بها الامراء على الخاصة وابعادهم للناصحين وتقريبهم للمتملقين .

وقد انكر في هذا الباب على سلاطين آل عثمان تلقبهم بالقاب الخلافة . وراح يدعو الى حق العرب في هذه الخلافة ويدعو الى ان يكون خليفة المسلمين عربيا قرشيا : ومرجع هذا الرأي يعود الى ماشاهده الكواكبي في التاريخ ، بالنسبة للدور الذي لعبه العرب في قيام الاسلام وانتشاره والصلة الوثيقة التي تربط العرب بالاسلام ، والمركز الخاص الذي يحق للعرب ان يحتلوه في تسيير دفة الاسلام .. وكذلك يؤكد الكواكبي فضل لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم « والعرب عموما لغتهم هي اللغة العمومية بين كافة المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون والعرب لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من العرب » .

وقد اشاد الكواكبي ومجد بالعرب فهم اقدم الامم اتباعا لاصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية ، والعرب اعرق الامم في اصول الشورى في الشؤون العمومية واهدى الامم لاصول المعيشة ، واحرص الامم على احترام العهود عزة ، واحترام الذمة الانسانية ، واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف مروءة ، والعرب انسب الاقوام لان يكونوا مرجعا في الدين وقدوة للمسلمين حيث كان بقية الاقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا

ينفرون عن اتباعهم اخيرا ... فهذه الاسباب هي التي جعلت جمعية ام القرى تعتبر العرب الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية .

ثالثا : اسـباب خلقيـة :

وجد الكواكبي ان عوامل ضعف الاخلاق تتركز في : الاستغراق في الجهل والارتياح اليه ، واستيلاء الياس على النفوس ، والاخلاد الى الخمول وفساد التعاليم ، وفساد النظام المالي ، واهمال طلب الحقوق العامة جبنا وتفضيل الوظائف على الصنائع ، والتباعد عن المداولات في الشؤون العامة .

ويمكن القول ان كتاب « ام القرى » ينم عن سعة اطلاع وصدق واخلاص وسمو فكر وبعد نظر وشجاعة وصراحة ، وكانت بحوثه بحوثا علمية تحلل وتشخص الداء وتصف الدواء الناجح .

وقد قارنه الاستاذ احمد امين بالافغاني فقال : اكتوى جمال الدين الافغاني من السياسة الغربية الاوربية ولعبها بالمسلمين فصب عليها جام غضبه واستغرقت حملته على السياسة الانكليزية اكبر قسم في « العروة الوثقى » .

واكتوى الكواكبي بالسياسة العثمانية فكانت موضع نقده . نظر الافغاني الى عوامل السياسة الخارجية للمسلمين فدعاهم الى ان يناهضوها . ونظر الكواكبي الى المسلمين فدعاهم الى اصلاحها ، فانها ان حلمت لم تستطيع السياسة الخارجية ان تلعب بهم . ولذلك كانت معالجة الافغاني للمسائل معالجة ثائر ، تخرج من فمه الاقوال نارا حامية له ومعالجة الكواكبي ، معالجة طبيب يفحص المرض في هدوء ويكتب الدواء في اناة والافغاني غضوب والكواكبي مشفق ، الافغاني داع للسيف ، والكواكبي داع الى المدرسة .

الافغاني حاد الذكاء حاد الطبع والكواكبي رزن الذكاء هادىء الطبع فلا عجب ان كان للافغاني قوى المدافع . وكان للكواكبي خرير الماء يعمل في بسط حتى يفتت الصخر(١٤) .

(١٤) احمد امين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، ص ١٠٦ .

صمود البصرة

ومقاومتها للهجمات الفارسية المتكررة في العقد الثالث من القرن السابع عشر

الدكتور طارق نافع الحمداني
جامعة بغداد / كلية التربية
قسم التاريخ

« صمود البصرة ومقاومتها للهجمات الفارسية المتكررة

في العقد الثالث من القرن السابع عشر »

الدكتـور
طارق نافع الحمداني
جامعة بغداد ـ كلية التربية ـ قسم التاريخ

وقفت مدينة البصرة ، كما تقف اليوم ، صامدة كالطود الاشم امام الهجمات الفارسية المتكررة خلال العقد الثالث من القرن السابع عشر . وقد كان لتلك الوقفات أثرها الحاسم في افشال المخططات الفارسية من جهة ، وفي صنع حالة النصر من جهة أخرى .

واذا ما استعدنا احداث العقد الثالث من القرن السابع عشر سرعان مانجد أن أهداف الفرس من هجماتهم المتكررة على البصرة مطابقة لاهدافهم اليوم ، وهي عدم الرغبة بقيام حكومة قوية في العراق عامة ، وفي البصرة خاصة ، وعدم الرغبة باتتعاش الحالة الاقتصادية فيها على حساب الموانيء الفارسية . فهي والحالة هذه اهداف سياسية واقتصادية حاولوا تحقيقها من وراء عملياتهم العسكرية ضد البصرة في الفترة موضوعة البحث . فالدوافع السياسية ترجع لقيام حكومة آل افرا سياب القوية في البصرة في نهاية القرن السادس عشر ، وتعاظم مكانتها ونفوذها خلال معظم فترات القرن السابع عشر ، وتخوف الحكومة الصفوية من ذلك خصوصا وقد أظهر آل افرا سياب تعاطفا مع الحكام المشعشعين العرب في الاحواز(١) . اما الدوافع الاقتصادية فتعود الى ازدياد النشاطات التجارية للبصرة في السنوات التالية لسقوط هرمز ، وتحول تجارة الهند في الخليج العربي من ميناء بندر عباس (كمبرون) الى البصرة . وقد نظر الشاه عباس الى عملية التحول هذه بروح ملؤها الكراهية والحسد ، وكان لايزال تواقا بتحويل التجارة من ميناء البصرة

---

(١) انظر ادناه .

والتقليل من الفوائد التي تجنيها منها ، وتحسين الفرص والظروف للتجار الفرس ، وكان هذا سببا اخر للمحاولات الفارسية العدائية على البصرة(٢) .

واذا ما أنتقلنا من العموميات الى الخصوصيات نجد ان حكومة آل افرا سياب التي تشكلت في البصرة في نهاية القرن السادس عشر ، على أثر ضعف الوجود العثماني هناك ، انما ارادت ان تقيم لنفسها حكومة قوية ومستقلة ، تختلف عن الحكومة التي أقامها العثمانيون في البصرة بعد دخولهم اليها في عام ١٥٤٦ ، والتي كانت حكومات ضعيفة وغير قادرة على المحافظة على الاوضاع هناك . وقد تطلب هذا الامر من افرا سياب الحصول على تأييد ودعم السكان العرب هناك ، الذين لم ينجلوا عليه بمثل هذا التأييد والدعم طالما انه يستهدف نفض النير التركي عن البصرة واعلان استقلالها(٣) . وعلى هذا الاساس فقد أظهر افرا سياب(٤) استعدادا كبيرا للدفاع عن البصرة

(٢) راجع تفاصيل ذلك في المصادر التالية :
C.R. Boxer, Chapter in Anglo-Portugnese relations in the Gulf 1615-35, (ed.) by G. Prestage (Great Britain, 1935), pp. 46-130; Nile Streensgaurd, Carracks, Caravans and Companies; Asia trade in the 17th Century (Copenhagen, 1973), pp. 353-4.

(٣) جون باتيست تافرنيه ، العراق في القرن السابع عشر ، نقله الى العربية وعلق حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ، ١٩٤٤) ص٩٦ ، رحلة فنشنسو الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمها عن الايطالية وعلق عليها الاب الدكتور بطرس حداد ، المورد م ٥ ع ٣ (بغداد ، ١٩٧٦) ص ٨٤ .

(٤) تشير بعض المصادر الى ان اسلاف افراسياب كانوا من سلاجقة اسيا الصغرى . الا ان المعروف بان والده كان قد تزوج من امراة عربية من الدير شمال مدينة البصرة ، وقد اتبع هو واولاده واحفاده سياسة عربية خالصة انظر . فتح الله الكعبي ، زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر (بغداد ، ١٩٢٤) ص ١٧ ، ستيفس هيمسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط (بيروت ، ١٩٤٩) ص ٩٥ .

وحمايتها من الهجمات الفارسية المستمرة .

ومنذ السنوات الاولى لاقامة حكومة آل افرا سياب في البصرة (١٥٩٦)، استطاع مؤسسها الاول افرا سياب من استعادة سيادة حكومته على الاجزاء الشرقية من شط العرب ، التي اصبحت لفترة وجيزة تحت نفوذ الامير العربي المشعشعي مبارك بن عبد المطلب بن بدران (٩٩٨ ـــ ١٠٢٥ هـ / ١٥٩٨ ـــ ١٦١٦ م) ، وقيامه بفرض ضريبة على أهلها(٥) . وعلاوة على ذلك ، فقد استكمل افرا سياب تلك السيادة بانتزاع بعض مواقع ومدن شط العرب مثل مدينة قبان ـــ على الساحل بين بندر معشور وشط العرب ـــ من الحاكم الصفوي كتاش أغا أفشار ، وتحطيم نفوذ كل من تعاون معه من الحكام والامراء والحيلولة دون تكرار هجماتهم على البصرة(٦) .

وهكذا انتعشت الامارة التي اقامها افرا سياب في البصرة ، واصبحت تمارس سياسة معقولة وحازمة بشأن علاقاتها مع العثمانيين والفرس ، سواء في عهد افرا سياب (١٥٩٦ ـــ ١٦٢٤) او في عهد ولده علي باشا (١٦٢٤ ـــ ١٦٥٠) . فهما وان اعترفا بالسيادة العثمانية الاسمية على المنطقة ، الا انهما عملا في الوقت نفسه على بناء حكومة محلية مستقلة في البصرة بعيدة عن

---

(٥) الكعبي ، المصدر السابق ، ص ١٧ ،

Pedro Teixeira (1604), Travels of Pedro Telexeira (trans.) by W.F. Sinclair (ed.) by D. Ferguson, Hakls Soc No. IX (London, 1902), p. 25;

محمد هليل الجابري ، امارة المشعشعين ، رسالة ماجستير غير منشورة (بغداد ، ١٩٧٣) ، ص ٥١ .

(٦) الكعبي ، المصدر السابق ، ص ١٨ ،

. Teixeira, op. cit., p. 27

اي تأثير مباشر او غير مباشر في شؤونها(٧) بيد انهما اتخذا سياسية مغايـرة في علاقتهما مع الشاه الفارسي كما سنوضح ذلك أدناه •

اذ يبدو بان نجاح افرا سياب في تحقيق استقلالية البصرة عن النفـوذ العثماني قد دفع الشاه الفارسي عباس الكبير (١٥٨٨ ـ ١٦٢٩) ، بخاصـة بعد الاحتلال الفارسي لبغداد عام ١٦٢٣ ، بان يطلب الى افرا سياب ان يتخلى عن الاعتراف بالسيادة العثمانية ويتقبل السيادة الفارسية(٨) • وبالاضافـة الى ذلك ، فقد طالب بان تضرب النقود باسم الشاه ، وان يذكر اســمه في الصلوات العامة ، وان يتخذ سكان البصـرة الطريقة الفارسية في الملبس • ومقابل ذلك ، فانه سيعترف بافرا سياب كحاكم وراثي على البصرة ، لايقدم شيئا من الجرايه ، وان يتمتع باستقلال كامل في ادارة كل القضايا المحلية(٩) • وقد رفض افرا سياب عروض الشاه هذه لانه لم يرضى ان يفرط باستقلال

(٧) احمد بن عبدالله الغرابي البغدادي ، عيون اخبار الاعيان ممن مضى من سالف العصور والازمان ، مخطوطات المتحف العراقي برقـــم ٩٣١١ ، ورقـة ٢١٢ •

A Chronicle of the Carmelities in Persia and the Papal mission of the XVII the and XVIII the Centuries (London, 1939), Vol. 1, p. 274.

(٨) عبد علي ناصر الحويزي ، تاريخ الامارة الافراسيابية ، تحقيق محمـد الخال (بغداد ، ١٩٦١) ، ص ٥ ، ٢٧ ، وذلك في حديث نقله المؤلف عـن علي باشا افراسياب •

(٩) انظـر

Pietro Della Valle, The Travels of Pietro bella valle into the East India and the Arabian desert (London, 1665), p. 249;

وزلازل الانهار في نسب الائمة الاطهار ، مخطوط مكتبة المتحف العراقـي
ج • ج لوريمر ، دليل الخليج العربي ، القسم التاريخي
(قطر ، الدوحة ، بدون تاريخ) ، ج٤ ، ص ص ١٧٦١ ـ ٦٢ •

البصرة ، وانه على حد تعبير ديلافال Della Valle ، الـذي كان معاصرا لتلك الاحداث « كان يعرف طرق واساليب الشاه الفارسي ، ولم يعر لها اي اهتمام ، كما انه لم يعرض للخطر سلامة حكومته التي شيدهـا ، لقاء وعود براقه(١٠) • وقد كان هذا الرفض ، اضافة الى امتعاض الشاه من انتعاش تجارة البصرة ، السبب الرئيسي للحملة الفارسية الاولـى ضـد البصـرة(١١) » •

في عام ١٦٢٤ أمر الشاه عباس أمام قلي خان ، حاكم شيراز ، بـان يقود جيشا من شيراز لمهاجمة البصرة • وحالما وصـل الجيش الفارسي الى قبان ـ التي كانت في ذلك الحين من أعمال البصرة ـ فقـد هاجـم ذلك المكان(١٢) واما فيما يتعلق باستعدادات حكومة البصرة ازاء هذا الهجـوم فقد كانت عظيمة للغاية • اذ يصف لنا الحويزي(١٣) ، وهو شاهد عيان لذلك الهجوم ، تجهيز الباشا خيرة قواته البرية والنهرية ، والخروج بها لملاقاة العدو في القبان ، والنزول باحـدى القلاع الحصينة لهذا الغرض • وقـد كان افرا سياب نفسه يدير أمر القتال الذي نشب بين القوات الفارسية الغازية وبين القوات البصرية ، التي أظهرت معنوية عالية في الوقوف بوجه الجيش الفارسي

(١٠) Della Valle, op. cit., p. 249

(١١) لوبمر ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٧٦٢ •

(١٢) لوريمر ، المصدر نفسه ، William Foster, (ed.), The English Factories in India, 1624-29 (Oxford, 1909), p. x
يشير الى ان الفرس حاولوا الحصول على مساعدة الاسـطول الانكليزي الموجود في الخليج العربي ، الا ان الاخيرين رفضوا ذلك خوفـا من دخولهم في حرب مع الاتراك •

(١٣) تاريخ الامارة الافراسيابية ، ص ص ٥ ـ ٧ •

رغم ضخامة اعداده ، واجباره على التراجع(١٤) •

وقد اتبع علي باشا نفس سياســة والده في رفض مقترحات وعروض الشاه الفارسي التي كانت ترمي الى وضعه تحت السيادة الصفويــة ، وذلك على أثر تسنمه لمنصب حكومة البصرة في عام ١٦٢٤ • ويمكن ان يقال الامر نفسه بالنسبة للامراء العرب المشعشعين في الاحواز ، الذين رفضوا تدخــل الشاهات الفرس في شؤون امارتهم الداخلية ، بخاصة فيما يتعلق بقضية عزلهم او تعيينهم • وقــد شق هؤلاء الامراء المبعدون ، كلما تعرضـــوا للضغط الصفوي ، طريقهم الى البصرة الى بلاط علي باشا افرا سياب ، حيث وجدوا الحماية وتجنبوا العقوبة الصفوية(١٥) من ذلك ان منصور بن عبد المطلب ، احد الامراء المشعشعين في الاحواز ، عندما رفض ان يسهم في مساعدة الشاه الفارسي في حملته لحصار بغداد عام ١٦٢٣ ، أثار عمله هذا حنق الشـــاه عباس فوجه قوة كبيرة لطرده من منصبه • وقد توجه الامير منصور مع حوالي خمسمائة من اتباعه الى علي باشا افرا سياب ، الذي استقبلهم بكل حفــاوة وتكريم ، مما أدى الى أثارة غضب الشاه وحقده على علي باشا ، ودفعه هذا الغضب والحقد الى تجهيز حملة ثانية لمهاجمة البصرة في عام ١٦٢٥(١٦) •

جاءت المحاولة الفارسية الجديدة التي قادها أمام قلي خان ايضا بعــد احتلال هرمز وبغداد عام ١٦٢٣ ، وبعد فشل الفرس في التدخل في شـــؤون حكومة البصرة • ومع تقدم القوات الفارسية نحو المدينة ، فقد جرت هنــا

---

(١٤) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ١٠ ، Della Valle, op. cit., p. 250 الذي اكد قول الحويزي بانكسار القوات الفارسية وتكبدها خسائــر فادحة في هذه الحملة .

(١٥) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ٣٦ ، ضامن بن شدقم ، تحفة الازهار برقم ١١ ، الورقات ١٢٣ ، ٢٤٢ .

(١٦) Della Valle, op. cit., pp. 248-9.

استعدادات كبيرة قامت بها حكومة علي باشا افرا سياب واهلوها من أجل الدفاع عن مدينتهم ، ووضع حد للاعتداءات الفارسية المتكرر عليها . فعلى الصعيد الرسمي اعلن باشا في الثالث عشر من اذار ١٦٢٥ التجنيد العام في البصرة ، وقد استجاب لهذا النداء كل سكان البصرة وارسلوا المتطوعين لمساعدة القوات المتحاربة . ويصف لنا ديلا فال Della Valle

الذي كان موجودا في البصرة عندئذ الموقف قائلا عندما أعلن التجنيد العام في البصرة كان على كل بيت ان يرسل رجلا مسلحا الى معسكر الباشا لمعاضدته في الحرب ضد الفرس(١٧) . اما على الصعيد الشعبي فقد تعالت الاصوات الوطنية بحيث انها شملت مختلف الفئات والملل . وظهرت هناك مبادرات طوعية لنصرة الباشا . فعلى سبيل المثال ، قام الشيخ عبد السلام الثاني ، وهو من الرجالات المعروفة في ذلك الوقت ، بتجنيد عدد كبير من اتباعه وانصاره للانضمام الى قوات علي باشا افرا سياب ، وكان من بينهم حوالي ٢٠٠ من الصابئة(١٨) . وسار علي باشا مع قواته البرية كلها ، مصحوبا ببعض السفن الحربية ، حيث توجه الى القرنة لانه كان من المتوقع ان تعبر القوات الفارسية من هناك ، لاعتراض سبيلها ومواجهتها(١٩) .

وفي صبيحة الثالث والعشرين من اذار ١٦٢٥ انسحبت القوات الفارسية فجأة تاركين وراءهم كل شيء حتى مؤنهم وتجهيزاتهم العسكرية قبل ان تطلق

---

(١٧) Della Valle, op. cit., p. 247

(١٨) Ibid, p. 251; انظر ايضا ياسين باش اعيان ، لمحة موجزة عن : تاريخ اسرة باش اعيان الكوازيين العباسيين في البصرة ، مخطوطات المتحف العراقي برقم ١١٥٢٠ ، ص ٧ .

(١٩) حيث يشير الى استنجاد الباشا بخمس Della Valle, op. cit., p. 249 سفن برتغالية راسية في شط العرب لحماية المدينة . انظر ايضا لديمر دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص ١٧٦٣ .

طلقة واحدة • وقد عزي هذا الانسحاب المفاجيء في حينه اما لتعزيز هرمز ضد البرتغاليين ، او بغداد ضد العثمانيين ، او قندهار ضد المغول(٢٠) • ومهما يكن السبب فان البصرة قد انقذت ، وعادت القوات الحكومية والمتطوعة في السابع من نيسان الى البصرة ، وسط مظاهر الانتصار ، بعد ان صمدت بوجه القوات الفارسية المهاجمة •

وفي عام ١٦٢٨ (١٠٣٨) (٢١) قاد أمام قلي خان حملة ثالثة مؤلفة من ثمانية الاف رجل في محاولة أخرى لاحتلال البصرة • وقد وصفت هذه الحملة من قبل الحوليات المعاصرة بانها اضخم حملة سبق للفرس ان ارسلوها الى البصرة(٢٢) • وترتبط احداث هذه الحملة مرة أخرى بالمطامع الفارسية في البصرة ، وعدم انصياع حاكمها علي باشا افرا سياب لطلبات الشاه عباس ، فاستحكمت العداوة بينهما ، طالما ان الامر يمثل وسيلة واضحة من الجانب الفارسي للتدخل في شؤون البصرة(٢٣) • وفي الوقت نفسه ، تقدم جيش فارسي اخر من بغداد ، التي كانت عندئذ تحت الاحتلال الفارسي (١٦٢٣ —

---

(٢٠) Della Valle, op. cit., pp. 251-2; See also C.R. Boxer (ed), Commentaries of Ruy de Andrade 1619-33 (London, 1930), pp. 204-5; Wilfrid Blunt, Pietro's pilgrimage; Ajourney to India and back at the beginning of the seventeeth century (London, 1935) p. 290.

(٢١) يرد تاريخ هذه الحملة بصورة غير دقيقة من قبل بعض المؤرخين ومنهم الكعبي ، المصدر السابق ، ص ١٩ الذي يذكرها في عام ١٦٢٦ • ويبدو ان التاريخ المثبت في المتن هو الصواب لانه جاء معتمدا على رواية الحويزي الذي كان شاهد عيان لتلك الوقائع (المصدر السابق ، ص ٢٧) ، وعلى تقارير وكالات شركة الهند الشرقية انظر :
Foster, The English Factories in India 1624-29, p. 237.

(٢٢) A Chronicle of the carmelities in Persia, Vol. 2, p. 284

(٢٣) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ٢٧ •

١٦٣٨) ، بقيادة الشاه عباس نفسه • وقد حاول الشاه الفارسي ان يضم الى قواته ايضا بعضا من افراد القبائل العربية في منطقة الجزائر التي تخضع لنفوذ آل افرا سياب ، الا ان علي باشا كان على علم بذلك ، فاتخذ كافة الاحتياطات اللازمة لمواجهة ذلك الخطر(٢٤) •

وعندما وصلت القوات الفارسية حدود مدينة البصرة ، فقد عسكرت على الاطراف الغربية منها ، وزادت من ضغطها على المدينة ، بحيث اصبح الموقف فيها حرجا تماما(٢٥) • ولكن القوات الفارسية واجهت مقاومة شديدة ، خصوصا بعد ان عزز علي باشا مواقع حامياته في القلاع المختلفة المحيطة بالبصرة ، كقلعة سويب ، وكردلان وقبان ، ونظم كل من انضم اليه من اهل الجزائر والاحواز(٢٦) والبصرة •

لقد استخدمت قوات علي باشا المدافع والبنادق في ايقاف تقدم القوات

(٢٤) المصدر نفسه •

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨

Achronicle of the carmelities in Persia, Vol. 1, p. 284.

(٢٦) من الجدير بالذكر فان تزايد الحملات الفارسية على البصرة في الفترة موضوعة البحث جعل افراسياب يعتمدون على مساعدات بعض القبائل العربية في منطقة الاحواز ، مثل آل فضل (قبيلة عربية من المشعشعين) ، الذين قدموا للافراسياب خدمات خاصة عام ١٦١٩ ، وقبائل كعب العربية التي استقرت في منطقة قبان ، وكان لها دورا واضحا في الدفاع عن البصرة اثناء الحملة الفارسية الثالثة عام ١٦٢٨ . وتظهر هذه المشاركة الروح العربية العالية التي تحملها هذه القبائل ، في مساندتها للقوات البصرية ضد الهجمات الفارسية انظر . مصطفى عبدالقادر النجار ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥ (القاهرة ، ١٩٧١) ص ٤١ ، صالح محمد العابد ، امارة كعب العربستانية في : الحدود الشرقية للوطن العربي ، تأليف نزار عبداللطيف الحديثي واخرون (بغداد ، ١٩٨١) ص ٢٢٩ •

الفارسية الغازية(٢٧) • كما واستعملت في الدفاع عن البصرة خدعة رأى الفرق ، فغمرت بالماء البطاح المنبسطة اميالا عديدة حولها • فاضطر الفرس الذين احدق بهم الماء ، وكان قد بلغهم خبر وفاة الشاه عباس ، الى رفع الحصار(٢٨) • وحالما انتشرت تلك الاخبار الهامة في كانون الثاني ١٦٢٩ ، فقد رفع أمام قلي خان حصاره عن المدينة ايضا وتراجع بسرعة كبيرة مع كافة قواته بدون تحقيق اية نجاحات تذكر(٢٩) • وقد استغلت قوات علي باشا الفرصة كاملة وذلك بمطاردة فلول الجيوش الفارسية الهاربة والاستيلاء على كميات كبيرة من الاسلحة والمؤون والتجهيزات التي تركها(٣٠) •

وهكذا فشلت جميع المحاولات الفارسية لاحتلال البصرة ، وكان لصمود هذه المدينة ، والتلاحم الوثيق بين القوى المختلفة فيها ، العامل الاهم والمباشر في صد الهجمات الفارسية واحباطها ، وهو نفس الموقف الذي تشهده البصرة اليوم وقادها الى النصر •

---

(٢٧) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ •

(٢٨) تافرنييه ، العراق في القرن السابع عشر ، ص ٩٧ ، لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٩٩ •

(٢٩) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ •

Achronicle of the carmelities in Persia, Vol. 1, p. 284.

(٣٠) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ٢٩ ، الكعبي ، المصدر السابق ، ص١٩ •

الأزياء العربية عبر التاريخ

الدكتور سعدون محمود الساموك
كلية الشريعة / جامعة بغداد

الازياء العربية عبر التاريخ

الدكتـور
سـعدون السامولد
كلية الشريعة ـ جامعة بغـداد

مقدمة البحث :

يتناول بحثنا هذا استعراضا تأريخيا للازياء العربية وتطورها منذ اقدم العصور التي عاشها الانسان العربي ، في العراق وفي غيره من الاقطار العربية مبينا تأثير العراق على المنطقة في هذا الصدد ـ لاسباب تتباعد ما بين نفسية وسياسية واقتصادية •

ثم يستعرض البحث ازياء الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام وبعـده ، وتفاعل العراق مع الجزيرة في ذلك •• ثم التحدث عن مواقف المحافظين والقادة السياسيين او الفقهاء في كل مسألة عند ظهور الازياء الجديدة •

وكدراسة اجتماعية يقارن البحث مابين العامة والخاصة ، فيبين مواقف العصور من الازياء ومشاركاتها في اسـتحداث الجديد منها •ثم بيان أثر التقلبات السياسية والتفاعلات الاجتماعية مع المجتمعات غير العربية على ظهور او ضمور بعض الازياء •

لقد تناولت البحث بايجاز غير مخل ، مركزا على النقاط الرئيسية التي تبرر تطورات الازياء خاصة ، غير متناس ذكر ما يحتاجه الامر من آيـة او حديث يعضدانه او الاستشهاد برأي أو بيان نقد ، ثم مستشهدا بالشعر ان امكن ، او ذكر اسماء من لعب دوره في تطوير الازياء على مـر العصـور مرجعا كل امر الى مصدره الذي استقيت منه معلوماتي •

والله من وراء القصد •

اثر العراق القديم في تطور الازياء :

بقدر ما تلعبه العواصم الاوربية من تطوير واختراع في الموضات والازياء رجالية (وهي محدودة) او نسائية (وهي الاكثر انتشارا وتنوعا) ، فأن تأريخنا العربي يحدثنا عن تأثير العراق القديم وعواصمه الشهيرة اور والوركاء وبابل في هذا المضمار .. ولابد من بيان سبب ذلك التأثير قبل الدخول في تفصيلاته ، فتحصر تلك الاسباب بـ :

١ ـ نظرة تلك الامم « اي السومرية والكلدانية والاشورية » الى الجمال والمرأة ، والى الحرية التي تضمنها تلك النظرة لكل انسان فيها .. فاذا ما تذكرنا كيف أن « شبعاد » كانت اول ملكة في تأريخ الامم لادركنا قيمة المساواة بين الجنسين في عراقنا القديم والذي بدأت الدول العظمى تطالب به وتدركه الان .. ثم ان احدى عجائب الدنيا السبع وهي « جنائن بابل المعلقة » مابنيت الا حين اراد نبوخذنصر أن يوفر السعادة لزوجته ثم ان نظرة بسيطة في متاحفنا القديمة ، تجعلنا نشعر بقيمة الحلي والاساور النسائية التي كان الرجل يوفرها للمرأة العراقية القديمة وهو ما يعكس نظرته الجمالية واحترامه لشخص المرأة .

٢ ـ وكسبب آخر لتأثير حضارتنا العراقية بالامم المجاورة لها قديما ، هو السلطةالسياسية التي كانت تتفوق بها الدول العراقية والتي كانت تدير بها شؤون من يجاورها في كثير من الاحيان(١) .. ولا شك في أن السلطة تؤثر كثيرا في تطوير وتنويع الازياء اذا ما ادركنا اهميتها عندهم .

لازالت بعض المتاحف العالمية ومنها العراقية تحتفظ بتماثيل او بقايا

(١) لقد تضمن كتاب الدكتور احمد سوسة « العرب واليهود في التاريخ » صورة كاملة لتاثير دول العراق القديم على المنطقة المحيطة به في الفترات المختلفة .

مهمة تعكس الازياء القديمة ، واحتفظت لنا بعض الكتابات التي عثر عليها على بعض تفاصيل فيها(٢) •• الا ان اهم مايقال فيها أنها كانت تحظي بالتقليد من قبل الامم المجاورة •• وقد تقل درجة التقليد اذا ما ابتعدنا قليلا الى وادي النيل حيث نشأت هناك حضارة سارت مع حضارة وادي الرافدين وان كانت في العراق اكثر ايغالا في القدم حيث ان معلوماتنا التأريخية عن العراق تتعدى الخمسة الاف سنة(٣) •• ولكن الرسوم التي عثر عليها في وادي النيل بسبب الاهرام وغيرها قد جعلت الحديث عن ازياء الفراعنة أسهل منه عن العراق ، ولكن الظاهر ان الفترات الاخيرة من عهد الفراعنة وخاصة تلك التي صاحبت اعتلاء « كليوباترا » العرش وبعده قد خلطت ازياء الفراعنة مع الملابس الرومانية وبانت وكأنها متشابه معها •• بينما ظلت الازياء العراقية محافظة على اصالتها الى الفترة التي بدأت آخر الهجرات (السامية) وهي الهجرة العربية، فبدأت الازياء العراقية (وهي العربية القديمة) بالاختلاط بالازياء العربية الجديدة وتتأثر بها حتى حلت الاخيرة محلها تماما وخاصة بعد ظهور الاسلام •

ولقد نظر العرب الى المرأة نظرة تكريم واحترام ، فقد اعتلت المرأة في كثير من الاحيان العروش ، فزنوبيا تملكت تدمر(٤) وحظيت بتأييد العرب لها ، ولو تصفحنا تأريخ الاسلام لوجدنا ممالك او امارات عربية كثيرة كانت تحكمها « امرأة »(٥) بل وقد تنجح فيها اكثر من الرجل ، ولكنها أصبحت انسانا ملحقا بالرجل في العصر العثماني الاخير ، حيث كان الجهل سببا في كارثتها والاساءة الى موقعها الاجتماعي •

---

(٢) راجع كتاب « الحرف والصناعات اليدوية » للدكتور وليد الجادر (بغداد ١٩٧٢) حيث يتضمن معلومات وافية عن ذلك . كذلك اصدرت مديرية الاثار العامة كتابين عن الازياء السومرية (١٩٦٦) والبابلية (١٩٦٧) .

(٣) Geschichte S. 2-3

(٤) اعلام النساء ، جـ٢ ، ص ٦ وما بعدها .

(٥) انظر حسن ، ص ١٠٨ و ١١٥ وكذلك اعلام النساء ١/٢٧ .

كان الرجل يتغزل بالمرأة ، وكانت المرأة ترد عليه وفاء او هجاء ، لذا فقد نبغت شواعر لاحصر لهن في الجزيرة او بقية البلاد العربية ، بل وكان لابد وان تبدأ قصائد الشعراء بالغزل مما يدل على قيمة المرأة وتقدير الناس لها في الجاهلية .

وحين كانت المرأة سلعة تباع وتشترى في عمليات الزواج عند كل الامم(٦) كانت المرأة العربية صاحبة الكلمة فيها .. وليست حكاية «الخنساء» شاعرة العرب « وام الشهداء » ببعيدة عن اذهاننا ، فحين خطبها شاعر العرب وفارسهم « دريد بن الصمة » ، قابلته وامتحنته باسئلة كثيرة ، فقررت الا تتزوجه ، وحين هجاها عارضته بقصيدة اخرى(٧) .

وحين شب عبدالله بن عبدالمطلب والد النبي « ص » كانت نساء قريش يتغزلن بجماله مما دعا اخت ورقة بن نوفل الى خطبته لنفسها ، الا انه كان معجبا بآمنه بنت وهب ام النبي « ص » فاعتذر عن خطبة الاولى وتزوج من آمنة(٨) وحين قوي ساعد النبي « ص » ونجح في تجارة قام بها لخديجة « رض » اعجبت به فخطبته لنفسها(٩) فوافق النبي على الزواج منها بل وحظيت ام المؤمنين بحبه طيلة حياتها . وكانت المرأة تسأل عن زواجها قبل الموافقة عليه طيلة العصور حتى اصبح ذلك شرطا لازما لصحة الزواج في الاسلام(١٠) . فاذا كانت المرأة بتلك المنزلة في الجاهلية والاسلام ، فلا شك في ان احترام المجتمع لارادتها في اختيار ملابسها واناقتها شرط لازم يصاحب

---

(٦) اصول الدعوة ، ص ١٣٣ .
(٧) اعلام النساء ٣٦٣/١ وما بعدها .
(٨) حميد الله ، ص ١٩ وما بعدها . وابن هشام ١٥٥/١/١ .
(٩) حميد الله ، ص ٦٠ وما بعدها . وابن هشام ١٨٧/١/١ .
(١٠) « الايجاب والقبول » من اهم اركان عقد النكاح . راجع ذلك في كتاب « الزواج وبيان احكامه في الشريعة الاسلامية » ص ٢٧ وما بعدها .

احترامهم لشخصها .. لذلك فنحن نرى ان الازياء والموضات التي ظهرت على مر العصور العربية لاتعد ولا تحصى ، منها ماتجد رواجا وقبولا ومنها ماتجد رواجا ورفضا من جنس الرجال تصاحبها احتجاجات كثيرة في بعض الاحيان كما سنبين ذلك .

وكان لرواج الموضات في العصر الجاهلي ما شجع مناسج اليمن والعراق والشام وكذلك بلاد فارس وسواحل الهند بالقيام بتجارة واسعة مع الجزيرة ، فكانت الاسواق العربية ممتلئة بالقطن والصوف والحرير والديباج والدمقس والسندس والاستبرق والخز .

ومن ازيائها مارق نسجه ودق خيطه وكانت تدعوه المهلهل او الهفاف ومنه ماكثف نسجه وغلظ خيطه وهو الصفيق والحصيف .

ومنها المطرزة بالذهب والمزينة بانواع النقوش ، وكانت عجائز النساء يرتدين (المدرع) وصغيراتهن يلبسن (المجول) وهما قميصان لا اكمام لهما . ثم اشتهرت موضة (النطاق) وهو ثوب تشده المرأة الى وسطها وترخي اعلاه على نصفه الاسفل(١١) .. وهو من موضات اورباء في العصر الحاضر .

وكانت المرأة الجاهلية ترتدي (المريلة) (١٢) لتصون بها ملابسها الثمينة . وكانت تشدها من الوسط وترخيها الى الاسفل ، وهي تشبه (المريلة) التي ترتديها بعض النساء الاوربيات في هذه الايام(١٣) وكانت تسمى (الميدع) .

وعندما كانت بعض الثياب تصف مفاتن الجسم ، فأن (ازارا) خاصا

(١١) راجع عفيفي ١٢٥/١ ـ ١٣٢ والدكتور حسن ، ص ١٢٢ وما بعدها .
(١٢) حسن ، ص ١٢٣ .
(١٣) ترتدي نساء مقاطعة بايرن بالمانيا الغربية مثل هذه المريلة وتنتشر ايضا في النمسا وسويسرا وشمال فرنسا .

كان يستر مفاتنهن ان اردن ذلك .. الا ان ذلك الازار قد تطور عند الاعاجم في العصور المتأخرة حتى اصبح عباءة تقيدت بها المرأة المسلمة لفترة طويلة لازالت تعاني منها كثيرات الى اليوم رغم ان الاسلام لم يأمر بها ولا يوجد حديث يدل على لزوم ارتدائها حيث ان مايستر من الجسم عند الجنسين معروف وواضح(١٣) .

ومن الازياء التي انتشرت عند النساء في الجاهلية موضة (جر الذيول) وهو رداء يرسل ذيلا نفيسا موشى بالذهب او الجواهر ، وترتديه المرأة في الاعياد او الحفلات او المآدب العامة(١٤) .. وما اشبه هذا الزي بما ترتديه النساء العربيات وغيرهن في الحفلات العامة هذه الايام .

ومن المؤكد ان الرجال قد قلدوا المرأة في الجاهلية ، فأصبحت لثيابهم ذيولا فيها النفيس من المعادن او الجواهر يرتدونها في حفلاتهم وسهراتهم واستمروا فيها حتى مبعث النبي « ص » فمنع النبي ارتدائها فقال « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة »(١٥) .

وكان اهتمام نساء الجاهلية بالحلى اشد من اهتمامهن بالثياب ، فكن يشترين الجواهر النفيسة ويتحلين بها ، ولم تكن المرأة لتخلع حلها الا في الاحزان والنكبات ، وكن يحلين كل عضو من أجسامهن بقطعة مناسبة « فمن ذلك الاكليل وهو عصابة مرصعة بالجواهر تحيط به جبينها ، والقرط وهو ماعاق في اسفل الاذن ، فأما ماعلق في اعلاها فالشنف ، وقد اتخذن للمعصم سوارا وللساعد جبرة وللعضد دملجا ، ولم يقتصرن على ذلك ، بل لبس الخاتم والفتح في اصابع ايديهن وارجلهن ، أما الخاتم فهو ماله فص والفتح مالا فص

---

(١٤) حسن ، ص ١٢٤ .

(١٥) البكري ١/١٦٥ .

لـه »(١٦) وكن يضعن اجراسا صغيرة عند فتحات الثياب ليثرن انتباه الجنس الاخر اليهن ، فنزلت الاية الكريمة « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى »(١٧) لتحرم ذلك عليهن . وقال تعالى « ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن » (١٨) .

ولم تمض الا ايام قليلة على وفاة النبي « ص » حتى بدأت الموضات الجديدة بالظهور والانتشار ، فكانت النساء ترتدي بعضها في المساجد فقالت عائشة « رض » في ذلك : (لو ادرك رسول الله « ص » ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني اسرائيل)(١٩) .

وانتشرت موضة (القباطي) ، وهي ثياب ضيقة ملتصقة بالجسد لضيقها وذلك حرصا من النساء على اظهار مفاتن الجسم ومحاسنه . وقد منع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » ارتدائها(٢٠) .

وحين يطالع المرء في تأريخ الازياء وتطورها .. يجد ان الازياء تظهر وتختفي وتعود الى الظهور تماما كما هي الحال اليوم في امهات العواصم الدولية ، فقبل ان تختفي موضة (القباطي) ظهرت موضة الملابس القصيرة ، لتبدي بعضا من سيقان المرأة مما دعا علماء الدين الى الاحتجاج عليها والطلب بمنعها ، ثم ظهرت في مطلع الاسلام ، موضة العمامة او (الناهرة) (٢١) ، وهي قبعات ترتفع ارتفاعا بالغا فوق الرأس أخذها الاوربيون عنا في العصور الوسطى وطوروها .

---

(١٦) حسن ، ص ١٢٥ .
(١٧) الاحزاب / ٣٣ .
(١٨) النور / ٣١ .
(١٩) حسن ، ص ١٢٦ .
(٢٠) كذا .
(٢١) كذا ، ص ١٢٧ .

وكثر الغزل بخواتيم النساء(٢٢) ، حيث كانت المرأة تضع العديد منها بيدها . ولكن الظاهر ان العصر الاسلامي الاول لم يشجع الزينة او الازياء الجديدة كثيرا بل لعله اضطر الى محاربتها في بعض الاحيان لاسباب كثيرة مررنا على ذكرها في الحديث السابق ، منها ضرورة اهتمام المسلمين بالجهاد ، وعدم اشغال الرجال بفتنة وجمال المرأة .. ولكن الزينة والازياء والموضات الجديدة المتلاحقة ، وجدت طريقها الى النمو والازدهار في العصر الاموي اذ أن شكل الدولة الاسلامية قد اختلف جوهريا ، حيث اصبحت الخلافة ملكية تدعو الى الابهة والتظاهر بالترف رغم ما كان الامويون يواجهونه من الحروب وعظائم الامور .

وكان اشهر ما انتشر في صدر العصر الاموي من الازياء هو (الخمار الاسود) والذي ترك لنا اثره في الاغنية الشهيرة :

قل للمليحة في الخمار الاسود ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى خطرت له بباب المسجد(٢٣)

وقد شاركت شهيرات النساء واشرافهن في خلق انواع جديدة من الموضات ، فاشتهرت (الطرة السكينية) بين النساء ، ثم بين الرجال .. وهي موضة جديدة في تصفيف الشعر وتنسيقه ، وتنسب هذه الموضة الى السيدة سكينة بنت الحسين (رض) حيث ابتكرتها(٢٤) .. وقد واجهت هذه الموضة بين الرجال محاربة شديدة من الخليفة عمر بن عبد العزيز (رض) ، اذ كان يجلد من يقلدها ويحلق رأسه(٢٥) .

(٢٢) الاغاني ١/٣٢٠ وما بعدها .
(٢٣) الاغاني ٣/٤٥ . العقد الفريد ٣/٢٣٥ .
(٢٤) ابن خلكان ١/٢٩٦ . أعلام النساء ٣/٢٢٢ .
(٢٥) الاغاني ١٤/١٥٩ . حسن ، ص ١٣٠ .

ورغم ان العصر الاموي كان يختلف بطبيعته عن العصر الاسلامي الاول، وأنه انتقل بعاصمة الدولة الاسلامية الى دمشق حيث كان الروم من قبلهم يحتلونها وينشرون فيها عاداتهم ، الا اننا لم نجد في التأريخ مايحدثنا عن اختلاف كبير في الملبس والزينة عما سبقه من العصور ، يرجع سبب ذلك أن الامويين رغم ثبات الحكم لهم فترة طويلة الا أن صلاتهم كانت دائمة مع العشائر العربية ، ولذلك بقيت الازياء القديمة على شكلها عدا تلك الموضات التي كانت تظهر هنا وهناك بين النساء والتي كانت تنتشر بسرعة في انحاء البلاد العربية والاسلامية وذلك لسهولة المواصلات من جانب وكثرة تنقل الاهالي بين الامصار من جانب آخر .

ونظرا لاتساع الرقعة الاسلامية وامتلاء بيت المال بالواردات غير المحدودة ، فأن مستوى الدخل الفردي قد ارتقى خاصة بين الطبقات القريبة من الحكم ، لذلك فأن (الزينة) قد زادت وتنوعت بين نسائهم وبدأت النساء بارتداء الحلي الذهبية المتنوعة الاشكال .

ولكن الانتقالة الى العصر العباسي قد خلقت عصرا من الازياء والموضات زاهيا لاسباب كثيرة منها :

١ ـ اتساع الرقعة الاسلامية من جانب ، واختلاط العرب بالاعاجم بشكل اكثر تأثيرا مما ساعد على اختلاط الملابس مع بعضها وخلق انواع منها جديدة .

٢ ـ تشجيع الفنون وخاصة الموسيقى والغناء ، مما ساعد على خلق ازياء مبتكرة بدأ يرتديها اهل هذه الطبقة .

٣ ـ ارتداء الخلفاء العباسيين وحاشيتهم لملابس رسمية مميزة ساعدت على خلق ازياء جديدة غير معهودة .

٤ ـ ارتداء الجيش والشرطة لملابس رسمية ادت الى خلق انواع من الازياء الجديدة لهـم(٢٦) •

ان جوا مليئا بالازياء الجديدة وخاصة على الصعيد الرسمي ، يخلـق المتخصصين بصنع الملابس وتطويرها والاهتمام بها •

لقد ازدادت التأثيرات العربية وغير العربية في الملبس كثيرا • فازدادت الاردية وكثرت اسماؤها فمنها الدخانية والرشيدية والطبرية والقصب فيهـا الابيض والملون ، وفيها الحرير والمعين والديباج ، ثم كثرت الاصباغ بالطيب والزعفران • وكانت الملابس ذات الاكمام المفتوحة تغلب على العصر العباسي الاول ، وانتشر الخمار المذهب الخفيف معها •• فدعا ذلك احد الشـعراء ان يقول متغزلا بصاحبته :

نور الخمار ونور وجهك تحته   عجبا لوجهك كيف لم يلتهب(٢٧)

ثم انتشرت موضة كتابة الاشعار على الازياء ، بل ان النساء لم يتركن شيئا يرتدينه الا وكتب عليه شعرا او شيئا مستظرفا(٢٨) (لايختلفن فيـه مع ما تعمله النساء في اوربا وامريكا اليوم) ، ولم يتوقف امر الكتابة علـى الملابس ، بل انتقل الى الاحذية والعصائب والقبعات فكنت عليه بنت المهدي اخت هرون الرشيد قـد استحدثت موضة الكتابة على العصائب(٢٩) فانتشرت كالبرق في البقاع العربية والاسلامية ، وكانت مادة الكتابة بالذهب اكثرها شهرة ، كذلك التطريز باللؤلؤ والجوهر وبقية الاشياء النفيسة •

---

(٢٦) اسرف المقريزي في خططه بحثا في تطور الازياء في العباسي ، كذلك صدر مؤخرا مؤلف للدكتور صلاح العبيدي تحت عنوان « الملابس العربية في العصر العباسي » يتناول ذلك بشمول •

(٢٧) ابن خلكان ٢١٢/١ • حسن ص ١٣٢ •

(٢٨) حسن ، ص ١٣٢ وما بعدها •

(٢٩) اعلام النساء ٣٣٤/٣ ومابعدها •

وانتشرت موضة الاحذية ذات الصرير العالي ، ترتديها النساء لجذب الانتباه اليهن(٣٠) ، الا ان السلطة منعت الاساكفة من عملها . وكانت النساء ترتدي الازار العريض فوق ملابسهن ، فجعلن لها موضة خاصة دعيت (عقد الزنار) (٣١) وذلك بربط الازار بسلسلة من ذهب او خيوط من حرير بتبعاتين وشاعت في مصر موضة (العمود) (٣٢) في العصور الوسطى ، وهو ازار رفيع طويل يشبه العمود تنسج اطرافه من الذهب المرصع باللؤلؤ وانواع الجوهر ، تضاف اليه قبعات في اعلاها اقراص من الذهب مرصعة بالجواهر .. ثم عادت موضة (جر الذيل) (٣٣) الى الظهور في زمن الفاطميين وهي التي منعها الرسول « ص » في مطلع البعث . وارتدت النساء المصريات قمصانا ذات اكمام عريضة لها اذيال تصل الى الارض ، وظهرت فيهن موضة (البهطلة)(٣٤) وهي قمصان ذات اكمام قصيرة واسعة تظهر ما في الجسد من مفاتن . الا انها منعت وفرضت عقوبة على من ترتديها .. وانتشرت قلائد العنبر بين المصريات حتى قيل ان كل مصرية كانت تملك واحدة رغم غلاء سعرها .

وكانت لنساء مصر يأخذن الموضة من رجالهن . فموضة (الطواقي الجركسية)(٣٥) وهي قبعات ترتفع نحو ثلثي ذراع يكون اعلاها مدورا ، وفيها بطانة من الفرو وغيره ، وفي اسفلها شريط من فرو القندس عرضه نحو ذراع يلف به المرء رقبته ، ما كانت الا موضة رجالية فاصبحت من بعدهم نسائية .

---

(٣٠) حسن ، ص ١٣٣ .
(٣١) الاغاني ٧/٢٩٧ ـ ٣٠٨ . حسن ، ص ١٣٤ .
(٣٢) حسن ، ص ١٣٥ .
(٣٣) عمدة القاريء ٣/٢٣٠ . حسن ، ص ١٣٦ .
(٣٤) حسن ، ص ١٣٦ .
(٣٥) حسن ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

ومن الظريف ان نذكر أن النساء في عصر السلطان الناصر حسن (٧٥١هـ) كن يرتدين ثيابا فيها اكمام تتكون من اثنين وسبعين ذراعا ، الا ان والي القاهرة اصدر امرا بنقص هذا المقدار وجعله أربعة وعشرين ذراعا(٣٦) •

وان محتسب القاهرة اصدر امرا ان تكون قبعات النساء طويلة وان لايقل طولها عن ثلث ذراع • وان تكون مختومة من الجانبين بختم السلطان(٣٧) •

نتيجة البحث :

تبين لنا مما عرضناه ، مكانة العراق القديم ودوره الذي لعبه في التأثير الحضاري على تطور الازياء في المنطقة العربية كلها ، وكان لدوره السياسي والاقتصادي والحضاري الاثر البالغ في هذا الامر •• وكان سريع التفاعل مع ازياء الجزيرة العربية التي بدأت تأخذ شكلا موحدا في الاقطار العربية والاسلامية بعد الفتوحات الاسلامية • ويمكن تلخيص البحث بالنقاط التالية :

١ ــ ان البلاد العربية كانت من اكثر بلدان العالم تأثيرا في تغيير وتطوير الازياء • حيث أن « الموضات » التي يمكن التحدث عنها تفوق الحصر وتتفوق على ازياء الامم الاخرى التي كانت تعاصر كل فترة من فترات التاريخ العربي •

٢ ــ ان « الازياء النسائية » كانت هي الاكثر تغيرا وتأثرا بالتطور ، وذلك مايدلنا على حرية المرأة الاجتماعية من جانب ، وعلى عقليتها الناضجة في المجتمع ــ نسبة الى نساء الامم الاخرى على مر العصور ــ وكانت

(٣٦) كذا ، ص ١٣٩ •
(٣٧) كذا ، ص ١٣٩ •

« الموضات الرجالية » تأتي كحصيلة للتغييرات في الازياء النسائية .

٣ ـ « ان الازياء » كانت تجد مواقف مابين مؤيدة من جيل المجددين او حربا من جيل المحافظين ، وكثيرا ما كانت تفرض غرامات او عقوبات على « موصفات » معينة عندما يثور عليها الفقهاء او رجال الدين . وكان بعضها يمنع في فترة الا انها تعاود الظهور في فترات اخرى .

٤ ـ ان الازياء لم تتطور بين عامة الناس فقط ، بل كانت القصور الحاكمة تساعد عليها أيضا ، وكثيرا ما نراها تبدأ في القصور ثم تنزل الى العامة ، وهو مايعكس تفاعلا مابين طبقتي الحاكم والمحكوم في مختلف العصور الاسلامية .

٥ ـ ان « الازياء » كانت تتأثر باختلاط العرب ببقية الاقوام ، وكثيرا مانجد ان ازياء لم يؤكد عليها الاسلام كالعباءة وغيرها قد دخلت الى البلاد العربية عن طريق الاعاجم واستقرت واصبحت جزءا من اعراف المجتمع العربي ، بينما لانجد الزاما دينيا على ارتدائها .

لقد ساهمت المرأة العربية في خلق الازياء ، بل وكانت سيدة «الموضات» في كل عصورها ، ولقد اضطرتها ظروف الجهل التي احاطت بامتنا العربية فترة من الزمن في القرون الاخيرة الى التخلي عن سيادتها في عالم الازياء .. الا انها ومع مطالع القرن الحالي ، عادت لتحتل مكانها بين نساء العالم ، بل لعلها تمتاز بكونها امرأة عصرية ذات تراث وحضارة .

مصادر البحث :

١ ــ الدكتور علي ابراهيم حسن ، نساء لهن في التأريخ الاسلامي نصيب • ط ٢ القاهرة / ١٩٦٣ •

٢ ــ عمر رضا كحالة ، اعلام النساء (خمسة اجزاء) ط ٢ دمشق / ١٩٥٩ •

٣ ــ محمد حميد الله ، سيرة ابن اسحاق • فاس / ١٩٧٦ •

٤ ــ ابن هشام • سيرة رسول الله • القاهرة / ١٩٥٥ •

٥ ــ عبد الله عفيفي • المرأة العربية في جاهليتها واسلامها • القاهرة / ١٩٢١ •

٦ ــ ابو عبيد البكري الاونبي • سمط اللالي • بولاق / ١٣٢٤ هـ •

٧ ــ ابو الفرج الاصفهاني • الاغاني • طبع لايدن / ١٣٠٥ هـ •

٨ ــ ابن خلكان ، وفيات الاعيان • بيروت •

٩ ــ ابن عبد ربه • العقد الفريد • القاهرة / ١٩٤٠ ــ ١٩٥٣ •

١٠ ــ ابن اياس • بدائع الزهور • القاهرة / ١٢٩١ هـ •

١١ ــ حسين خلف الجبوري • الزواج وبيان احكامه في الشريعة الاسلامية بغداد / ١٩٧٢ •

١٢ ــ عبد الكريم زيدان • اصول الدعوة • بغداد • ١٩٧٠ •

Geschichte zum Nachschlagen. Munchen 1980
(con Romay von Keudell)

عمر بن الخطاب والولاة

الدكتور محمد عبدالقادر خريسات
الجامعـة الاردنية
كليـة الاداب ـ قسم التاريخ

عمر بن الخطاب والولاة

الدكتــور
محمود عبد القادر خريسات
الجامعة الاردنية / كلية الاداب / قسم التاريخ

ان الباحث في الشؤون الادارية في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الدولة الاسلامية لا بد أن يواجه صعوبات عديدة ، فالمصادر التاريخية الاســـلامية وجهت جل عنايتها للاحداث السياسية والفتن والثورات ، ولـم تشر الـى النواحي الادارية الا عرضـا •

صحيح ان هذه المصادر قد أشارت الى الصفات التي تحلى بهـا الخلفاء والولاة ، من خلال مواقفهم ، وأقوالهم ، وخطبهم ، ورسائلهم ، الا أنها ليست كافية لاعطاء صورة حقيقية للانماط الادارية التي كانت قائمة في صدر الاسلام، كما أن هذه الاقوال ، والخطب ، والرسائل متناثرة في بطون الكتب الدينية ، واللغوية ، والادبية ، والتاريخية ، وهذا يتطلب جهدا وعناء كبيرا • والادارة في عهد عمر بن الخطاب برزت اسسها بصورة واضحة من حيث تقسيم الدولة الى ولايات ، وتعيين الولاة وتحديد مهامهم •

ان السياسة العادلة(١) تقتضي تدبير شؤون الامة الداخلية والخارجية وذلك لتحقيق الاهداف التي تنشدها هذه الدولة • ولتحقيق هـذه الاهداف ينبغي أن يتوفر لدى المسؤولين عنها مهارات أساسية تمكن صاحبها من أداء واجبه على خير ما يـرام •

وهـذه المهارات هـي(٢) :

أولا ـ المهارة الانسانية ، وتتمثل هذه في القدرة على جذب الرعية ، وحبهـم وثقتهم بالقائد ، ويستلزم ذلك الفهم المتبادل بين القائد والمقودين والقدرة على كيفية التعامل مع بعضهما بعضا •

لقد توفرت المهارة الانسانية في عمر بن الخطاب فقد أحس عندما تولى الخلافة ان الناس قد هابوا شدته وغلظته فخطب بالناس وطمأنهم بأن هذه الشدة قد تضاعفت « على أهل الظلم والتعدى وأما اهل الدين والفضل فهوالين من بعضهم لبعض »(٣) • والظاهر أن خطبة عمر لم تمح هذه الشدة والغلظة من نفوس الرعية لذلك كان عمر يردد دوما ، «اللهم حببهم الي وحببني اليهم »(٤) •

ورافق المهارة الانسانية الغيرة التي كان يتحلى بها ، وقد قال ابو هلال العسكري عنه : « ••• وكان عمر غيورا والغيرة من أحمد اخلاق الرجال »(٥) وقد أملت عليه هذه الغيرة الاهتمام الدائم ، والكشف المتواصل عن احوال الرعية وما تحتاج اليه ، ومن اجل هذه الغاية فقط طاف بين أحياء المدينة ، واستفسر عن احوال الامصار ، وبعث العيون ، وسهر على مصالح الرعية فلا غرابة أن اطلق عليه « ابو العيال »(٦) والمهارة الفنية تعني القدرة على التنظيم ، واختيار الولاة ومراقبتهم ، وتنمية المهارات الادارية لديهم وهذه السياسة هي التي أشار اليها ابن « الاعرج »(٧) بضبط الخواص والعوام وقد توفرت هذه المهارة في عمر بن الخطاب فقد كانت له السفارة في الجاهلية، كما قام برحلات عديدة الى الشام والعراق وله اخبار مع كثير من ملوك العرب والعجم(٨) • كما اعرب ابو بكر عن هذه المهارة عندما رشحه للخلافة بقوله : « ••• ولم آلكم خيرا منه »(٩) وعبر عنها عمر عندما قال : « وقد ولينا وولي علينا ، قد ولينا فعلمنا ما يصلح الوالي ، وولي علينا فعلمنا ما يصلح الرعية »(١٠) •

لقد وضع عمر في مقدمة سياساته الادارية ، المحافظة والاهتمام بمصالح الامة ، وقد قال عمر فيهذا الشأن « كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يمسني مامسهم »(١١) ومن اجل ذلك صرف كل جهده لتسير شؤون الدولة ، وهذا

التسيير لم يكن مجرد أعمال يومية عادية فحسب ، بل كان جهدا واعيا وادراكا تاما ، وعزيمة متجددة متطورة ، وهذه الامور تحتاج الى التفكير الدائم ، والالمام الشامل ، واليقظة التامة لما يجرى في ارجاء الدولة وقد اشار عمر الى ذلك بقوله : « ان أنا نمت نهاري ضاعت الرعية ، وان نمت ليلي ضيعت نفسي ، فكيف بالنوم معهما »(١٢) •

وأول مصالح الامة المحافظة على طاعتها ، فاذا كانت الطاعة كانت الجماعة(١٣) ، لذلك أمر أبي بن كعب أن يصلي في الناس جماعة في صلاة التراويح في رمضان بعد أن رآهم فرقا ، فرقا ، يميلون الى احسنهم صوتا(١٤) كما أوقف بناء مساجد القبائل في البصرة والكوفة ومصر(١٥) •

لقد أراد عمر أن يطبع العرب بطابع مميز ، فحذرهم من تقليد الاعاجم والتشبه بهم(١٦) ، وذلك للمحافظة على نسق وحدتها • لقد كان يتعجب كيف تختلف الامة ونبيها واحد ، وقبلتها واحدة ، وكتابها واحد(١٧) بل كان كلما رأى خروجا على المألوف من قبل الصحابة يقول : « اتفعلون هذا وأنتم أنتم ، فكيف بمن جاء بعدكم »(١٨) •

وللابقاء على النسق الواحد فقد حارب عمر احقاد الجاهلية ودور الشعر في بعثها ، فطلب من الولاة أن يستنشدوا ما قاله الشعراء في الاسلام(١٩) ، ولتشجيع هذه الظاهرة فقد زاد في عطاء لبيد لقوله ان الله ابدله بالشعر القرآن الكريم(٢٠) • وحارب أيضا العصبية القبلية وطلب من ولاته ضربها بالسيف حتى يفيئوا الى أمر الله وتكون دعواتهم الى الله والاسلام(٢١) • واهتم ايضا بمحاربة البدع الضارة فقد بلغه أن امرأة في البصرة قد سترت بيتها كما تستر الكعبة فبعث الى أبي موسى كي ينزع هذه الستائر في الحال(٢٢) •

لقد حرص على طاعة الامة لولاتها فلما كثرت شكايات اهل الكوفة على

عماله قال : ... وأي شيء أعظم من مائة الف لا يرضون عن أمير ، ولا يرض عنهم أمير ... ان اهل الكوفة قد عضلوني(٢٣) . ولاجل المحافظة على الطاعة فقد حضر على عماله التوجه الى المدينة الا بعد الاستئذان منه ، كما كان عليهم الالتزام بالاوامر الصادرة اليهم منه ، ولم يتوان عن عزل الولاة الذين خالفوا تعليماته ، ومنهم العلاء بن الحضرمي ، فقد عزله عن البحرين لغزوه في البحر وكان عمر قد نهاه عن ذلك ، ولم يكتف بالعزل بل أمر عليه سعد بن ابي وقاص وكان هذا من اثقل الاشياء على ابن الحضرمي(٢٤) .

وكما حرص على طاعة الولاة له ، حرص على طاعة الامة ، فقد كان اول ما يسأل الوفود عنه هو هل استأذنت ولاتها بالخروج أم لا(٢٥) ؟ كما كان يستدعي أولئك الخارجين على النظام . فقد استدعى شريك بن سمي من مصر لانه لم يتقيد بأوامر عمرو بن العاص ، وهي بالاصل أوامر عمر بن الخطاب ، بعدم العمل بالزراعة ، ولما مثل شريك امام عمر اعلن توبته فعفا عنه(٢٦) ، واستدعى ايضا صنبة بن محصن الغنوى عندما تعرض لابي موسى في خطبه(٢٧) .

وفي حالات اخرى كان يكتفي ببعث رسائل التأنيب لاولئك الخارجين عن تعليماته فقد كتب الى عمرو بن معدى كرب « قد بلغني ما قلت لاميرك ، وبلغني أن لك سيفا تسميه الصمصامة ، وعندي سيف اسميه مصمما ، وايم والله لئن وضعته على هامتك ، لا أقلع حتى أبلغ به شيئا قد ذكره من جوفه ، فان سرك أن تعلم أحق ما اقول فعد » وكان عمرو قد قال لاميره سلمان بن ربيعة الخيل عندما اختلفا في معرفة نسب الخيل ، قال عمرو : « الهجين يعرف الهجين »(٢٨) .

ويذكر ابن قتيبة في رواية عن أبي اليمان ، عن حريز بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن ميسره ، عن أبي عذبة الحضرمي قال : قدمت على عمر بن الخطاب

رابع أربعة من اهل الشام ، ونحن حجاجا ، فبينا نحن عنده ، أتاه خبر من العراق بأنهم قد حصبوا امامهم فخرج الى الصلاة ، ثم قال : من ها هنا من أهل الشام ؟ فقمت أنا وأصحابي • فقال : يا أهل الشام تجهزوا لاهل العراق ، فان الشيطان قد باض فيهم وفرخ ، ثم قال : الهم انهم قد لبسوا علي ، فالبس عليهم ، اللهم عجل لهم الغلام الثقفي ، الذي يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم »(٢٩) • ومع الشك في هذه الرواية خاصة بما يتعلق بالغلام الثقفي ، فان هذه الرواية تدل على مدى اهتمام عمر بطاعة الامة لولاتها وحرصه على دوام هذه الطاعة •

وأملت عليه المهارة الفنية ، أن يكون قدوة لولاته ، فرفض أن يحابى هو أو أحد أفراد عائلته لكونه خليفة خاصة في مجال الحدود ، فعندما أقام عمرو بن العاص الحد على ابنه عبد الرحمن الملقب بأبي شحمه في صحن الدار ولم يشهده أحد من المسلمين بعث اليه يؤنبه على ذلك ويقول : ••• ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين ، وقد عرفت أن لا هوادة لاحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه ، فاذا جاءك كتابي هذا فابعث به(٣٠) • ولما وصل المدينة ضربه فقال ابنه الموت « فقال له : اذا لقيت ربك فأعلمه أن أباك يقيم الحدود »(٣١) وفي مجال السياسة المالية وضع لنفسه خطة محكمة مؤادها انه لم يحدث تغييرا في حياته ، بل بقي على حاله قبل الخلافة في لباسه وزيه وأفعاله وتواضعه(٣٢) ان السياسة المالية السليمة في رأيه تقوم على خلال ثلاث : ـ أن تؤخذ المال بالحق ، ويعطى في الحق ويمنع من الباطل هذا بالنسبة للعامة اما بالنسبة لنصيبه منه ، فهو كنصيب رجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم كما لا يحل له من مال الله الا حلتين للشتاء وحلة للصيف ، وما يحج به ويعتمر(٣٣) •

ولم ينس عمر محافظته وحرصه على الاموال العامة حتى في آخر لحظاته ، فقد طلب من ابنه عبد الله تسديد دينه لبيت المال وان سأله الخليفة أن لا يؤديه

فلا يفعل ، وان وهبه له فلا يفعل ، وأن يضعه في بيت المال كما أخذه(٣٤) • ولاحكام هذه القدوة كان يضاعف العقوبة على أفراد عائلته ان ارتكبوا ما كان قد حذرهم منه(٣٥) ، بهذه القدوة كسى رعيته اللين واطعمهم الطيب واكل هو الخبز المغلوث(٣٦) • وقد أشاد الزهري بهذه السياسة عندما قال : لقد أحسن عمر حين حرم نفسه وأقاربه(٣٧) •

ومن عناصر المهارة الفنية كيفية اختيار الولاة ، والبحث عن ذوي الكفاءات والقدرات واشراكهم معه في تحمل المسؤولية ، والولاة هم المرآة العاكسة لصورة الخليفة ، فلا بد والحالة هذه من اختيار من لا ترقى اليهم شبهة ولا تلحق بهم الظنون وأول شروط الاختيار وفق هذا المعيار هو التجانس(٣٨) بين الخليفة وعماله ليكون النمط والسلوك الاداري واحدا في اهدافه العامة والخاصة •

وحتى ينزه الحكم ويبعده عن الدوافع الشخصية والاهواء ، فقد استبعد مبدأ القرابة والهوى والوساطة في تعيين الولاة • لقد أنكر عمر مبدأ القرابة في المصالح العامة ورأيه في ذلك واضح لا لبس فيه فهو يقول : من استعمل رجلا لمودة او لقرابة لا يشغله الا ذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين(٣٩) • وأشار عليه رجل ان يولي ابنه عبد الله على الكوفة فأجابه : قاتلك الله ، والله ما أردت بها(٤٠) • واعترف عمر بأنه لم يول ذا قرابة او احدا له فيه هوى الا قدامه بن مظعون فما بورك له فيه حيث حد بشرب الخمر(١٤) • ولاستبعاد مبدأ القرابة من المصالح العامة فلم يدخل سعيد بن زيد في الشورى(٤٢) •

ورفض عمر الوساطة ، فلم يول الامارة لمن طلبها(٤٣) ورجاه احد القرشين في اطلاق سراح معن بن زايده ، وكان هذا قد انتقش على خاتم الخلافة واصاب خراجا من خراج الكوفة ، فقال عمر للقرشي ••• قد ذكرتني بالطعن

وكنت ناسيا ، ثم دعا بمعن فضربه وأمر به الى السجن ، فبعث معن الى كل صديق له لا تذكرني لامير المؤمنين(٤٤) • ورفض أيضا تدخل افراد عائلته في شؤون الحكم ، فقد رجا احد عماله امرأة عمر ان تكلمه فيما وجد عليه فقال لها « ياعدوة الاله ، وفيم أنت وهذا »(٤٥) • لقد رأى عمر أن تنفيذ الاعمال على خير وجه لا يكون الا بالبحث عن اهل الكفاية لا الغاية(٤٦) وهذا المبدأ لا يتأتى عن طريق القرابة والوساطة والهوى • واستجابة لهذه الغاية لم يكن ولاته في بطن واحد ، او قبيلة واحده ، بل كان ولاته* من قريش ، الانصار ، ثقيف ، خزاعه ، اسد ، تميم ، مره ، سلم ، فزاره ، مزينه ، بجيلة، كنانه ، وغيرها(٤٧) •

ولاجل ذلك أيضا أراد أن يتمتع ولاته بصفات ومؤهلات في مقدمتها الامانة والقوة والقدرة على تنفيذ الاعمال واتخاذ القرارات • ان الرجال عند عمر ثلاث : « رجل ينظر في الامور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ، ورجل متوكل لا ينظر ، فاذا نزلت به نازله شاور أهل الرأى وقبل قولهم ، ورجل حائر بائر ، لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا »(٤٨) •

ففي مجال الهيبة فقد قال لاصحابه دلوني على رجل استعمله على أمر قد أهمني ، قالوا فلان ، قال لا حاجة لنا فيه ، قالوا فمن تريد ؟ قال : أريد رجلا اذا كان في القوم وليس بأميرهم كان كأنه اميرهم ، واذا كان اميرهم كان كأنه رجل منهم(٤٩) • واشار الى صفة القوه بقوله : اني لاتحرج ان استعمل الرجل وأن أجد أقوى منه(٥٠) • وقد عزل شرحبيل بن حسنه ، بالرغم من دورة العسكري في حروب الرده ، وفتح الشام(٥١) • ولا تشير المصادر الى أسباب هذا الضعف ، بل ان شرحبيل نفسه استوضح من عمر عن اسباب

* فاروق الدوري ، عبدالعزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ط ٢ ، ١٩٦٠ ، ص ٥٦ •

العزل ، فقال له أعن سخط عزلتني يا أمير المؤمنين ؟ قال لا : انك لكما احب ، ولكني أريد رجلا أقوى من رجل(٥٢) • وعزل عمار بن ياسر ، وكان مما آخذ عليه في ولايته أنه كان على منبر الكوفة يقرأ على سورة « يسن » فقال له الاشعث بن قيس وما أرحنا من ياسينك ، كما وقع تشاجر بينه وبين عبدالله ابن مسعود ، وعيره رجل من بني عطارد فقال له : ايها العبد الاجدع(٥٣) والظاهر أن عمر كان يدرك ضعف عمار بن ياسر ولذلك قال عندما وصلته انباء ضعفه ، وتطاول الناس عليه : لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكني تأولت(٥٤) : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين »(٥٥) وعزل كذلك ابا مريم الحنفي لعدم قدرته على اتخاذ قرار في قضية احتكم فيها اليه رجلان في دينار ، فحل دينارا فأعطاه المدعي ، فعلم عمر بذلك فكتب اليه ، اني لم اوجهك لتحكم بين الناس بما لك وانما وجهتك لتحكم بينهم بالحق كما شكا المغيره بن شعبه من ضعفه ايضا(٥٦) •

وأحب أن يتميز عماله بالحلم والرفق ، فالحليم يوقع العقوبة للاصلاح والسياسة لا لتشفي والانتقام ، فقد كتب الى ولاته : « اني لم ابعثكم جبابرة، ولكن بعثتكم أئمة فلا تضربوا الناس فتذلوهم ، ولا تحمدوهم فتفتنوهم ، ولا تمنعونهم حقوقهم فتظلموهم »(٥٧) •والحلم والرفق لا يتجلى الا بالسياسة الفاضله القادرة على اقامة جسر من الثقة والمحبة المتبادلة بين الوالي والرعية ، ولذلك بعث الى سعد بن ابي وقاص • « ان الله اذا أحب عبدا حببه الى خلقه، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس »(٥٨) • وعزل عمر رجلا من بني أسد كان قد ولاه على أمر له ، فدخل الاسدي على عمر فجاء ابن عمر ، فقبله، فقال الاسدي ،اتقبل هذا يا أمير المؤمنين ، فوالله ما قبلت ولدا قط • فقال عمر

فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة ، لاتعمل لي عملا أبدا فرد عهده(٥٩) .

ونتيجة حرصه على الرفق والحلم بالمسلمين ، فقد استبعد البراء بن مالك عن قيادة الجيوش لانه هلكة من الهلك ، وسليط بن عمرو الانصاري لسرعته الى الحرب ، والحرب لا يصلح لها الا الرجل المكيث(٦٠) .

واهتم عمر في اختيار الولاة قدرتهم على حفظ الاسرار ، والسياسي محق في هذا الشأن « فشيئان بستلبان الحر كمال حريته ، وهما قبول البر وافشاء السر ، فان من قبلت بره ، فقد اوجبت على نفسك الخضوع له ... ومن اطلعته على سر فقد صرت اسيرا له حذرا أن يذيعه »(٦١) . ولذلك حرص على هذا الشرط ، فقد استخدم زيد بن ثابت على اسراره ، وكان زيد قد استعمله رسول الله « ص » على هذه المهمة(٦٢) ، واعتبر عمر عدم حفظ الاسرار مظهرا من مظاهر الضعف ، فقد عين جبير بن مطعم على الكوفة واستكتمه الامر ، لكن الامر وصل الى عمر عن طريق المغيره بن شعبه ، فقال لجبير : لا تحدث شيئا ، فانك عندي امين ولكنك ضعيف(٦٣) .

ومن الشروط الاخرى ، أن يكون عادلا ، لا يضارع ولا يصانع . فأربع برأيه من عمل بهن استوجب العدل : « الامانة في العمل ، والتسوية في القسم ، والوفاء بالعدة ، والخروج من العيوب ، نظف نفسك واهلك »(٦٤) .

لقد بدأ عمر بنفسه فحارب النفاق وأهله ، ولم يكتف بذلك بل كان يحث الرعية الى ارشاده الى عيوبه(٦٥) ، لقد قال له المغيرة يوما : « نحن بخير ما أبقاك الله لنا ، فأجابه ، أنت بخير ما اتقيت الله تعالى »(٦٦) . ولما قال له حميد بن طاعةالسكوني ، ما رأيت مثلك يا ابن الخطاب نخسه بمحضرة كانت معه(٦٧) .

وفي مجال الوضوح ، فقد طلب من ولاته عدم اتباع الهوى ، وكتب الى ابي موسى الاشعري : « قاتل هواك كما تقاتل عدوك ، وأوجب الحق غير

مضار فيه وشاور ذوى الرأى من جلساتك واخوانك »(٦٨) وقد حذر عمر من اولئك الذين يظهرون مالا يخفون فقال : لا يغرنكم من الرجل طنطنته بالليل يعني صلاته ـ فان الرجل كل الرجل من أدى الامانة الى من ائتمنه ، ومن سلم الناس من لسانه ويده(٦٩) ، وكاجراء احتياطي لمراقبة المراوغين والمنافقين، حبس الاحنف بن قيس حولا كاملا ليستكثر منه وليبالغ في تصفح حاله والتنقير عن شأنه وقال له : « ان رسول الله قد كان خوفنا كل منافق عليم ، وقد خفت أن تكون منهم »(٧٠) •

ومن الصفات الاخرى التي اشترطها في اختيار عماله ، العلم ، حصافة العقل ، بعد التهمه ، من اهل الخير(٧١) •

وألزم ولاته بمشاورة أهل الرأى ، وعدم التفرد بقراراتهم ، فالرأى الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين والثلاثة الآراء لاتكاد تقطع(٧٢) • وقد ضرب القدوة في ذلك فقد كان على رأس اهل الشورى المهاجرون والانصار والصلحاء ، ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، وأهل الخير ، ولم يقتصر على هؤلاء فحسب بل كان يشاور الكهول والشبان ، النساء والاطفال(٧٣) ، كما كان يلجأ الى أهل الخبرة والمعرفة ، فقد استشار الهرمزان في أصبهان وأذربيجان وفارس بأيتهن يبدأ(٧٤) •

وتستدل على الزام ولاته بهذه الخاصية من رسائله الكثيرة الى عماله ، فقد جاء في رسالة وجهها الى أبي عبيده ، ومعاذ بن جبل قال فيها : ••• وأنا مسؤول عن أماناتي ، وما أنا فيه ، ومطلع على ما يضيرني ، بنفسي ان شاء الله ، لا اكله الى احد ، ولا استطيع ما بعد ذلك الا بالامناء وأهل النصح منكم للعامة ، ولست أجعل اماناتي الى احد سواهم ان شاء الله(٧٥) •

لقد كان في حالات كثيرة يرى الصواب ما يعتقده ، الا أنه كان يشاور أهل الرأى ، بل يحثهم على عدم موافقة هواه ، فرأى الامة لابد وأن يحمل

الحل الاجدى والانفع(٧٦) ، ولم يقف عند هذا الحد بل حث الامة على تقديم نصحها ومشورتها وقال بهذا الشأن : من علم شيئا ينبغي العمل به ، فبلغنا نعمل به ان شاء الله ولا قوة الا بالله(٧٧) •

ونظرا للدور الملقى على عاتق الولاة ، فقد كان يستشير بعض الصحابة في شأن من يوليهم ولاة له ، فقد استشار ابن عباس فيمن سيوليه على حمص ، واستشار الصحابة في شأن الكوفة ، وقسمة الاراضي ، والتقويم الهجري(٧٨) كما الزم ولاته بمشاورة اهل الرأى والامناء • والاستعانة بمن يرونه اهلا لذلك(٧٩) •

وفرض على عماله عدم قبول الهدايا ، وبدأ بذلك بنفسه ، فقد أهدى ابو موسى الاشعري ، طنفسة لامرأته عاتكه بنت زيد ، فأخذها وضرب بها رأسها ، ثم قال علي بأبي موسى واتعبوه ،فلما حضر قال له : خذها فلا حاجة لنا فيها(٨٠) وأوصى عبد الله بن مسعود بعدم قبول الهدايا مع انها ليست حراما(٨١) •

وطلب من عماله التزام جانب الخشونة والتقشف ، وبدأ بذلك بنفسه فلم يختلف عليه شيء من حياته بعد توليه الخلافة ، ولذلك آكد على هذه الظاهرة في ولاته ، فقد كان اول ما يشترط على عماله عدم ركوب البرذون واللبس الرقيق والاكل النقي(٨٣) ، وقد لام بعض عماله عندما ظهرت عليهم شارات الترف والغنى • لقد كان يحب أن يرى عاملة أشعثا ، غير ذميم الثياب، عافي الشعر ، وقد عزل جميع عمال أبي موسى الاشعري باستثناء الربيع بن زياد لانهم قدموا عليه وهم يسحبون حللهم(٨٣) ولكن عمر لم يتبع هذا الاسلوب مع معاوية بن ابي سفيان • فقد قدم عليه من الشام فرآه أبض الناس ، فضرب على عضده وقال : هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذوى الحاجات تقطع أنفسهم حسرات على بابك(٨٤) • وعلى أية حال فقد كان يجب

أن تظهر سمة التقشف ليس على الولاة فحسب ، بل ايضا على الامة فقد كان يقول : « عليكم بالشمس فانها حمام العرب »(٨٥) ، كما كان يجلس في مجزرة الزبير بن العوام ولم يكن بالمدينة مجزرة غيرها ، فاذا رأى رجلا اشترى لحما يومين متتابعين ضربه بالدره وقال : الا طويت بطنك يومين(٨٦) •

واشترط عمر على عماله نهج سياسة الباب المفتوح★ وعدم اتخاذ موانع دون حوائج الناس كالابواب والحجاب • لقد أرسل محمد بن مسلمة الانصاري الى عياض بن غنم عندما بلغه انه لبس ثوبا رقيقا ، واتخذ حاجبا(٨٧) • واحرق باب قصر سعد بن ابي وقاص في الكوفة ، وكان عمر قد سمح له ببناء بيت يقية حر الشمس ومطر الشتاء(٨٨) • ولما بنى عبدالله بن قرط عامل حمص ، علية واتخذ لها بابا أرسل من يحرق الباب ، فغضب ابن قرط وركب مسرعا الى عمر ، فلما رآه حبسه في الشمس ثلاثة أيام ثم اخذه معه الى الحرة وامره بسقاية ابل الصدقه وقال له يا ابن قرط متى كان عهدك بهذا ؟ قال مليا (زمانا) يا أمير المؤمنين • قال : فلهذا بنيت العلية وأشرفت بها على المسلمين والارملة واليتيم ارجع الى عملك ولا تعد(٨٩) •

والزم عماله كذلك بسرعة انجاز الاعمال وتنفيذها ، فالتأجيل يؤدي الى الاهمال وبالتالي الى الاضرار بمصالح الرعية والدولة معا • ولذلك كتب الى عماله : ان القوة على العمل الا تؤخروا عمل اليوم لغد ، فانكم ان فعلتم ذلك تداكت عليكم الاعمال ، فلا تدرون بأيها تبتدون ، وأيها تأخذون(٩٠) • وكثيرا ما وجه اللوم لعماله اذا تأخروا في الرد على رسائله ، او تباطأوا في ارسال

★ قارن : صحيح البخاري ٧٢/٣ (نسخة اليونينية للاستاذ احمد محمد شاكر) ، ابن خياط ، تاريخ ١٣٠/١ ، الاوائل ١٤٢ في اتخاذ عمر خادمه يرفأ حاجبا له . قارن قول عمر : الهاني الصفق بالاسواق يعني الخروج الى تجارة (البخاري ٧٢/٣) النسخة اليونينية .

الخراج ومن الذين وجه اليهم اللوم سعيد بن عامر وعمرو بن العاص • وبالمقابل كان يكافيء من ينجز عمله بالوقت المحدد ، كتب الى ابي موسى الاشعري : اني قد بعثت اليك مع غاضره بن سمرة العنبري بصحف ، فاذا أتاك بكـــذا فأعطى مائتي درهم ، وان جاءك بعد ذلك فلا تعطه شيئا ، واكتب الي في اي يــوم قــدم عليك(٩١) •

وانجاز الاعمال بالسرعة المطلوبة لا يتحقق الا بالتفرغ التام للمهام الملقاة على الوالي ، ولاجل ذلك حضر عليهم البيع والشراء او العمل بالزراعة(٩٢) • وحارب عمر مبدأ استغلال السلطة واستخدامها في ظلم الرعية والتعدى عليها ، فقد طالب سعد بن ابي وقاص بان يعيد أرض أحد دهقان السيلحين وكتب اليه : اذا جاءك كتابي هذا ، فأرضه من حق والا فأقبل الي راجلا(٩٣) • وطلب من المصرى الذي ضربه محمد بن عمرو بن العاص ، وسجنه عمرو أن يقتص منهما ، ولما عضب عمرو وقال اذ قد فعلت بي وبابني ما قد فعلت ، فلا آلي لك بعد اليوم عملا ابدا • فقال له عمر : اذهب حيث شئت لا والله يا معشـر قريش ، ما تظنون الا أن الناس عبيد لكم(٩٤) ، ولرفضه مبدأ استغلال السلطة فقد عزل أبا موسى عن البصرة عندما اشتكي أهلها بأن غلامه تاجر بالعلف ، وشاطر أبا بكره ، وعمرو بن الحارث بن وهب ، وعتبه بن ابي سفيان ، وعمرو ابن العاص لقيامهم بالاعمال التجارية اثناء ولاياتهم(٩٥) • واخيرا اهتـم عمر بالضابط السلوكي او الاخلاقي للعمال والولاة ، فالوالي قدوة للرعية فـي حركاته وسكناته ، لذلك حذر عماله من اثارة الشبهات حولهم فقد كتب اليهم: من تعرض للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن ، ومن كتم سره كان الخيار اليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه(٩٦) • لقد رصد أقوال وافعال عماله وحاسـبهم على ذلك بالعزل والتأنيب ، فقد بلغه شعر النعمان بن عدى وكان هذا علـى ميســان قولــه :

من مبلغ الحسناء أن خليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم
لعل امير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم

استدعاه على عجل ، وقال له اى والله انه ليسؤني ، فقال له النعمان .. ما شربتها قط ، وما ذاك الشعر الا شيء طفح على اللسان ، فقال عمر : اظن ذاك . لاتعمل لي عملا ابدا(٩٧) وعزل الوليد بن عتبة عن صدقات تغلب لقوله:

اذا ماشددت الرأس مني بمشوذ فغيك مني تغلب ابنة وائل(٩٨)

وعزل المغيره بن شعبه عندما وصلته انباء اتهامه بالزنا في اوجز كتاب كتبه الى احد من الناس ، اربع كلم عزل فيها وعاتب واستحث وأمر . أما بعد فانه بلغني نبأ عظيم ، فبعثت ابا موسى أميرا ، فسلم اليه ما في يدك والعجل(٩٩) وعزل قدامه بن مظعون وحده في شرب الخمر(١٠٠) . بهذه الامور تمكن عمر من اختيار ولاته وتحديد مهامهم ، وبتحديد المهام تم تحديد الهدف من تعينهم، وبالتالي معرفة الاصلح والافضل لانجاز الاعمال . لقد كان من مهام ولاته الزام الرعيه بالقرآن ، وتعليمهم ، ومباشرة أمورهم بأنفسهم ، ومقاتلة الاعداء ، واقامة الحدود ، وقسمة الفيء ، والعدل بين الناس ، وعدم ضرب الرعية ، وحلق شعورهم ، ومنعهم من ذكر الجاهلية واحنها ، وزيارة المرضى ، واستقبال الضعفاء وحضور الجنائز(١٠١) .

لقد تميز عمر برؤيا واضحة ، لاحق كل شيء والم بكل شيء ، وفي ذلك نوع من سد الذرائع وتطبيق مبدأ درهم وقاية خير من قنطار علاج(١٠٢) . لذلك أهتم بالرقابة الادارية وافضلها برأى عمر الرقابة الذاتية النابعة من ضمير الفرد واحساسه ثم يعد ذلك رقابة الخليفة والامة معا . لقد كان يتفحص أحوال المدينة بنفسه ، ولما زار الشام طاف في كورها(١٠٣) ، والظاهر انه قد أدرك الفائدة من هذه الزيارات لذلك قال : لئن عشت ان شاء الله لا سيرن في الرعية حولا ، واني اعلم أن للناس حوائج تقطع عني آمالهم ،

فلا يصلون الي ، وأما عمالهم فلا يرفعونها الي ، فأسير الى الشام ومصر والبحرين والكوفة والبصرة فأقيم في كل مصر شهرين(١٠٤) .

ولا حكام الرقابة فقد كان يبعث بتوجيهاته وملاحظاته بالكتب العديد الى ولاته ، يقوم ما اعوج ويبارك ما استحسن ، وقد كانت هذه الكتب تقرأ بالمساجد(١٠٥) .

واهتم بالمؤتمرات فقد كان يلتقي بعماله في موسم الحج كل عام ، وهذ بمثابة المؤتمرات السنوية ، وبالتالي فهي وسيلة اتصال وتفاعل ومراقبة ، فيه يتم التعبير عن وجهات النظر ، وتلقي الاقتراحات ورسم الخطط ، وتبادل الآراء ، فهي والحالة هذه وسيلة تدريب ومتابعة في آن واحد(١٠٧) . ولم تقتصر هذه المؤتمرات على الولاة الرئيسيين في الامصار بل امتدت الى ولا المصر الواحد فقد التقى بعمال ابي موسى الاشعري بعد صدور موسم الحج(١٠٧) .

والناحية الثانية من انواع المتابعة كان ارسال اشخاص من المدينة الى الامصار كي يستطلعوا احوالها ، او استدعاء أهل الامانة والصلاح من الامصا الى المدينة كي يعلم منهم احوال المصر ، واسعاره وما شابه ذلك(١٠٨) .

لم يقف عمر عند حد اختيار الولاة وتركهم ، بل راقبهم حتى يكون على بينة من سيرتهم في ولاياتهم . فقد قال حذيفة بن اليمان لعمر : انك تستعمل بالرجل الذي فيه . فقال عمر استعمله لاستعين بقوته ثم اكون على قفانه(١٠٩) وقال في موضع آخر : أرايتم اذا استعملت عليكم خير من اعلم ، ثم أمرته بالعدل اكنت قضيت ما علي ! فقالوا نعم : قال لا : حتى أنظر في عمله بما أمرته ام لا(١١٠) واهتم كذلك بالكتب والاشعار التي كانت ترده من الامصا

* القفان الامين او الرئيس الذي يتتبع امر الرجل ويحاسبه .

فاما بلغته قصيدة قيس بن يزيد والتي مطلعها :

أبلغ امير المؤمنين رسالة ... فأنت امين الله في النهي والامر

نؤوب اذا آبوا ونغزوا اذا غزو ... فأني لهم وفر ولسنا لنا وفر

قاسم جميع أسماء والولاة الذين ورد ذكرهم في القصيدة(١١١) •

واعتمد على قلم استخبارات قدير ، فالسياسي المحنك من كانت له عين راعية ، وعنده يقظه للاخبار القريبة والبعيدة(١١٢) • لقد كان لايخفي عليه شيء في عمله ، ويذكر الجاحظ والبيهقي انه لم يكن له في قطر من الاقطار ولا ناحية من النواحي أمير ولا عامل الا وله عليه عين لا يفارقه ، فكانت اخبار النواحي كلها عنده صباح مساء ، حتى ان العامل كان يتوهم على أقرب الخلق اليه واخصهم به(١١٣) • لقد فوض عمر ولاته سلطات واسعة ولم يقيدهم الا بالامور الخاصة(١١٤) الا أنه لم يترك لهم الحبل على الغارب ، بل اتبع ذلك بنظام المراقبة الصارمة واتخذ الاجراءات الاحتياطية حتى لا يستغل الولاة نفوذهم وسلطانهم ، فالوالي في نظره مجرد فرد من الامة يجرى عليه حكم العدل كما يجرى على غيره من الناس(١١٥) • والظاهر ان عمر قد توسع كثيرا في استقبال الوشايا(١١٦) والمخالفات من الرعية على العمال خاصة من حمص والكوفة حتى أنه اضطر في النهاية ان يخضع لمطالب اهل الكوفة فعندما قال جرير بن عبدالله البجلي ضمن الوفد الذي قدم مع عمار بن ياسر ابن عمر : هو والله غير كاف ومجز ولا عالم بالسياسة • قال عمر يا أهل الكوفة من تريدون • فقالوا : أبا موسى فأمر عليهم بعد عمار ابا موسى الاشعري فأقام عليهم سنة فباع غلامه العلف ، فوفدوا الى عمر يطلبون عزل أبي موسى فحار عمر من موقفهم وسألهم أقوى مشدد أحب اليكم أم ضعيف مؤمن ؟ فلم يجد عندهم شيئا فعين المغيره بن شعبة عليهم(١١٧) •

ورافق مبدأ الرقابة ما يطلق عليه اليوم «براءة الذمة »★ وما سمي « المشاطرة او القاسمة » وفي سياسة عمر هذه نوع من سد الذرائع فلا يجوز اغناء فرد بافقار أمة ولا اسعاد فئة باشقاء مجموع ولذلك شاطر سعد بن أبي وقاص ، وخالد بن الوليد ، وابا موسى الاشعري ، وابا هريره ، والحارث ابن كعب ، وعتبة بن ابي سفيان ، والنعمان بن عدي ، ويعلى بن منيه ، ونافع ابن عمرو الخزاعي وغهم(١١٨) واتخذ مبدأ له هو لم يكن يقر عامله اذا ظهرت له أموال كثيرة • ولم يكن يعزل الا بعد ان يستوضح عن مصدر هذا الثراء خاصة وانه كان يكتب أموال عماله عند تعينهم(١١٩) •

لقد اعتمد عمر في متابعته الادارية على محمد بن مسلمة الانصاري ، حتى اطلق عليه « رسول العمال » او « صاحب العمال » فكان اذا احب أن يؤتى بالامر كما هو بعثه(١٢٠) ولم يقتصر عليه ، بل بعث قسامه بن زهير للبحث عن شأن المغيره ، وعن المرأة التي اتهم بها ، وحول شهادة ابي بكره ، وكان قسامه هذا من ابين الناس في زهده ومنطقه(١٢١) •

والظاهر ان عمر كان شديد المحاسبة لولاته ، فقد قال معاوية : ما رأيت عمر مستخليا رجلا قط الا رحمته(١٢٢) • ولم يكن عمر يأخذ ولاته على عجل، بل كان يجمع كل ما يمكن جمعه حول القضايا التي أتهم بها عماله ، فقد اشتكى أهل الكوفة على سعد وقالوا لا يحسن الصلاة ، فأرسل رجالا الى مساجد الكوفة(١٢٣) ، كما كان يجمع بين الولاة والوفود المشتكية لتكون المكاشفة والمدافعة اوضح وابين(١٢٤) •

لقد اشاد الكثيرون بسياسة عمر بن الخطاب الادارية فصعصعه بن

★ هذا الاسلوب شبيه بالرقيب الاداري الذي تتخذه الدول الاسكندانافية في الوقت الحاضر حيث يعين المجلس التشريعي اداريا مسؤولا عن مراقبة اعمال الجهاز التنفيذي (انظر ابوسن ، الادارة في الاسلام ، ص ١٢٤ ، ص ١٣٠) •

صوحان يقول لمعاوية : كان عالما برعيته ، عادلا في قضيته ، عاريا من الكبر ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريا للصـــواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب(١٢٥) • وقال عنـه ثابت ابن قره(١٢٦) : •• صحب عمره بالقناعة التي لا تجيب اليهـا نفس ، مـع القدرة والتمكين والسلطان والسطوة والهيبة والطاعة والاجابة ، ومزج الدنيا بالدين ، وداري في موضع المدارة ، وماري في موضع المواراة ، وأظهـــر الضعف مع القوة ، وأظهر مع القوة رأفة ، وأظهر مع الرأفة التقصي •

نومه لليقظة ، وراحته للدأب ، وقسوته للرحمة ، ومنعه للعطاء ، وصحته للعبره ، وقوله للفائدة ، ومشيه للاغاثة ، ينفض الليل بنفسه★ ويعترف في كل أمر بتقصيره ، ولا يرضى ببذل مجهوده ، نغاب★ يحدث بالغائب ، ان ارتأى لم يقل وان قال لم يخل • « ووصفه بليابيف(١٢٧) » بالسياســي المحنـك « صاحب الادارة الحديدية والعزم الذي لا يكل ولا يلين ، لقد كان مثـال الرجل الذي كرس حياته وذاته لادارة الدولة ورفع شأن الاسلام والمسلمين »•

وقال كرد علي(١٢٨) : « لقد قامت سياسته على اسلوب محكم تكاد لا تلحق به في هذا القرن اعرق الدول الحديثة وافضلها بنظمها الاداريـــة والدستورية » ، مما تقـــدم يمكن القــول ان ادارة عمر فيإختيار الولاة ومتابعتهم قد قامت على اساس القيادة المشاورة التي تميزت بعـــدم الانفراد باتخاذ القرارات وفرضها على العاملين معه ، بل ارتكزت على المشاورة ثـم واتخذ لنفسه الحق في رسم القرارات النهائية ولكن على ضوء المصلحـــة العامة ووضوح الرؤيا •

وكانت قيادته مشاركة أيضا ، تمثلت في اشراك اكبر عدد ممكن مـن

★ نظر جميع ما فيه حتى يعرفه .
★ نغاب : النقب الجـوع .

أصحابه في اتخاذ القرارات وتوزيع العمل ، وتفويض السلطة ، فكان ان اظهر عماله في ظل هذه السياسة حماسة واخلاصا وتفانيا لا نظير له .

كما تميزت هذه القيادة بالتواضع ، فلم تكن متعالية ، ولا متسلطة ، سائبة او غير مبالية ، بل كان يحسن التصرف ويضع لكل حالة علاجها ، وهو بهذه الطريقة يتخذ من نظرية الموقف Contingency Theory منهجا له(١٢٩) . لقد كان يعمل لكل يوم بمافيه ، كما اوجز هذه السياسة عندما قال : ان هذا الامر لا يصلح الا بالشدة التي لا جبرية فيها ، وباللين الذي لا وهن منه(١٣٠) . فلا غرابة أن يكون عمر قد وضع اللبنات الاولى في البناء الاداري للدولة الاسلامية ،واشار الى ذلك بوضوح عندما طعن : « لقد أقمت لكم الطرق فلا تعوجوها »(١٣١) .

المراجـع والحواشـي :

١ ـ انظر لسان العرب مادة « ساس » ، تيد ، اوردواى الادارة هدفها وانجازها ترجمة د . علي كامل بدران ، عالم الكتب القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٧ ، ص٢٥ وسيشـار اليـه « تيـد » .

٢ ـ الشنواني ، د . صلاح الدين ، مفاهيم اساسية في ادارة الافراد ، دار الاحد بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٤ وسيشار اليه « الشنواني ، مفاهيم » .

٣ ـ المحب الطبري ، ابي جعفر احمد ، الرياض النظرة في مناقب العشرة ، تح محمد مصطفى ابو العلا ، مكتبة الجندي القاهـرة ١٩٧٠ ج ٢ ص ٥٩ وسيشار اليه « الرياض النظرة » .

٤ ـ ابن قتيبة ، ابي محمد عبدالله بن مسلم ، الامامة والسياسة (المنسـوب اليه) . تح طه محمد الزيني ، الحلبي ، القاهرة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ . ج ١ ، ص ٢٥ ، وسيشار اليه « الامامة والسياسة » .

٥ ـ العسكري ، ابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل ـ الاوائل ، تح محمد السيد الوكيل ، مطبعة دار الامل طنجه ـ المغـرب ١٩٦٦ ، ص ١٢٦ ، وسيشار اليه « الاوائل » وانظر عن غيرة عمر الاصفهاني ، ابو الفرج ، الاغاني ، طبعة الهيئة المصرية : ج ١٩ ، ص ١ ـ ٢ ، ص ٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وسيشار اليه الاغاني ، ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ، سيرة عمر بن الخطاب ، سلسلة مذاهب وشخصيات ، مختارات الاذاعة والتلفزيون ، القاهرة ل . ت ، ص ٥٩ ، ٨٨ واعتمدت على طبعة دمشق ، وسيشار اليه ، ابن الجوزي ، سيرة وسيذكر مكان الطبـع ، البلاذري ، احمد بن يحي ، انساب الاشـراف ، تح محمد حميد الله ، المعارف مصر ١٩٥٩ ، ج ١ ، ص ٢٢٧ وسيشار اليه انساب الاشراف ، الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٩ ، ج٣ ، ص ٥٨٨ ، وسيشار اليه ، الطبري ، تاريخ ، ابن جعفر ، قدامه ، الخراج وصناعة الكتابة . تح د . محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ ، ص ١١٣ وسيشار اليه قدامه ، الخراج ، المبرد ، ابي العباس ، الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف ، الجزء الاول ، تح زكي مبارك ، الحلبي ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ ، والجزء الثاني احمد محمد شاكر الحلبي ١٣٥٦ ـ ١٩٥٦ ج٢ ، ص ٤١٣ وسيشار اليه ، المبرد ، الكامل .

٦ ـ الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن محمد الوليد سراج الملوك ، المكتبة المحمودية القاهرة ، ط ٤ ، ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥ ، ص ٢٥ وسيشار اليه الطرطوشي ، سراج .

٧ ـ ابن الاعرج ، ابي الفضل محمد ت (١٠ هـ) ، تحرير السلوك في تدبير الملوك ، تح فؤاد عبدالمنعم احمد مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٢ . ص ٢٤ ، وسيشار اليه تحرير السلوك . وانظر ، قدامه بن جعفر ، السياسة . من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، تح د . مصطفى الحياري ، عمان ط ١ ، ١٤٠١ ـ ١٩٨١ ، ص ٥٣ وما بعدها .

٨ ـ المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ، تح محمد محي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ وسيشار اليه « مروج الذهب » .

٩ ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٢٩ .

١٠ـ المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص ٩٠٣ ، ت ١١٦٧ . وانظر : ابن عبد ربه ، احمد بن محمد ، العقد الفريد ، تح محمد سعيد العريان ، المطبعة التجارية الكبرى ، ١٣٧٢ ـ ١٩٥٣ ، ج ١ ، ص ٣٣ ، وسيشار اليه العقد الفريد ، السمعاني ، ابي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي ، ادب الاملاء والاستملاء . ليدن ، ١٩٥٢ ، ص ٨٨ ، وسيشار اليه أدب الاملاء ، الثعالبي ، ابي منصور عبدالملك بن محمد ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، القاهرة ١٩٠٨ ، ص ٦٦ ، الكتاني عبدالحي ، التراتيب الادارية المطبعة الوطنية ، الرباط ١٣٤٦ هـ . ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

١١ـ الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص ٩٨ .

١٢ـ الرياض النظرة ، ج٢ ، ص ١٤٧ ، وانظر ابو سنن ، د . احمد ابراهيم ، الادارة في الاسلام ، المطبعة العصرية ، دبي ، ١٩٨١ ، ص ١١٩ .

١٣ـ ان عبد البر ، الاستيعاب ، بهامش الاصابة في تمييز الصحابه ، نسخة مصورة عن الطبعة المصرية الاولى ، ١٣٢٨ هـ . ج ١ ص ٢٢٥ وسيشار اليه الاستيعاب .

١٤ـ ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، دار بيروت ١٣٧٧ ـ ١٩٥٧ ج ٥ ص ٤٢ وسيشار اليه ابن سعد ، الطبقات .

١٥ـ ابن عساكر ، ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، تاريخ مدينة دمشق ، تح صلاح الدين منجد دمشق ١٩٥٤ ج٢ ص ٩٤ ـ ٩٥ .

وسيشار اليه ابن عساكر ، تاريخ ، الخيارى ، ابراهيم بن عبدالرحمن ، تحفة الادباء وسلوة الغرباء (رحلة الخيارى) تح د. رجاء محمود السامرائي ، دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٠ ج ٣ ص ٩٤ .

١٦ـ ابن سلام ، ابي عبيد القاسم ، الاموال ، تح محمد خليل هراس ، كليات الازهر ، ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩ ص ١٣٩ وسيشار اليه الاموال .

١٧ـ البلاذري ، احمد بن يحي ، انساب الاشراف ، قسم ٣ . تح عبد العزيز الدوري ، المطبعة الكاثوليكية بيروت . ١٣٩٨ ، ١٩٧٦ . ص ٣٨ .

١٨ـ الاوائل ، ١٢٣ ـ ١٢٤ ، الرياض النظرة ج ٢ ص ٥١ .

١٩ـ الاغاني ، ج ٢١ ص ٣ .

٢٠ـ الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات الشعراء ، ليدن ١٩١٦ . ص ٣٠ .

٢١ـ انظر رسالته حول العصبية في : الجاحظ ، ابي عثمان ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون ، ط ٤ ، بيروت ، ل. ت. ج ٢ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ وسيشار اليهالبيان والتبيين ، العقد الفريد ج ١ ص ٦٤ .

٢٢ـ البلاذري ، انساب الاشراف ،نسخة مصورة عن مخطوط استانبول ، بحوزة د. عبد العزيز الدوري ، ص ٥٢٦ . وسيشار اليه أنساب ، مخطوط .

٢٣ـ انظر : ابن الاثير ، ابي الحسن علي ابن ابي الكرم ، الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت ١٣٨٥ ، ١٩٦٥ وسيشار اليه ابن الاثير ، الكامل ج٣ ، ص ١٤ ، العقد الفريد ، ج١ ، ص ١٦ .

٢٤ـ انظر : البلاذرى ، احمد بن يحي ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ ص ٣٣٨ وسيشار اليه البلاذري ، فتوح ، الطبري ، تاريخ ٤ ، ص ١٨ .

٢٥ـ ابن عساكر ، تاريخ ، عاصم ـ عايذ تح سكينه الشهابي ، مطابع الطرابيشي ١٤٠٢ ـ ١٩٨١ دمشق . ص ٧٧ ـ ٧٨ . وسيشار اليه ابن عساكر ، تاريخ عاصم ـ عايذ .

٢٦ـ التلمساني ، عمر ، شهيد المحراب عمر بن الخطاب ، تح علي جمعه ، مطبعة التقدم القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٢٢ وسيشار اليه التلمساني .

٢٧ـ الرياض النظرة ج ١ ص ١٢٢ وانظر الطبرى ، تاريخ ج ٤ ص ١٨٤ في رواية مخالفة .

٢٨ـ الفندجاني ، ابي محمد الاعرابي ، اسماء خيل العرب وانسابها ، تـح د. محمد علي سلطاني ، مؤسسة الرسالة دمشق ١٩٨١ ص ٢٠٦ .

٢٩ـ ابن قتيبة ، ابي محمد عبدالله بن مسلم ، المعارف ، تح ثروت عكاشـة ، ط ٢ دار المعارف مصر ل. ت. ص ٣٩٧ وانظر عن اهتمامه بالطاعة ايضا . ابن الجوزي ، سيرة عمر ص ٩٣ ، بلتاجي ، د. محمد ، منهج عمر بـن الخطاب في التشريع ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٨٠ نقـلا عن الموطا ج ٢ ص ١٨٦ ، الام ج ٦ ص ١٩ .

٣٠ـ ابن الجوزى ، سيرة عمر ص ١٦٦ – ١٦٧ .

٣١ـ البلاذرى ، انساب ، مخطوط ص ٦١٩ وانظر عن القدوة الطبرى ، تاريخ ج ٣ ص ٤٣٣ ، المبرد ، الكامل ج ٢ ص ٢٩٣ .

٣٢ـ البلاذرى ، انساب ، مخطوط ص ٦٠٢ ، الرياض النظرة ، ج ٢ ص ٥٧ .

٣٣ـ ابن سلام ، الاموال ، ٣٨٠ وانظر عن السياسة المالية :ـ ابي يوسـف ، يعقوب بن ابراهيم ، الخراج ، المطبعة السلفية القاهرة ط ٤ ١٣٩٢ ص ١٢٧ وسيشار اليه ابو يوسف ، الخراج ، الطرطوشي ، سراج ص ٢٤٢ ، ابن الجوزى ، سيرة عمر ص ٧٤ ، ابن الجوزى ، الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء تح فؤاد عبد المنعم احمد ، شباب الجامعة الاسكندرية ١٣٩٨/ ١٩٧٨ ص ٨٣ . وسيشار اليه ، ابن الجوزى ، الشفاء . كرد علـي ، محمد ، الاسلام والحضارة العربية ، القاهرة مطبعة لجنة التاليف والنشر ، ط ٣ ١٩٦٨ ج ٢ ص ١٢٥ وسيشار اليه كرد علي ، الحضارة ، ابـن عساكر ، عبدالله بن عمران ـ عبدالله بن قيس الاشعرى . مصورات مجمع اللغة العربية دمشق ١٣٩٨ / ١٩٧٨ ص ٤١ وسيشار اليه ابن عساكر ، « عبدالله » .

٣٤ـ ابن اعثم ، ابو محمد احمد الكوفي ، الفتوح ، حيدر اباد الدكن ٩٦٨ . ج ٢ ص ٩١ ـ ٩٢ وسيشار اليه ابن اعثم الفتوح . وانظر ابن الجـوزى ، الشفاء ص ٨٣ ، البلاذرى ، انساب مخطوط ٦٢٦ ، ابن الجوزى ، سيرة عمـر ، ٥٠ .

٣٥ـ ابن الاثير ، الكامل (دار صادر) ج ٣ ص ٣١ ، السيوطي ، جلال الديـن عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تح محمد محي الدين عبد الحميد . ط ٣ . القاهرة ١٣٨٣/١٩٦٤ ص ١٦٩ وسيشار اليـه السيوطي ، تاريخ ص ١٣٩ .

٣٦ـ البلاذرى ، انساب مخطوط ص ٥٨٠ .

٣٧ـ ابن بكار ، الزبير ، الاخبار الموفقيات ، تح سامي مكي العاني ، دار الرشيد بغداد ١٩٧٢ ص ٦١٣ وسيشار اليه ابن بكار ، الموفقيات . وانظر ايضا ، العقد الفريد ج ١ ص ٢٣ ، الطرطوشي ، سراج ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، ابن الجوزى ، الشفاء ص ٦٢ ، الطبرى ، تاريخ ج ٤ ص ٦٥ ، التراتيب الادارية ج ٢ ص ٣٧٥ .

٣٨ـ ابن الداية ، احمد ، الفلسفة السياسية عند العرب ، تح د. عمر المالكي ، ط ٢ الجزائر ١٩٨٠ ص ٥٣ .

٣٩ـ ابن الجوززى ، سيرة عمر ص ٩٤ (دمشق) ابن تيميه ، تقي الدين احمد ، الحسبه في الاسلام ، تح سيد بن محمد بن ابي سعده ، دار الارقم الكويت ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ ص ١٤ .

٤٠ـ ابن الجوزى ، سيرة عمر ص ١٣٩ ـ ١٤٠ ، الرياض النظرة ج ٢ ص ١٥٩ .

٤١ـ البلاذري ، انساب ج٥ ص ٢٨ (مكتبة المثنى بغداد) ومخطوط ص ٥٦٥ .

٤٢ـ الطبرى ، تاريخ ج ٤ ص ٢٢٨ .

٤٣ـ العقد الفريد ، ج ١ ص ١٥ ، الرياض النظرة ج ٢ ص ٦٩ .

٤٤ـ البلاذرى ، انساب ، مخطوط ٦١٣ ، الاوائل ١٤١ .

٤٥ـ ابن الجوزى ، سيرة عمر ١٤٢ .

٤٦ـ من تراث الفقه السياسي ، « مجموع في السياسة » لابي نصر الفارابي ، لابي القاسم الحسين بن علي المغربي ، للشيخ الرئيس ابن سينا ، تح د. فؤاد عبد المنعم احمد ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٢ ص ٤٦ ـ ٤٧ وسيشار اليه مجموع في السياسة .

٤٧ـ انظر : ابن خياط ، خليفة ، تاريخ . تح اكرم ضياء العمري ، النجف ١٩٦٧ ج ١ ص ١٢٧ وسيشار اليه ابن خياط ، تاريخ ، البلاذرى ، انساب مخطوط ، ٦٢١ ، البلاذرى ، فتوح ، ٣٧٧ ـ ٣٧٨ الاوائل ، ١٣٧ .

٤٨ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ص ٢٩٩ .

٤٩ـ البيهقي ، الشيخ ابراهيم بن محمد ، المحاسن والمساوىء بيروت ١٣٨٠/ ١٩٦٠ ج ٢ ص ٥٤ وسيشار اليه المحاسن والمساوىء ، وانظر وكيع ، محمد بن خلف بن حيان ، اخبار القضاة ، عالم الكتب بيروت . ل . ت ج ١ ص ٢٧٤ ، السياسة من كتاب الخراج وصناعة الكتابه ص ٥٥ ، ابن اعثم ، الفتوح ج ٢ ص ٨١ ، العقد الفريد ج ١ ص ٩٣ .

٥٠ــ وكيع ، اخبار القضاة ج ١ ص ٨١ ، ص ٢٧٢ وانظر ج ١ ص ٢٨٥ ، الطبري تاريخ ج ٤ ص ٤٧ .

٥١ــ انظر عن دوره في الحروب الطبري ، تاريخ ج٣ ، ٢٤٩ ، ٣٧٥ ، ٦٠٣ .

٥٢ــ ابن سعد ، الطبقات ، ج ٣ ص ٣٠٥ وانظر الزمخشري ، الفاقد في غريب الحديث ، تح محمد علي البجاري وزميله ، دار احياء الكتاب العربي ١٣٦٢ هـ . ج ٢ ص ٣٦٥ . الطبري ، تاريخ ج ٤ ص ٦٤ ــ ٦٥ .

٥٣ــ البلاذري ، انساب ج ١ ص ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ .

٥٤ــ البلاذري ، انساب ج ١ ص ١٦٣ ، الطبري ، تاريخ ١٦٤/٤ ، و ج ٤ ص ٦٤ ــ ٦٥ . وانظر الازدي ، محمد بن عبدالله ، فتوح الشام تح عبدالمنعم عامر ، القاهرة ، سجل العرب ١٩٧ ص ٢٤٨ وسيشار اليه الازدي ، فتوح اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب ، تاريخ ، تقديم محمد صادق بحر العلوم ، النجف ١٩٦٤/١٣٨٤ ج ٢ ص ١٤٥ وسيشار اليه اليعقوبي ، تاريخ ، الاوائل ٢٨٦ .

٥٥ــ سورة القصص الايه ٥ .

٥٦ــ وكيع ، اخبار القضاة ، ج ١ ص ٨١ ، ص ٢٧٢ ، وانظر ج ١ ص ٢٨٥ ، الطبري ، تاريخ ج ٤ ص ٤٧ .

٥٧ــ قدامه ، الخراج ، ص ١٢٤ ــ ١٢٥ ، الرحبي ، عبدالعزيز بن محمد ، الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج تح د. احمد عبيد الكبيسي ، بغداد ٩٧٣ ج ٢ ص ٥٥ وسيشار اليه الرتاج .

٥٨ــ الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٢٦١ وانظر عن الرفق ، العقد الفريد ج ١ ص ٩٣ .

٥٩ــ ابن الجوزي ، سيرة عمر ، ٨٥ .

٦٠ــ البلاذري ، فتوح ٢٥١ ، ابن الاثير ، الكامل ج ٢ ص ٢٩٨ (دار صادر) ، وانظر العقدالفريد ج ١ ص ٩٣ ، الشيباني ، محمد بن حسن ، شرح كتاب السير الكبير ، تح صلاح الدين منجد ، القاهرة ١٩٥٨ ج ١ ص ٦٢ ، الازدي ، فتوح ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣ ، ابن اعثم ، الفتوح ج ٢ ص ٣ ــ ٤ .

٦١ــ الماوردي، ابي الحسن ،التحفة الملوكية في الاداب السياسية (منسوب اليه) تح د. فؤاد عبد المنعم ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٨١ . وانظر الطرطوشي ، سراج ١٩١ .

٦٢ـ مجهول ، تاريخ الخلفاء ، اكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي ، موسكو ١٩٦٧ : ص ١٩ .

٦٣ـ الطبرى ، تاريخ ج ٤ ص ١٤٤ ، الاوائل ص ٨١ ، النويرى ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الارب ، تح محمد ابو الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية ٩٧٥ ج ١٩ ص ٣٦٨ – ٣٦٩ .

٦٤ـ الطبرى ، تاريخ ج ٤ ص ٦٤ .

٦٥ـ ابن القارح ، علي بن منصور الحلبي ، رسالته ضمن رسالة الغفران ، لابي العلاء المعرى ، تح د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ط ٢ ، دار المعارف ١٣٩٧ / ١٩٧٧ . ص ٦٨ ، الرياض النظرة ج ٢ ص ١٤١ . وانظر الجاحظ ، ابي عثمان ، الحيوان ، تح عبد السلام هارون ، الحلبي . القاهرة ٩٤٣/٣٦٢ ج ٧ ص ١٦٠ ، القيرواني ، ابي علي بن الحسن بن رشيق ، العمدة ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت ط ٤ ٩٧٢ ج ١ ص ٢٦٥ .

٦٦ـ التوحيدى ، ابي حيان ، البصائر والذخائر ، تح ابراهيم الكيلانـي ، مكتبة اطلس دمشق ١٩٦٤ المجلد الاول القسم الاول ص ١٦ .

٦٧ـ الجاحظ ، ابي عثمان ، البرصان والعرجان والعميان والحولان تح عبد السلام هارون ، دار الرشيد للنشر بغداد ٩٨٢ ص ٣٤٩ – ٣٥٠ وانظر عن عمر في الوضوح : الرياض النظرة ج ٢ ص ١٧٥ .

٦٨ـ البلاذري ، انساب مخطوط ٦١٩ ، وانظر ابن الجوزي ، سيرة عمر ١٥١ . وانظر المبرد ، الكامل ج ٢ ص ٥١٠ .

٦٩ـ ابن الجوزى ، سيرة عمر ص ٨٨ .

٧٠ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

٧١ـ عن ذلك انظـر :

ابن قتيبه ، ابي محمد عبدالله بن مسلم ، عيون الاخبار ، الهيئة العامة للكتاب العربي ل . ت ج١ ص ٣٢٩ . المرزباني ، ابي عبيد الله محمد بن عمر ، نور القبس في اخبار النحاة والادباء والشعراء والحكماء ، اختصار ابي المحاسن يوسف بن احمد بن محمود الحافظ اليغموري تح رودلف زلهايم ، فيسبادن ١٣٨٤/١٩٦٤ ص ٢٣٢ البلاذرى ، انساب ، ج ١ ص ١٦٣ . الكلبي ، جمهرة مخطوط ج ١ ص ٦٨ ، ٨٢ ، ٥٠٧ ، قدامه الخراج ١٦ ، ١١٣ ، وكيع ، اخبار القضاة ج١ ص ٧٦ – ٧٧ . ابن =

= منقذ ، الامير اسامة ، لباب الاداب تح أحمد محمد شاكر ، الفجاله مصر ١٩٥٣ ص ٣٣٥ ، الرتاج ج ١ ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ج ٢ ص ٤٣ — ٤٤ ، ص ١٤٥ — ٤٤١ .

٧٢ــ الطرشوشي ، سراج ١٤٥ .

٧٣ــ الموفقيات ، ١٠٨ وانظر :ـ الازدي ، فتوح ، ابن اعثم ، ج٢ ، ص١٠ ، الطبري ، تاريخ ج ٤ ، ص ٥٧ ، ابن الجوزي ، سيرة عمر ١٠٨ ، ١٣٣ .

٧٤ــ ابن خياط ٢ تاريخ ج١ ، ص ١٢٠ ــ ١٢١ وانظر ، الكلبي ، هشام ، جمهرة النسب ، نسخة مصورة عن نسخة المتحف البريطاني ، بحوزة د . عبدالعزيز الدوري ، ج١ ، ص ٢٩٤ .

٧٥ــ الازدي ، فتوح ، ص ١٠١ ــ ١٠٢ وانظر ، قدامه ، الخراج ١٣٢ ، الرتاج ج ٢ ، ص ٤٤ ، ٥١ .

٧٦ــ الدينوري ، ابو حنيفة ، الاخبار الطوال ، تح عبدالمنعم عامر ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٠ ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦ .

٧٧ــ الازدي ، فتوح ، ص٢٧٤ وانظر في نفس الصفحة ترجمه علي معاذ بن جبل

٧٨ــ عن ذلك انظر : ابن الجوزي ، سيرة عمر ، ص ٨٤ ، العقد الفريد ، ج١ ، ص ٩٣ ،الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص ٣٣٨ .

٧٩ــ وكيع ، اخبار القضاة ، ج١ ، ص ٢٨٥ .

٨٠ــ البلاذري ، انساب ، مخطوط ٦١١ ، وانظر ابن الجوزي سيرة عمر ٥٥ ، ١٥٢ ،وكيع ، اخبار القضاة ، ج١ ، ص٥٦ .

٨١ــ وكيع اخبار القضاة ، ج٢ ، ص ١٨٨ وانظر مجموع في السياسة ص ٥٧ .

٨٢ــ انظر عن التقشف : قدامه ، الخراج ، ص ١٢٥ ، الطرطوشي ، سراج ٢٦٥ ، الرياض النظره ، ج٢ ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، السيوطي ، تاريخ ١٢٨ ، التحفة الملوكية ١١٤ ، المبرد الكامل ١٣١/١ ، ابن عساكر عاصم ، ص ٣١٠ ، الطبري ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ٦٠٧ ، الاسكافي ، محمد ابن عبدالله الخطيب ، لطف التدبير ، احمد عبدالباقي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩/١٩٧٩ ، ص ١٤٤ .

٨٣ــ لطف التدبير ، ص ١٤٤ .

٨٤ــ المبرد ، الكامل ، ج١ ، ص ٩٠ ، والابض الرقيق اللون الذي يؤثر فيه كل شيء .

٨٥ـ السمعاني ، ادب الاملاء والاستملاء ، ص ١١٨ .

٨٦ـ ابن الجوزي ، سيرة عمر ، ص ٥٦ .

٨٧ـ التاج ، ج٢ ، ص ٦٤ ـ ٦٦ .

٨٨ـ انظر : الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٢٤ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٧ ، ابن تيمية ، الحسبة ، ص ٥٧ ـ ٥٨ ، الرياض النظرة ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

٨٩ـ الطنطاوي ، علي و ناجي ، اخبار عمر واخبار عبدالله بن عمر ، دار الفكر دمشق ١٣٧٩/١٩٥٩ ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ نقلا عن الرياض النظره ، ج٢ ص ١٥٢ .

٩٠ـ الجهشياري ، ابي عبدالله محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، تح مصطفى السقا وزملائه الحلبي ، ١٣٥٧/١٩٣٨ ، ص ١٦ ، الطبري ، ج ٣ ، ص ٥٨٤ .

٩١ـ كرد علي ، الحضارة العربية ، ج٢ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

٩٢ـ انظر : الاغاني ، ج٧ ، ص ٢١٧ ، لطف التدبير ١٤٤ ، البلاذري ، انساب مخطوط ٦٢١ ، العقد الفريد ، ج١ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ ، ابن الاثير ، الكامل ج ٣ ، ص ١٤ .

٩٣ـ البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ص ٢٩٤ . والسيلحين قرب الحيره .

٩٤ـ ابن اعثم ، الفتوح ، ج٢ ، ص ٨٢ .

٩٥ـ انظر : العقد الفريد ، ج١ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١٤ ، (دار صادر) الطرطوشي ، سراج ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

٩٦ـ الموفقيات ١٥٧ ، لباب الاداب ١٥ .

٩٧ـ انظر : البلاذري ، انساب مخطوط ٥٦٤ ـ ٥٦٥ ، البلاذري ، فتوح ، ٣٧٨ ، الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ١١٣ ، ابن الجوزي ، سيرة عمر ٨١ ـ ٨٢ ، ٣٦٣ ـ ٣٦٦ .

٩٨ـ الاغاني ، ج ٥ ، ص ١٣٦ (دار الكتب المصرية) .

٩٩ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٧١ .

١٠٠ـ البلاذري ، انساب مخطوط ٥٦٤ ـ ٥٦٥ ، فتوح البلاذري ٩٣ ، وانظر ابن الجوزي ، سيرة عمر ، ص ٨٢ النويري ، نهاية الارب ١٩/٣٦٣ـ٣٦٦.

١٠١ــ انظر : ابن اعثم الفتوح ، ج٢ ، ص ٣ ــ ٤ ، البلاذري ، انساب مخطوط ٥٩٥ ، فتوح البلدان ٣٠٢ ، الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص ٧١ ، قدامه ، الخراج ، ص ١٥ ، العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٦٤ ، ابن الجوزي ، سيرة عمر ١٥٤ ، الرياض النظرة ، ج٢ ، ص١٠٣ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، الرتاج ، ج ١ ، ص ١١٣ ، ج ٢ ، ص ٦٧ .

١٠٢ــ التلمساني ، عمر ، شهيد المحراب عمر بن الخطاب . تح علي جمعة ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٩٨ .

١٠٣ــ انظر : الطرطوشي ٢٤٥ ، ابن الجوزي سيرة عمر ٨٣ (دمشق) الرياض النظره ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ــ ١٥٦ .

١٠٤ــ ابن الاثير ، الكامل ، ج٣ ، ص ٢٩ ــ ٣٠ ، ابن الجوزي ، سيرة عمر ١٤٢ (دمشق) .

١٠٥ــ انظر : البصائر والذخائر ، م٢ ، ص ٥٣٤ ، ابن الجوزي ، سيرة عمر ١٢٨ (دمشق) .

١٠٦ــ البقري ، القيادة وفعاليتها ، ص ١١٦ ، الشنواتي ، مفاهيم اساسية ، ص ٤٨ .

١٠٧ــ لطف التدبير ، ص ١٤٣ .

١٠٨ــ انظر : ابن اعثم ، الفتوح ، ج٢ ، ص ٢٩٤ ــ ٢٩٥ ، الازدي ، فتوح ٩٩، العقد الفريد ، ج١ ، ص١٢ الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٢٥ ، الاموال ٣٥١ ــ ٣٥٢ ، الطرطوشي ، سراج ٢٦٧ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٠ ، البيان والتبيين ، ج٢ ، ص ٦٨ ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٣٣٣، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٢١٩ ، الاستيعاب بهامش الاصابة ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ١٤٥ ، الانباري ، ابي بكر محمد ابن القاسم ، الزاهر في معاني كلمات الناس . تح د . حاتم صالح العناني، دار الرشيد بغداد ١٣٩٩/١٩٧٩ ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ الرياض النظرة ، ج ٢ ، ص ١٥١ .

١٠٩ــ ابن عاصم ، ابي الفضل بن سلمه ، الفاخر ، تح عبدالعليم الطماوي ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١١٩ .

١١٠ــ خطاب ، اللواء محمود شيت ، الفاروق القائد ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٨٥/ ١٩٦٦ ، ص ٥٧ نقلا عن العقاد ، عبقرية عمر ، ص ١٥٨ .

١١١ــ انظر : جمهرة النسب ، ج١ ، ص ٢٤٣ ، هارون عبدالسلام ، نوادر =

= المخطوطات ١ ـ ٤ كتاب من نسب الى امه من الشعراء ، ص ٨٨ ، الاوائل ١٣٧ .

١١٢ـ مجموع في السياسة ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

١١٣ـ التاج في اخلاق الملوك المنسوب اليه . تح فوزي عطوي : الكتاب العربي ، بيروت ل . ت ، ص ١٦٨ ، المحاسن ج٢ ، ص ٣٧٥ ، ابن العديم ، كمال الدين ابن القاسم عمر بن احمد بن هبة الله . زبدة الحلب من تاريخ حلب تح سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١ ، ج١ ، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

١١٤ـ انظر : وكيع ، اخبار القضاة ، ج٢ ، ص١٨٩ ، انساب الاشراف مخطوط ٦٢٤ ، الاغاني ، ج١٧ ، ص ٢١٧ ، قدامه ، الخراج ، ص ١٥ ، البيان والتبيين ، ج٢ ، ص ٢٨٦ ، العقد الفريد ، ج١ ، ص ١٠ ، ابن هذيل ، ابن الحسن بن علي بن عبدالرحمن ، عين الادب والسياسة او زين الحسب والرياسة ، دار الكتب العلية ، بيروت ١٩٨١ ، ص ١٨٣ ، وابن الجوزي، ابي الفرج جمال الدين ، صفة الصفوة ، تح محمود فاخوري وزميله ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩ ، ج١ ، ص ٦٦٩ ، كرد علي ، الحضارة العربية ، ج٢ ، ص ٩٦ ابو سن ، الادارة في الاسلام ، ص ١١٣ ، نقلا عن كرد علي ، الحضارة العربية ، ج٢ ، ص ١١١ .

١١٥ـ الخضري . الشيخ محمد ، محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ، المطبعة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٨٢ ، ج٢ ، ص١١ وانظر على سبيل المثال : ابن خياط تاريخ ، ج١ ، ص ١٢٩ ، الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص ٢٧٢ ـ ٤٣٨ ، ج٤ ، ص ٥٥ . البلاذري ، فتوح ، ص ١٣٥ ، ابن العديم ، ج١ ص ٣٦ ، لطف التدبير ، ص ١٤٥ .

١١٦ـ انظر على سبيل المثال : الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص ١١٢ ص ١٦٣ ، انساب الاشراف ، ج١ ، ص ١٦٣ ، ص ١٦٧ .

١١٧ـ الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

١١٨ـ انظر : الاموال ٣١٨ ، جمهرة النسب ، ج١ ، ص ٢٤٣ ، البلاذري ، انساب مخطوط ٥٩٨ ، ٦١٤ ، ٦٢١ ، وفتوح البلدان ٩٣ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ٢ ، ص ١٤٧ ، الطرطوشي ، سراج ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، الاوائل ١٣٧ ، ابن الزبير ، الرشيد ، الذخائر والتحف . تح د . محمد حميدالله ، سلسلة التراث العربي ، الكويت ١٩٥٩ ، ص ٢٧٨ .

١١٩ـ المبرد ، الكامل ، ج٣ ، ص ١١٥ ، وانظر كذلك عيون الاخبار ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، الطرطوشي ، سراج ٢٦٧ ز مجهول ، تاريخ ، ص ٩ .

١٢٠ـ ابو يوسف ، الخراج ، ص ١١٦ ، اسـد الغابـة ، ج٣ ، ص ٣٣٠ ، الطرطوشي ، سراج ٢٦٦ .

١٢١ـ البيان والتبيين ، ج١ ، ص ٣٢٧ ، من اقوال قسامه بن زهير : يا معشر الناس ان كلامكم اكثر من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصـواب بالفكـر .

١٢٢ـ القالي ، ابي علي اسماعيل بن القاسم ، الامالي ، دار الافاق الجديـدة بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠ مراجعة لجنة احياء التراث العربي ٢٠ ، ص ١٢١ .

١٢٣ـ البلاذري ، فتوح ، ٢٧٧ ، الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص ١١٢ ، ابن الاثير ، ج٢ ، ص ٥٦٩ (دار صادر) .

١٢٤ـ انظر : الاغاني ، ج٢ ، ص ١٧٦ : ابن الاثير ، ج٣ ، ص ١٣ ، صفة الصفوة ج ١ ، ص ٦٦٦ ، ٦٩٧ ، ٧٠١ .

١٢٥ـ لباب الاداب ، ص ٦٦ .

١٢٦ـ انظر وصف ثابت هذا في البصائر والذخائر م٢ ، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٠ .

١٢٧ـ العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة د . انيس فريحـه ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٣ ، ص ١٩١ .

١٢٨ـ الاسلام والحضارة العربية ، ج٢ ، ص ١٢٢ .

١٢٩ـ ابو سن ، الادارة في الاسلام ، ص ٤٨ .

١٣٠ـ انظر : البيان والتبيين ، ج٣ ، ص ٢٦٦ ، قدامه ، الخراج ، ص ١٢٨ ، البلاذري ، انساب مخطوط ٦١٦ ، العقد الفريد ، ج١ ، ص ١٨ ، السيوطي تاريـخ ١١٠ .

١٣١ـ وكيع ، اخبار القضاة ، ج٣ ، ص ٢٥٤ .

معاهدة ١٩٣٦

بين مصر وبريطانيا وأثرها السياسي على السودان

الدكتور احمد ابراهيم دياب

رئيس قسم البحوث والدراسات

التاريخية بمعهد البحوث والدراسات العربية

معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا

وأثرها السياسي على السودان

الدكتور
احمد ابراهيم دياب
رئيس قسم البحوث والدراسات التاريخية
بمعهد البحوث والدراسات العربية

ان الاحداث السياسية والحركات التحريرية قد تأثرت في العقد الرابع من هذا القرن الى حد بعيد بظهور دول المحور كعامل اساس في السياسة الدولية وبدأ السودانيون يحسون ان انجلترا لم تعد حرة طليقة اليد في تكييف الشؤون الدولية لان المانيا النازية اخذت تخاطب انجلترا بالاسلوب الذي طالما تمنى السودانيون لو تكلموا به او سمعوا من يوجهه الى سادة لندن(١) • وقد امتد اثر هذه الظاهرة السياسية الجديدة الى مصر فارتدى بعض شبابها القمصان الملونة ورسموا في اطارات وطنية ، وبالفاظ طنانة ، برامج كبيرة مؤملين بلا ريب ان ياخذ الشعب منها ترياقا للضعف والانحلال القومي • وكانت انجلترا تأمل وتنادي على لسان الصحافة المصرية بضرورة قيام محالفة عسكرية بين مصر وبريطانيا • ويصف جورج كيرك في كتابه حالة الساسة المصريين في ذلك الوقت بقوله « ليس هناك شك في ان تهديد تحويل مياه النيل عن مصر للرى المطلق للاراضى السودانية وبدون حدود ، قد تركت المصرين في حالة عدم ارتياح لان الماء الذي يعتمد عليه الاقتصاد المصري سيصبح تحت رحمة بريطانيا طالما بقيت بريطانيا مسيطرة على السودان(٢) •

لم تصل المباحثات التي ظلت تجرى وتفشل الى اتفاق مصر وبريطانيا منذ عام ١٩٢٠ الا في سنة ١٩٣٦ • ومما اجبر الطرفين على عقد الاتفاق الاحداث العالمية التي نتجت من هجوم ايطاليا على الحبشة ، والاحداث الداخلية لمصر التي كانت اخرها المظاهرات الدامية التي وقعت في الجامعة المصرية(٣) • وعلى اثرها نصبت مائدة المفاوضات وقد اشترطت انجلترا ان

تمثل مصر بجبهة مكونة من جميع الاحزاب للتعاون على الدفاع عن المعاهدة بعد توقيعها . وكان هدف الانجليز من وراء المفاوضات للوصول الى موضع مريح ومشروع يحفظ لهم التوازن العسكري في حالة نشوب حرب مع ايطاليا كما كان محتملا .

ذهب الفريق المصري الى المفاوضات جبهة متحدة متماسكة في المظهر والشكل متباينة متنافرة في العقلية كما هي متباينة في فهم القضية المصرية ، يحمل جميع اعضاء الجبهة عوامل الشقاق والخصومة وعدم الثقة فيما بينهم . تلك العوامل التي عاشت في شرابنهم وتوالدت في دمائهم . وبدأت المفاوضات قبل ان يقضي رجال الجبهة المدة الكافية للمرال معا ، كما ان المفاوضين المصرين لم يتعودوا على رسم خطتهم قبل الذهاب الى مائدة المفاوضات وذلك بالاتفاق فيما بينهم على الحد الاقصى لمطالبهم لا على الحد الادنى لها ، ومحاولة صب الاوضاع المختلفة في قوالب لفظية وصيغ قانونية متعددة وقصر المفاوضات على تغيير المبنى دون المعنى(٤) .

قوبلت المفاوضات ومن بعدها المعاهدة ، في القاهرة بالسرور والاغتباط لكن الشعور ازاءها في الخرطوم اجتاز ثلاثة مراحل او اطوار .

فقد استقبلت انباء المفاوضات بسرور يمازجه قلق مبعثه الخوف من الوصول الى نتائج مخيبة للامال . ذلك لان السوادنين ظلوا اعواما طويلة تداعبهم صورة جيش الانقاذ الزاحف من مصر لينشلهم من براثن الامبراطورية البريطانية . حتى انهم يحفظوا عن ظهر قلب العبارات النارية التي اعلنها زعماء مصر بصدد السودان وارتكازا على هذه الاحلام صاروا يشيدون من طيف المفاوضات قصور الحرية والحياة الكريمة التي يروعهم ان تتلاشى مع شمس المعاهدة(٥) .

كانوا يأملون ان تتمخض معركة المفاوضات عن ما يقطع الصلة التي

تربطهم على العجلة الامبراطورية البريطانية . فقد اقنعتهم سياسة الادارة البريطانية في السودان في الفترة التي تلت حركة ١٩٢٤ بان السودان اذ ما فصل عن مصر كتب له الفناء كما اقتنع الكل بضرورة زوال الحكم النائي المتمثل في الادارة البريطانية .

ولكن هذا الاشفاق سرعان ما تحول الى خيبة أمل قاتله عندما حمل المتفاوضون حقائبهم ويمموا صوب لندن لتوقيع نصوص معاهدة عرف الانجليز في السودان انها لن تمس الوضع الاداري في قليل او كثير(٦) .

وخلقت اخبار معاهدة خيبة أمل في النفوس وادرك السودانيون ان عاصفة المفاوضات اخذتهم على غرة . اخذتهم قبل ان يقوم من بينهم من ينذرهم كيلا لا يسرفوا في التفاؤل ويسترسلوا مع الاوهام والاحلام . ادركوا بعد فوات الفرصة ان المفاوض المصري لم يحسن استغلال الموقف العسكري لمصلحة مصر والسودان بل سمح بان يرصد هذا العامل لحساب المفاوض الانجليزي ولمصلحة بريطانيا(٧) .

لقد تأثر وضع السودان في تلك المعاهدة بالمادة الحادية عشر . وقد اكدت المادة وضع السودان العالمي كما هو موضوع في وفاق ١٨٩٩ مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة لتعديل اتفاقيتي يناير و ١٠ يوليو ١٨٩٩ . كما اتفق الطرفان المتعاقدان على ان ادارة السودانين تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين ويواصل الحاكم العام نيابة عن كل من الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى وفاق ١٨٩٩(٧) .

كما اتفق الطرفان المتعاقدان على ان الغاية الاولى لادارتهما للسودان يجب ان تكون « رفاهية السودانين » وليس في نصوص هذه المادة من المعاهدة اي مساس بمسألة السيادة على السودان وهذا كان يعنى بالنسبة للسودانين انذاك ان المعاهدة لم تغير الوضع الكائن في السودان .

لقد اتضح من الجزء الخاص بالسودان من المعاهدة التي اتفق عليها زعماء الاحزاب وعلى رأسهم مصطفى النحاس مع الاستعمار الانجليزي وذلك بالاشتراك في ادارة السودان كما كان وبرجوع الجيش المصري والمساواة بين المصالح المشتركة في التجارة والتمليك • اما السودان في هذه المعاهدة فكان يكفيه الرفاهية بملء الوظائف الحكومية واما السيادة فلم يشار اليها الا بذلك النص الغامض المتقدم ذكره وكان الموضوع قد اثار في حينه سؤالا وجهه المفاوض البريطاني حول السيادة في مفاوضات محمد محمود/هندرسون في سنة ١٩٢٩ فاجاب محمد محمود رئيس الوفد المصري في المفاوضات بقوله « تستمر السيادة الانجليزية المصرية على السودان طبقا لشروط الاتفاقيات الحالية »(٩) •

فهل يعنى هذا النص ان السيادة محتفظ بها للسودانين ؟ واذا كان الامر كذلك اي ان السيادة محتفظ بها للسودانين فلماذا لم ينص عنها صراحة • واذا كان النص المتقدم عن السيادة يعني ايضا انه محتفظ بها للسودانين فلماذا نرى المفاوض المصري يتشبث بها ويدعيها حينا ويرفضها احيانا كما اوضح ذلك النحاس في مفاوضاته مع هندرسون في ١٩٣٠ بقوله « ودون مساس بحق مصر في السيادة على السودان »(١٠) وكذلك اقواله وتصريحاته واقوال غيره من زعماء الاحزاب المصرية في المفاوضات المقبلة •

هذا ما تفقت عليه بريطانيا والاحزاب المصرية حول السودان في معاهدة الشرف والكرامة بين النحاس وأيدن والتي سميت بمعاهدة الصداقة والتحالف • والتي كان لها في نفوس السودانين صدى غير حميد وصدمتهم بنود المعاهدة صدمة كبرى لاسيما وانه لم يؤخذ رأيهم في الامر ولم يعبأ بهم احد(١١) •

ويقول عبد الفتاح بدور في مؤلفه عن المعاهدة • « لقد سببت معاهدة

١٩٣٦ قلقا وخوفا وسط السودانين ، وقد وصفوا بنودها بانها طريقة غير مباشرة لفصل وادي النيل وتخلي مصر عن السودان ولم يستشار القادة السودانين في هذا الموضوع مما سبب لهم كثيرا من عدم الارتياح »(١٢) •

وقد نصت المعاهدة في مادتها السادسة عشر على انه يمكن للطرفين المتعاقدين ان يدخلا في مفاوضات بناء على طلب اي منهما في اي وقت بعد انقضاء مدة عشرين سنة على تنفيذ المعاهدة بما يلائم الظروف السائدة حينذاك كما نصت المعاهدة على انه يمكن في أي ظرف بعد انقضاء مدة عشر سنوات على تنفيذ المعاهدة الدخول في مفاوضات برضى الطرفين المتعاقدين بقصد اعادة النظر فيها • وبعث هذا النص الاخير املا في نفوس السودانين فرأوا ان يهيئوا انفسهم لمواجهة الموقف عند اعادة النظر في المعاهدة او تعديلها وبذلك يحصلوا لبلادهم على مافاتها • ومن هنا كان هذا الامر حافزا للتكتل وسببا كبيرا من اسباب ترحيب الخريجين بفكرة مؤتمر الخريجين بعد ذلك(١٣) •

لقد ادى توقيع معاهدة ١٩٣٦ الى ظهور السيد عبد الرحمن المهدي ظهورا واضحا في مجال السياسة السودانية • ذلك انه جمع مستشاريه وخاصته وقرر ان يسافر لانجلترا كما قال عبد الرحمن علي طه احد مستشاريه في مؤلفه « انه سافر ليستوضح معنى (الرفاهية) ويستفسر عن امر السيادة »(١٤) • ولقد وضح غرض سفره للادارة البريطانية في السودان فلم تمنعه بل مهدت له الطريق • وسافر لانجلترا — وليس لمصر — وهناك استدعته وزارة الخارجية البريطانية وبدأ الحديث في امر المعاهدة وما جاء فيها عن الرفاهية والسيادة •

قيل له ان الرفاهية تعنى الرقي المادي والادبي في جميع ميادين الحياة ، وعن السيادة كانت الاجابة توضح الدبلوماسية البريطانية المعروفة بميوعة الكلمات ، فأشاروا له بان السيادة معلقة حينا ، وحينا بانها ممثله في العلمين

المرفوعين على دور الحكومة اي مشتركة(١٥) •

ولكن هل كانت رحلة السيد عبد الرحمن المهدي مقصود بها المعاهـدة ام ان طموح السيد المهدي قد اثرت فيه المعاهدة فارادا ان يطمئن على احـلام الملكية المهدوية في السودان •

(١) احمد خير : كفاح جيل ، ص ٧٤ •
(٢) Q-kik Litorge : Ashort History of the Middle East p. 167
(٣) احمد خير : كفاح جيل ، ص ٧٧ •
(٤) احمد خير : كفاح جيل ، ص ٧٧ •
(٥) احمد خير : كفاح جيل ، ص ٧٧ •
(١٣) مذكرات ازهري الحلقة ١٩ ، جريدة الايام في ٢٤ــ٦ــ١٩٥٧ •
الوثائق الخرطوم رقم 161/57 Cwses نقلا عن جعفر بخيت : الحركـة الوطنية والادارة البريطانية •
(٧) مذكرات ازهري : الحلقة ١٩ ــ جريدة الايام في ٢٤ــ٦ــ١٩٥٧ •
(٨) جمهورية مصر : السودان ، ص ٨٧ •
(٩) المرجع السابق ، ص ٤٥ •
(١٠) المرجـع السابـق ، ص ٧٣ •
(١١) مذكرات ازهري : الحلقة ١٩ ــ جريدة الايام في ٢٤ــ٦ــ١٩٥٧ •
(١٢) Beddou, A.F. : Sudancsc Egyptia Pelatins Page 125
(١٣) مذكرات ازهرى الحلقة ١٩ ، جريدة الايام في ٢٤ــ٦ــ١٩٥٧ •
(١٤) عبدالرحمن علي طه : السودان للسودانين ، ص ٣٠ •
(١٥) المرجـع السابـق ، ص ٣٠ •

نهاية النفوذ السلجوقي في العراق

الدكتور

محمد جاسم حمادي المشهداني

قسم الدراسات التاريخية/المعهد العالى

للدراسات القومية والاشتراكية

الجامعة المستنصرية

نهاية النفوذ السلجوقي في العراق

الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني
قسم الدراسات التاريخية/المعهد العالي
للدراسات القومية والاشتراكية
(الجامعة المستنصرية)

في عهود ضعف الخلافة العباسية تعرض العراق لمشاكل داخلية ومخاطر خارجية ، من ابرزها الغزو البويهي لمدينة بغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م وما رافقه من تدهور خطير في الوضع الحضاري والاقتصادي والاجتماعي في العراق عموما ، غير ان ضعف الدولة البويهية في المشرق رافقه تنامي قوة جديدة ، هي قوة قبائل الغزّ السلجوقية والذين اندفعوا سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م من سهول تركستان ، واخذوا يتطلعون لغزو العراق ، وتم لهم ذلك في ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، ودخلوا بغداد عن طريق حلوان ، ويعلق المؤرخ البنداري على تحرك الجيش السلجوقي نحو العراق ، قائلا « ... فعزم على الحركة واندفع كالسيل ... ولم يترك الترك وردا الا شفهوه ، ولا حسنا الا شوهوه ، ولا نارا الا ارشوها ، ولا دارا الا شعثوها ، ولا عصمة الا رفعوها ، ولا وصمة إلا وضعوها ... فما جاؤوا الى بلدة الا ملكوا مالكها ، وملأوا مسالكها ، وارعبوا ساكنيها واسكنوها الرعب ، وغلبوا ولاتها وولوها الغلب ، وأزوروا الى الزور واشاعوا مد اليد بالغارة الشعواء »(١) .

وضع العراق في ظل الاحتلال السلجوقي :

سيطر السلاجقة على كافة مرافق الدولة ، وكانوا يتدخلون في نصب وخلع وزير الخليفة ، وصار الخلفاء يتسلمون رواتبهم وارزاقهم من السلاجقة، ووضعوا الجيش تحت تصرف واشراف نائبهم المدعو « العميد » ووضعوا الاشراف على الامن والنظام تحت اشراف « الشحنة » ، وفوض الى هؤلاء النواب امر ضبط الامن في العراق ، وارسال الاموال الى خزانة السلطان

السلجوقي الذي اخذ يشرف على ما يدخل الى بيت المال من الايرادات ، وفقدت الخلافة العباسية هيبتها(٢) ويمكن تصور وضع الخليفة المزري من رسالة السلطان السلجوقي ملكشاه الى الخليفة المقتدي بامر الله الذي يقول له فيها : « لابد ان تترك لي بغداد وتنصرف الى أي البلاد شئت ... والتجأ الخليفة الى وزير السلطان ، وطلب منه ان يسأل سلطانه بتأجيل موعد خروجه من بغداد عشرة ايام ليتسنى له الاستعداد للانتقال ... »(٣) .

وتتيجة للسياسة القاسية التي اتبعها السلاجقة في العراق والتي تمثلت في خلق وتغذية الانقسامات الاجتماعية والدينية في المجتمع العراقي ، ومما سهل عملهم ضعف سلطان الخليفة ، فكثرت المنازعات والانقسامات والفتن في العراق عامة وبغداد بصفة خاصة ، وشهدت الفترة من ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وحتى سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م مايقارب من ست عشرة حادثة نزاع طائفي وبالاخص في بغداد(٤) ، وما رافق ذلك من عمليات قتل ، ونهب ، وسلب ، وحرائق كبيرة وتدهورت الاوضاع الاقتصادية الى حد لايطاق ، وقد سجلت لنا كتب التأريخ عشرة حوادث لغلاء الاسعار ، والقحط مابين سنتي ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م وسنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م(٥) ، ورافق ذلك انتشار الاوبئة والامراض التي انتشرت في العراق(٦) ، وبسبب فقدان الامن والنظام في العراق وما رافق ذلك من اهمال لمشاريع الزراعة والري ، فان العراق في هذه الفترة تعرض الى حوادث فيضانات مدمرة وبالاخص مدينة بغداد(٧) ، ومما زاد في صعوبة الوضع الاقتصادي في العراق ، تعرضه الى مواسم الجفاف وعدم سقوط الامطار ، في السنوات ٤٩٣ ، ٥١٢ ، ٥١٨ ، ٥٤٣ هـ(٨) ، ولعل أروع صورة رسمها المؤرخ البنداري لوضع العراق وبغداد في ظل السلاجقة في وصفه الاتي عندما قال : « ... وكانت السدة الشريفة قد منيت بجور الاعاجم ... ولم تزل بغداد مظلمة مشحونة منهم بالشحن المظلمة ...

والدماء والفروج مستباحة مهدرة ، والخليفة ... يقدر عليه ولا يقدر ، ويغدر به »(٩) .

دور الخليفة المقتفي لامر الله ، ووزيره ابن هبيرة الدوري في مجابهة السلاجقة :

لقد ظهر في هذه الفترة من تاريخ الخلافة العباسية رجلان كان لهما دورا مميزا في مجابهة السلاجقة ، وانهاء سيطرتهم وتغلبهم على مقدرات الخلافة العباسية ، وهذان الرجلان هما الخليفة المقتفي لامر الله العباسي الهاشمي ، ووزيره أبو المظفر يحيى بن هبيرة الشيباني الدوري(١٠) .

ان بوادر الانتعاش السياسي العباسي قد ظهرت بداياته ـ وبصورة محدودة ـ في عهود الخلفاء الذين سبقوا عهد المقتفي لامر الله بوقت قصير ، وذلك في عهدي المقتدي الذي طرده السلاجقة من بغداد الى اصبهان ، ومات فيها غريبا سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م بأمر السلطان السلجوقي ملكشاه بن ارسلان، وقام الخليفة المسترشد بالله بمجابهة حركة ابي مضر العلوي بالمدائن(١١) ، وكان دبيس بن صدقة يتحالف مع اعداء الخلافة ، ولذلك قاد جيشا كبيرا لمحاصرة بغداد ، وهدد الخليفة بقوله : « والله لانقضن الدار حجرا حجرا ... »(١٢) ، غير ان الخليفة هاجمه ، وحرر منه مدينة الحلة التي كان يتمركز فيها مع انصاره(١٣) ، وهرب دبيس الى الموصل ، وتحالف مع زنكي بن اقسنقر امير الموصل ، واعدوا جيشا قوامه اثنى عشر الفا لمهاجمة بغداد ، ودارت معركة عنيفة بالقرب من منطقة عقرقوف ـ غربي بغداد ـ انتهت بانتصار كبير لقوات الخلافة ، واندحار المعتدين عليها(١٤) .

اتجه المسترشد لتصفية حسابه مع السلاجقة ، فاتجه الى مدينة مراغة ، غير انه تعرض لاعتداء من طائفة غلاة الاسماعيليه ، فقاتلهم ببسالة قائلا : « شهيد والحمد لله »(١٥) ، وقتل ابنه الخليفة الراشد بالله على باب

اصفهان عندما اراد مجابهتهم ، اما بالنسبة للخليفة المقتفي لامر الله ، فـان السلاجقة عندما بويع بالخلافة لم يبقوا له شيئا وذكر المؤرخ الكبير الذهبي بان السلاجقة : « أخذوا جميع ما في دار الخلافة عدا أربعة افراس » وفي رواية « انهم بايعوه على أن لا يكون عنده خيل ولا آلة سفر »(١٦) ، « وألا يشتري مملوكا تركيا »(١٧) •

في مثل هذا الوضع الصعب بدأ المقتفي عهده ، وقد اشاد بذكره المؤرخين فيروى أنه كان : « ••• شجاعا كامل السؤدد خليقا للخلافة قليل المثل »(١٨) ، و « ••• ولم ير مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة مثله مـن شهامته وصرامته »(١٩) ، وانه اقام حشمة الدولة العباسية وقطع عنهـا طمع السلاطين(٢٠) ، واعاد الى الخلافة هيبتها امام الاجانب وغيرهم(٢١) •

وكان الساعد الايمن للخليفة المقتفي ، وزيره أبو المظفر يحيى بن هبيرة الشيباني الدوري ، « وكان وزيرا ذا رأي وعلم ودين وثبات في الامور »(٢٢)، وقال ابن دحية الكلبي « وصفت له الدنيا وسعد بوزيره ابن هبيرة »(٢٣) ، وكان سبب اتخاذ الخليفة له وزيرا لكون كفوءا في مجابهة السلاجقة عندمـا فرضوا حصارا على بغداد سنة ٥٤٣ هـ ، وكان حينـذاك صاحب ديـوان الزمام(٢٤) ، وظل في الوزارة من سـنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م حتى وفاتـه رحمه الله سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م(٢٥) ، وقد اشاد بذكره المؤرخون ، وقال عنه الخليفة المقتفي لامر الله ، والمستنجد بالله : « ماوزر لبني العباس كيحيى ابن هبيرة في جميع احواله ، وكان لـه في قمـع الدولـة السلجوقية يـد قوية ••• »(٢٦) ، وكان حريصا في المحافظة على اسرار واوامر الخليفـة وبسرية وثقـة كبيرة •

وهكذا تهيأ للعراق رجلين من رجاله الامناء الخيرين الذين واجهـوا السلاجقة رغم الظروف الصعبة والقاسية التي كانت تمر بها الخلافة ، ويروى

أن ابن هبيرة قال للخليفة : « تطاول علينا مسعود بن محمد السلجوقي ، فعزم المقتفي ان يحاربه ... »(٢٧) .

وقد أتخذ الخليفة المقتفي عدة اجراءات لتقوية الجيش ، وحفر الخنادق، وان يستعد الناس للطوأريء ، وامر بأصلاح سور بغداد(٢٨) .

وكانت بداية تحدي الخليفة للسلاجقة ممثلا في قيام السلطان السلجوقي لعمل دارا لضرب النقود في بغداد ، فأمر الخليفة بالقبض على الضراب ، وقابله مسعود السلجوقي بسجن حاجب الخليفة ، تأمر الخليفة باغلاق المساجد ثلاثة ايام الى ان أطلق سراح الحاجب(٢٩) وهذا تصرف ذكي من الخليفة عندما لجأ الى الشعب في مجابهة السلاجقة الذين اضطروا الى الاذعان لامر الخليفة ، وقد بلغ استبداد السلاجقة بالخلافة حدا انهم فرضوا حصارا حول بغداد ، مطالبين الخليفة بمبلغ (٣٠٫٠٠٠) دينار ، حتى يرفعوا عنها الحصار ، وقد اشار الخليفة المقتفي على وزرائه وجوب دفع المبلغ ، فاعترض ابن هبيرة مشيرا عليه ضرورة توظيف هذا المبلغ من اجل انشاء جيش يتمكن من دفع خطرهم(٣٠) واحتدم الصراع بين الجانبين ، وكان جميع سكان بغداد يقاتلون بما في ذلك الصبيان الذين كانوا يقاتلون بالميازر الصوف والمقاليع(٣١) ، واثمرت هذه الجهود بتحقيق انتصار عراقي على السلاجقة هو الاول من نوعه وذلك سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م وقد كافأ الخليفة ابن هبيرة بان رقاه الى درجة وزير بعد ان كان صاحبا للديوان(٣٢) وقد اعاد السلاجقة الكرة ثانية وفرضوا حصارا حول بغداد سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م غير ان هذا الحصار فشل ايضا(٣٣) .

وادت هذه الاحداث المتسارعة الى اثارة مخاوف السلاجقة ، وهيبتهم للخليفة المقتفي ، والذي قال عنه مسعود السلجوقي : « ... لقد اجلسنا في الخلافة رجلا عظيما فالله تعالى يكفينا شره ... »(٣٤) وهاجم السلاجقة

مدينة الحلة فجهز المقتفي ووزيره ابن هبيرة جيشا كبيرا ، وتمكنا من طـرد السلاجقة منها(٣٥) الذين اتجهت فلولهم الى مدينة واسط ، وكانت قـوات الخلافة تطاردهم فاخرجتهم منها(٣٦) وعادت قوات الخلافة المنتصرة الى بغداد، واقيمت احتفالات بهذا الانتصار ، الذي ادى الى حدوث انقسامـات بـين السلاجقة وخاصة بعد وفاة السلطان مسعود السلجوقي ، والذي قال الخليفة عند وفاته : « لاصبر على الضيم بعد اليوم ولا قـوام مـع هول هـؤلاء القوم »(٣٧) ، وامر الخليفة طرد الشحنة السلجوقي من بغداد ، وصادر داره ودور اصحابه واخذ كل مالهم فيها(٣٨) •

واراد الخليفة معالجة وضع السلاجقة في مدينة تكريت التي جعـل السلاجقة من قلعتها الحصينة معقلا مهما فارسل قوات كبيرة سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م بقيادة وزيره ابن هبيرة ، وكانت القوات السلجوقية بقيادة مسعود بلال السلجوقي(٣٩) ، وتوجه الخليفة فيما بعد على رأس جيش وحاصـر السلاجقة في تكريت وحدثت معارك كبيرة بين الجانبين فيما وراء السور(٤٠) واضطر الخليفة رفع الحصار عنها ، والاتجاه نحو واسط ، لدفـع الخطـر السلجوقي بقيادة ملك شاه ، وتمكن من تحريرها والعودة الى بغداد(٤١) •

وكانت القوات السلجوقية في مدينة تكريت قد اسرت عددا من افراد قوات الخلافة من ابرزهم ابن وزير الخليفة وبعث الخليفة رسولا الى السلاجقة للتفاوض معهم ، غير انهم غدروا بالرسول وسجنوه(٤٢) ، فارسـل الخليفة قوة الى تكريت تمكنت بعد قتال عنيف من اقتحام المدينة ، فهرب مسـعود بلال وبقية السلاجقة الى قلعتها الحصينة ، ونصب المجانيق على القلعة ، ورفع من سورها عدة ابراج(٤٣) وجهز الخليفة جيشا اخر لمهاجمة قلعـة تكريت ، وهيأت كل ألالات والوسائل الخاصة بفتح القلاع ، وبعـد دخـول المدينة عرض الجند فكانوا ستة الاف فارس فنزلوا الى القلعة(٤٤) ، ورغم هـذه

القوة الكبيرة الا ان الخليفة اضطر الى سحب قوات الخلافة بسبب تعرض مدينة شهربان لغزو سلجوقي جديد ، غير ان سياسة الخلافة اثمرت فيما بعد تجاه مدينة تكريت ، التي حررت من السيطرة السلجوقية ، وتم اطلاق سراح الاسرى وبينهم ابو البدر بن الوزير وذلك سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م(٤٥) واستقبل في بغداد : « وكان يوما مشهودا ، بعد ان مكث ثلاث سنوات في السجن »(٤٦) •

وعاد السلاجقة مرة اخرى لمهاجمة مدينة واسط ، فاتجه الوزير على رأس قوة كبيرة وطرد السلاجقة عنها : « وشرفه الخليفة بقميص وعمامة ولقبه سلطان العراق ، ملك الجيوش »(٤٧) •

وتم تحرير منطقة العراق من السيطرة السلجوقية ، وزارها الخليفة ايضا(٤٨) ، وقاد الخليفة المقتفي جيشاً الى مدينة داقوق سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م(٤٩) ، وجهز جيشا الى بلد اللحف ، وتمكن من فتحه وضمه الى العراق سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م(٥٠) •

وتمكنت قوات الخلافة من اعادة سيطرتها على مدينتي الكوفة والحلة ، سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م وقد حاول عدد من الخونة والعملاء سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م ، بالتعاون مع السلاجقة من السيطرة على الحلة ، غير ان قوات الخلافة اعادت سيطرتها على المدينة ، والقي القبض على عدد من العملاء ، وتم اعدامهم مع امراؤهم(٥١)، وبذلك تم تحرير الحلة بصورة نهائية من السيطرة السلجوقية اضافة الى مدينتي كربلاء ، والكوفة ، وقد زار الخليفة المقتفي مدينة كربلاء سنة ٥٥٣ هـ ، وزار قبر الحسين بن علي (رضي الله عنهما)(٥٢)•

غير ان السلاجقة أخذوا يجمعون قواتهم من كل حدب وصوب في المشرق وخاصة في مدينة همدان واتجهوا بها نحو العراق ، وقد وصف المؤرخ الحسيني هذا الجيش الكبير بقوله : « ••• وصاروا في عساكر تموج بهم

ويستر الغبار وجه السماء ... »(٥٣) فاجتازوا الحدود الشرقية للعراق وسيطروا على طريق خراسان الذي يربط بغداد بالاقاليم الشرقية ، وتصدت لهم قوات الخلافة التي اضطرت الى الانسحاب المنظم الى بغداد ، وقرر الخليفة والعراقيون الدفاع عن بغداد ، وترجلوا الارض ، ورفع الخليفة الطراحة من راسه وهو ينادي : « يا آل مضر ، وفي رواية ــ يا ال هاشم ــ : كذب الشيطان » ، وتلى قوله تعالى : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا »(٥٤) ، وصمدت قوات الخلافة وقاتلت بشجاعة نادرة ، ووصلت نجدات عراقية من البصرة ، والحلة ، وواسط ، والغراف ، والبطائح ، وبقية المدن(٥٥) ودارت معارك عنيفة ، وقاتل العراقيون ببسالة نادرة انتهت بهزيمة القوات السلجوقية وغنمت منهم غنائم كثيرة جدا ، حتى : « بيع كل كبش بدانق »(٥٦) وكشف المقتفي عن خلقه وخلق العراقين الانساني الرفيع عندما امر باطلاق سراح الاسرى من النساء والاطفال لان الغزاة كانوا قد حضروا بنسائهم واولادهم ، وجميع مالهم ، فأخذ جميعه ، وامر منادي الخليفة بالنداء : « من أخذ من اولاد التركمان ونسائهم شيئا فليرده ، فردوه ... »(٥٧) ، ويعلق المؤرخ الحسيني على هذا الانتصار العراقي بقوله : « وخلص العراق من خبث وفساد مسعود السلجوقي ... »(٥٨) ، وطاردت قوات الخلافة السلاجقة في عمق الاراضي الايرانية في المشرق .

واخذ الخليفة المقتفي يعمل من اجل زرع بذور الخلاف بين السلاجقة انفسهم ، في الوقت الذي كان حشد الطاقات والهمم لكل العراقين ، وقد وجه دعوة لاحد رجال السلاجقة الذين حاول ان يضرب بهم السلاجقة وهو سليمان السلجوقي ، وعند زيارته لبغداد لم يحتفل به ، قال الذهبي : « ... ولم يحتفل لمجيئه لتمكن الخليفة وقوة دولته وكثرة جيوشه وهيبته ... »(٥٩) .

غير ان روح العداء السلجوقي للخلافة كانت متاصلة ولم يتعضوا بما

لحق بهم من هزيمة منكرة في السابق ، ولذلك جمعوا قوات كبيرة بقيادة مسعود بلال السلجوقي ، واجتازوا حدود العراق ، واحتلوا مدينة بعقوبة(٦٠)، وواصلوا غزوهم ، وفرضوا حصارا على الجانب الشرقي من بغداد ، وقد هاجم اهل الكرخ،واهل باب البصرة العسكر السلجوقيونهبوا منه اموالا كثيرة(٦١) واستعد سكان بغداد للحصار ، ويصف ابن الجوزي هذه الاستعدادات بقوله: « ولبس الناس السلاح فاخرج الخليفة سبعة الاف جوشن ففرقها ، ونصب المجانيق ، والعرادات ، واقام اربعين شقاما يعملون الخشب لعمل التراس والمجانيق والعرادات ، فكانت مائتي وسبعين عرادة ومنجنيق في كل عرادة اربعين رجلا(٦٢) وكان صبيان بغداد يعبرون على السلاجقة ، ويضربونهم بالمقاليع ، وتمكن احد الاطفال من قتل احد قادة السلاجقة وكان الحصار شديدا وتأزمت الاوضاع الاقتصادية ، ويقول ابن الجوزي : « وتعذر على بغداد الشوك والتبن والعلف ، فبيع الشوك كل باقة بحبة ، ورأس الغنم بسبعة دنانير »(٦٣) ، غير انالوزير كان يوزع الغلات على الجنود بدلا من النقود ، فيبيعونها على السكان ، مما خفف من الازمة(٦٤) ، وكانت القيادة العباسية تكرم وتشجع الرجال الذين يقاتلون ببطولة(٦٥) ، اقتحمت قوات الخلافة الجيش السلجوقي ، والذين كانوا يعانون من وضع اقتصادي سيء(٦٦) وكان الخليفة المقتفي يراسل امراء الاطراف طالبا منهم النجدة ، الامر الذي ادى الى انسحاب السلاجقة في شهر ربيع لاول سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م بعد ان كانوا محاصرين لبغداد منذ ذي الحجة سنة ٥٥١ هـ(٦٧) واثناء انسحابهم نهبوا مدينة بعقوبة وغيرها من القرى الواقعة على طريق خراسان(٦٨) ٠

وقد علق المؤرخ الحسيني على هذا الصمود والانتصار العباسي بقوله : « ٠٠٠ وانقطعت بعد ذلك اطماع السلاطين السلجوقية عن بغداد »(٦٩) ، ويقول الراوندي : « واصبحت بغداد ، وقد اتاها الله بالفرج ، ونصر الحق ، وحق النصر ٠٠٠ وعرفت الاعاجم انه لا مطمع بعدها في بغداد »(٧٠) ، وقد

اقيمت الاحتفالات في بغداد وكان المؤرخ الراوندي شاهد عيان لتلك الاحتفالات بقوله : « وكنت حينئذ ببغداد ، وجرت قصائد في هناء الامام ... »(٧١) .

ويعتبر هذا الانتصار على السلاجقة نهاية المطاف في علاقاتهم مع العباسيين ، ونهاية لاحلامهم واطماعهم التوسعية في العراق ، وقد شجع هذا الوضع الخليفة على مواصلة نضاله ضد السلاجقة حتى خارج العراق ، بل وفي عقر دارهم في داخل الاراضي الايرانية ، وذلك عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م عند محاولتهم الافساد في منطقة الجبل ، فارسل الخليفة جيشا كبيرا انتصر عليهم واسر بعضهم ، وحملت الرؤوس والاسرى الى بغداد(٧٢) ، وفي عام ٥٥٤ هـ ارسل الخليفة المقتفي جيشا لتأديب سنقر الهمداني ومن معه فلاذ سنقر بالجبال هاربا(٧٣) .

واعيدت الخطبة في بغداد والعراق للخليفة العباسي وحده ، ولاول مرة منذ سيطرة المتغلبين والطامعين على العراق(٧٤) .

اضافة الى ذلك فان الخليفة المقتفي عالج المشاكل الاقتصادية التي كان العراق يعاني منها في بعض الاوقات وكانت الخلافة تسعى جاهدة لمعالجة تلك الازمات ، فعلى اثر ارتفاع الاسعار ، وغلاؤها في العراق عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م اتخذ الخليفة عدة اجراءات ادت الى رخص الاسعار في العراق ، وكثرت الخيرات وخرج اهل السواد الى قراهم(٧٥) ، وكان الخليفة قد اطلق للفقراء مالا كثيرا(٧٦) ،وانفق وزيره ابن هبيرة خمسة الاف دينار بعضها للصدقة وبعضها في قضاء ديون اهل الحبوس وغيرهم(٧٧) ، وعندما مرض الخليفة في عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م فرقت الصدقات وذبح كل واحد من ارباب الدولة البقر وفرقت الكسوة على الفقراء(٧٨) ، وفي عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م انفق الوزير ابن هبيرة ثلاثة الاف دينارا على موائد الافطار طوال شهر رمضان ،

وخلع على المفطرين الخلع السنية(٧٩) .

وكان للزيارات التفقدية التي كان الخليفة المقتفي يقوم بها في مدن العراق كان لها دورا مهما وبارزا في خلق الامن والاستقرار ، والازدهار الاقتصادي، ففي عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م قام بزيارة تفقدية لمشروع قناة الدجيل(٨٠) ، وفي سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م / و ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م قام الخليفة بزيارة لمدينة الانبار ، وتجول في اسواقها ، ودروبها ، متفقدا لاحوالها ، ومطمئنا على وضع الناس فيها(٨١) ، وقام بزيارة لمدينة كربلاء ، وادى مراسم الزيارة لقبر الحسين ابن علي رضي الله عنهما(٨٢) وفي سنتي ٥٥٣ هـ/١١٥٨ م و ٥٥٤ هـ/١١٥٩ م قام بزيارة مدينة واسط . وتفقد اسواقها ومعالمها(٨٣) ، وفي عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م قام بزيارة مدينة هيت ، وكذلك منطقة الغراف(٨٥) .

وبذلك اعاد الخليفة المقتفي لامر الله لبغداد مكانتها وسيادتها وللخلافة هيبتها وكرامتها وباعتماده على وزيره ابن هبيرة الشيباني الذي كان من الرجال الافذاذ في تاريخ العراق ، وكان لدورهما المتميز اثر حميد في اضعاف وانحسار النفوذ السلجوقي في العراق وظهور فترة الانتعاش السياسي والاقتصادي للعراق في هذه الحقبة من تاريخه .

حواشي البحث :

(١) البنداري ، محمد بن محمد بن حامد ، تاريخ دولة آل سلجوق ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ١٠ ـ ١١ .

(٢) انظر ، د . حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ٤٠ ـ ٧٨ ، والدكتور رشيد الجميلي ، امارة الموصل في العصر السلجوقي (بغداد ، ١٩٨٠) ٤٨ ، ٥٤ .

(٣) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ٦٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، (الهند، ١٣٥٨ هـ) .

(٤) انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦٣/٨ ، ٧٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، ٢٧٧ ، ٣٠٥ ، ج٢٦/٩ ، ٣٨ ، ٧٧ ، ج١٠/٢٤٩ .

(٥) نفسه ، ٨ / ١٧٩ ، ٢٧٣ ، وج ٩ / ١٤٦ ، و ج ١٠ / ١٣٤ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، (بيروت ، ١٩٦٥) حوادث سنوات ، ٤٤٨ هـ ، و ٤٩٣ هـ ، و٥٠٢ هـ ، و٥١٧ هـ ، و٥١٨ هـ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ (بيروت ، ١٩٦٦) ص ١٦٥ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨/١٧٠ ، ٢٣٢ ، ج٩/١٤ ، ٢٧ ، ١١٣ ، ٢٤٩ ، و ج١٠/١٣٨ ، وابن الاثير ، الكامل ، حوادث سنة ٥٤٥ هـ ، ٥٧٤ هـ .

(٧) ابن الجوزي المنتظم ، ٢٢٥/٨ ، ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ج١٠/١٨٩ ، ٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ، ابن الاثير ،الكامل ، حوادث سنة ٤٧٢ هـ،٤٩٦ هـ ، ٥٠٢هـ ٥٤٦ هـ ، ٥٥٤ هـ ، ٥٥٧ هـ ، ٥٦٩ هـ .

(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ١١٣/٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، حوادث سنة ٥١٢ هـ ، ٥١٨ هـ ، ٥٤٣ هـ .

(٩) البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ، ٢١٤ .

(١٠) لقب بالدوري لانه ولد في قرية الدور من اعمال الدجيل فنسب اليها (القزويني ، اثار البلاد) (بيروت ، ١٩٦٠) ٣٦٧ .

(١١) ابن العمراني ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق د. قاسم السامرائي (لايدن ١٩٧٣) ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ـ ٢١٢ ، الذهبي ، دول الاسلام ، (حيدر اباد ، ١٣٦٤ ـ ١٣٦٥) ج٢/٣٩ ـ ٤٠ .

(١٢) ابن العمراني ، الانباء ، ٢١٣ ، ٢١٥ .

(١٣) نفس المصدر ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ٤٣/٢ ، ٤٤ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب (بيروت ، بدون تاريخ) ج٥٣/٢ .

(١٤) ابن العمراني ، الانباء ، ٢١٧ .

(١٥) نفس المصدر ، ٢٢١ .

(١٦) الذهبي ، العبر في خبر من عبر (الكويت ، ١٩٦١) ٨١/٢ .

(١٧) البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ، ٢١٥ .

(١٨) الديار بكري ، تاريخ الخميس (القاهرة ، ١٢٨٣) ج٤٥/٢ .

(١٩) عبدالملك العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي (القاهـرة ، ١٣٨٠) ج ١٢ / ٣٧٣ .

(٢٠) ابن الوردي ، تأريخ ابن الوردي (النجف ، ١٩٦٩) ج٨٩/٢ .

(٢١) نظمي زاده افندي ، كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس (النجف ، ١٩٧١) ١٧ .

(٢٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، (القاهرة ، ١٩٤٩) ٢٧٦ .

(٢٣) ابن دحية الكلبي ، النبراس في تاريخ بني العباس (بغداد ، ١٩٤٦) ١٥٧.

(٢٤) البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ، ٢٠٣ .

(٢٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٣٧/١٠ .

(٢٦) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٠ .

(٢٧) القزويني ، اثار البلاد ، ٣٦٧ .

(٢٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٣٣/١٠ .

(٢٩) نفسه ، ١١٩/١١ .

(٣٠) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٠٣

(٣١) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٣٢/١١ .

(٣٢) الحسيني (علي بن الحسن) ، اخبار الدولة السلجوقية (لاهـور ، ١٩٣٣) ٢٠١ ــ ١٢١ .

(٣٣) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٣٧/١٠ ــ ١٣٨ .

(٣٤) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ٣١٠ .

(٣٥) ابن الجوزي ، المنتظم ١٤٨/١١ .

(٣٦) نفسـه ، ١٤٨/١١ .

(٣٧) البنداري ، المصدر السابق ، ٢١٤ .

(٣٨) المقريزي ، السلوك ، (القاهرة ، ١٩٣٤) ٣٨/١ .

(٣٩) راجع ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ (بيروت ، ١٩٦٥) ١٨٩/١١ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق . الحسيني ، المصدر السابق ، ١٢٩ ، البنداري المصدر السابق ٢١٤ - ٢١٥ .

(٤٠) ابن الاثير ، الكامل ١٨٩/١١ .
(٤١) ابن الجوزي ، المصدر السابق ١٥٢/١٠ - ١٥٣ .
(٤٢) نفسه ، ١٥٣/١٠ .
(٤٣) نفسه ، ١٥٦/١٠ .
(٤٤) ابن الاثير ، المصدر السابق ٢١٦/١١ .
(٤٥) نفسه ، ٢١٦/١١ .
(٤٦) نفسه ، ٢١٦/١١ .
(٤٧) ابن الجوزي ، المصدر السابق ١٥٧/١٠ .
(٤٨) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٦٦ .
(٤٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، (بيروت ، ١٩٦٦) ٢٣٢/١٢ .
(٥٠) نفسه ٢٣٢/١٢ .
(٥١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٢/١١ ، ٢١٣ .
(٥٢) ابن الجوزي ، المصدر السابق ١٨١/١٠ .
(٥٣) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣١ .
(٥٤) ابن الكازوروني ، مختصر التاريخ ، تحقيق د . مصطفى جواد (بغداد ، ١٩٧٠) ٢٣٠ .

(٥٥) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣١ .
(٥٦) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ١٩٥/١١ .
(٥٧) نفسه ١٩٥/١١ .
(٥٨) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٣٣ .
(٥٩) الذهبي ، العبر ، ١٤٢ .
(٦٠) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٥٨/١٠ .
(٦١) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ٢١٣/١١ .
(٦٢) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٦٩/١٠ - ١٧٠ .
(٦٣) نفسه ، ١٧١/١٠ .
(٦٤) ابن الاثير ، المصدر السابق ٢١٤/١١ .
(٦٥) نفسه ٢١٤/١١ .
(٦٦) البنداري ، المصدر السابق ٢٣٢-٢٣٣ ، ابن الاثير ، المصدر نفسه ٢١٣/١١ .
(٦٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٢١٢/١١ ، ٢١٥ .
(٦٨) الحسيني ، المصدر السابق ، ١٤٠ .
(٦٩) نفسه ، ١٤٠ .

(٧٠) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٣٣ .
(٧١) نفســه ، ٢٣٣ .
(٧٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ٢٣٩/١١ .
(٧٣) نفســه ٢٤٩/١١ .
(٧٤) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة ، بدون تاريــخ) ٣٨/٢ .
(٧٥) ان الاثير ، المصدر السابق ١٢٦/١١ .
(٧٦) ابن الجوزي ، المصدر السابق ١٧٦/١٠ .
(٧٧) نفســه ١٨١/١٠ .
(٧٨) نفســه ١٨٩/١٠ .
(٧٩) نفســه ١٧٧/١٠ .
(٨٠) نفســه ١٦٥/١٠ .
(٨١) نفسه ١٦٥/١٠ ، ١٨١ .
(٨٢) نفســه ١٨١/١٠ .
(٨٣) نفسه ١٨١/١٠ ، ١٨٩ .
(٨٤) البنداري ، المصدر السابق ، ٢٦٥ .
(٨٥) نفسه ، ٢٦٧ ، ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ١٨٩/١٠ .

نقابات المدن الحرة

في العصور الوسطى

بقلم

هادي حسين حمود

باحث علمي/ وزارة التربية

الجمهورية العراقية

نقابات المدن الحرة في العصور الوسطى

بقلم : هادي حسين حمود
باحث علمي/ وزارة التربية
الجمهورية العراقية

يعتبر نشوء المدن الحرة في اواخر العصور الوسطى من العوامل الهامة التي اثرت في سير تأريخ القارة الاوربية في عصر النهضة وبداية العصور الحديثة • ويميل بعض المؤرخين الى الاعتقاد بان الاسباب التي ادت الى قيام ونشوء تلك المدن وما فيها من نشاطات يعود الى ما اصاب القارة من استقرار نسبي بعد ان عانت ويلات الحروب الاقطاعية غير المنتهية في بداية العصور الوسطى ، ولذلك فان نشوء تلك المدن وما فيها من حركة ونشاط انما هو مظهر من مظاهر نشاط القارة الاوربية الاجتماعي والسياسي •

تأتي اهمية نشوء تلك المدن من كونها قد وضعت بداية ظهور الطبقة الوسطى (البرجوازية) ، وساهمت مساهمة فعالة في تحرير طبقة الاقنان اولئك الفلاحين الذين ربطهم سوء طالعهم بالنظام الاقطاعي السائد آنذاك ، كما ان سكان تلك المدن كانوا مادة الحملات الاستكشافية التي قام بها الاوربيون في القرن الخامس عشر وما بعده لاستثمار وفتح واستعمار العالم الجديد (امريكا) •

ان قيام تلك المدن وتطورها الاقتصادي والاجتماعي ادى فيما بعد ، الى ازدهار وظهور الطبقة البرجوازية التي ما انفكت منذ الثورة الفرنسية حتى العصر الحديث تؤثر في سير التأريخ الاوربي الحديث سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا ، كما تؤثر في التأريخ العالمي بشكل مباشرا وغير مباشر •

سأترك الحديث عن الطبقة البرجوازية في العصر الحديث لان ذلك امر

معروف وساهتم بصورة مباشرة بالتحدث عن تلك المدن التي كانت نـواة لنشوء تلك الطبقة من الناس وما فيها من نشاط نقابي •

ساد النظام الاقطاعي في القارة الاوربية منذ بداية العصور الوسـطى بسبب ظروف تأريخية لامجال للحديث عنها الان ، وبسبب ذلك النظام وما كان يسببه من حروب اصبحت القارة الاوربية في علاقات كان لابد منها (علاقة التابع بالمتبوع) ولذلك يعتقد الاستاذ كوبلاند (وهو من مشاهير مؤرخـي العصور الوسطى) ان ذلك النظام الاقطاعي كان من عوامل الاستقرار في تلك العصور(١) ، لان الحروب الكثيرة المســـتمرة في اوربا بين ذوي الاطماع والمغامرين وغيرهم اصطلى بنارها الناس جميعا وذلك بسبب فقدان الادارة المركزية والدولة القوية المهابة فأصبح الناس وكل منهم يحمي نفسه بنفســه والا هلك في خضم ذلك المجتمع الفوضوي الذي لايرحم الضعيف •

لقد ادى الوضع الذي اشرت اليه الى تخلي الضعفاء ولا سيما مـن يملك ارضا ، عن ارضهم الى اولئك الاقوياء نظير حمايتهم من التعدي والقتل وبالتالي ألجاء انفسهم ايضا وهذا واضح لدارسي تأريخ العصور الوسـطى في اوربا الغربيــة •

والحق ان النظام الاقطاعي في الغرب من حيث النشوء ارتبط بظـروف القارة الاوربية الحربية فهو نظام قد اوجدته الفوضى وعدم الاســتقرار ، وضعف الحكومات ، فكان لابد له من الزوال عندما تستقر الاوضاع ويعـم الســلام •

يعتبر القرن الحادي عشر بداية الاستقرار في القارة الاوربية تلك القارة التي اهلكتها الحروب في اوائل العصور الوسطى ، فقد اسست الـدول الجرمانية التي غزت اوربا دولا مستقرة ، كما زال خطر المسلمين على جنوب

اوربا ، وتوقفت هجمات قبائل الشمال والشرق ، وبدأ الناس يركنون الى السلام ولذلك فالتعهدات الاقطاعية القديمة بين التابع والمتبوع او بين الفلاح ومالك الارض ، بدت غير طبيعية في ذلك الوقت لذلك بدات حركة واسعة تستهدف التخلص من التعهدات الاقطاعية الثقيلة فكان من جراء ذلك ان « انتشرت ضواحي التجار وارباب المهن حول القصور الاقطاعية والقلاع ... ونتج عن هذه التطورات امران على جانب من الاهمية كبير : اذ انتظم التجار والصناع في مختلف المدن طوائف (نقابات) عكفت على المطالبة بشروط تضمن تثمير الاموال عن طريق التجارة والصناعة ... والاذن بتشريع ما يلزمها من قوانين محلية لتنظيم المعاملات والاعفاء من السخرات الاقطاعية الثقيلة ، والاعتراف بحق النظر في القضايا غير الجنائية امام المحكمة الخاصة بالمدينة ... »(٢) .

ان التنظيم النقابي الذي ظهر في هذه الفترة وما بعدها في المدن التي نشأت على حساب الاقطاعيين كون تلك المجتمعات التي كان هدفها التخلص من تعسف الاقطاعيين والنمو الاقتصادي ، واخذ المكانة المرموقة لها في مجتمع العصور الوسطى « وقد حاولت المدينة في مدى بعض مئات من السنين ان تجد لها مكانا في مجتمع اقطاعي مستقر ونجحت بالتدريج ولو انه تم لها ذلك بتحطيمها للنظام القائم »(٣) .

لقد حصلت المدن على ذلك النوع من الحرية الاقتصادية والسياسية والعمل بمعزل عن الاقطاعيين وتقييداتهم عن طرق متعددة منها النضال المسلح او شراء البراءات "Charters" بالمال وذلك بان تدفع للاقطاعي سنويا مبلغا من المال لقاء ترك اولئك القوم وشأنهم ، او عن طريق « التطور السلمي الناجم عن عملية النمو الطبيعي(٤) » .

ويرى الاستاذ (ديفز) ان حصول المدن على حرياتها كان ينطوي احيانا

على رغبة الاقطاعي وذلك بسبب النفع المادي • وكان الاقطاعيون لايميلون الى التدخل في شؤون المدن طالما دفع سكانها الضرائب المطلوبة ، وكانت الشروط بين المدينة والاقطاعي الذي يمنحها البراءة يجب ان يوافق عليها الطرفان ولذا « كان الانتصار من جانب اللورد احيانا ومن جانب سكان المدن احيانا »(٥) •

ويرى (ديفز) ان هنالك نوعين من المدن ذات العهود والبراءات "Town - Charter" ، النوع الاول ، وهو الاكثر شيوعا ، كانت تتمتع فيه المدن بامتيازات معينة تحت حكم موظفين اداريين يعينهم الاقطاعي ، والنوع الثاني كانت تتمتع فيه المدن بأمتيازات معينة وحكم ذاتي ، ولعل اهم تلك الامتيازات هي مسؤولية الاقطاعي عن امن المدينة وحمايتها من المعتدين ، وحق المتاجرة ، وكانت نقابات المدن تشتري من اللورد او الاقطاعي امتياز « احتكار الاسواق التجارية والصناعية في المدينة وضواحيها وحقوق الاستيلاء على كافة السلع والبضائع المستوردة وسلطة سن اللوائح التي تحدد الاجور والاسعار وتنظم ساعات العمل وتحافظ على مستوى جودة البضائع المصنوعة »(٦) • اما كيف ان هذه المدن ونقاباتها قد عملت على تحرير الاقنان من ربقة الاقطاعي ؟ لقد نصت الشروط بين الطرفين على ان القن ان استطاع الهرب من سيده والاختفاء في المدينة لمدة سنة ويوم فلا يحق لسيده ان يسترده(٧) •

ان وجود النقابات الحرفية في المدن كان امرا لابد منه لتنظيم شؤون المدينة وامورها الاقتصادية لذلك اخذت تلك النقابات مكانها المميز في المدينة فلقد كانت النقابة تحمي منتسبيها وتعمل على عدم استغلالهم من جهة ، وتعمل على حماية وجودة الانتاج من جهة اخرى •

وللنقابة نظام صارم في التدرج المهني حيث كان جميع المنتمين الى

نقابات الحرف لايترقون من مرتبة الى اخرى الا بعد اجراء امتحان صارم ، وكان الصبي الذي يدخل في مهنة ما كصانع Apprentice Ship يتطور بعد ذلك الى مايسمى عندنا في العراق في التعبير الدارج بـ (الخلفة (Journy man)[8] ثم يصبح بعد ذلك استاذا Master او « اسطه » بالتعبير العراقي الدارج • وكان اعضاء النقابة يعاقبون ان « قدموا عملا غير متقن او طففوا وزن البضاعة »(٩) •

وكان المنتمون الى نقابة مايجتمعون في بهو خاص ويتعبدون جميعا في احدى الكنائس القريبة ، وفي الصيف كانت النقابة تقدم مجموعة من التمثيليات على مسارح متحركة تستمد احداثها من الكتاب المقدس(١٠) « وهكذا اصبح لكل من الجزارين وبائعي الدواجن والخبازين وتجار الغلال والملح نقابة خاصة ، وكذلك الحال لكل من النساجين واصحاب المكابس والصباغيين والنجارين والبنائين والسقائين وصانعي الاحذية والاسكافية والسروجية وتجار الحراير والاقمشة والحدادين والخردواتية وتجار الانبذة واصحاب الحانات والفنادق ، وكذلك الحلاقين والاطباء والقضاة والكتبة والناسخين »(١١) •

حصلت المدن الاوربية على الامتيازات التي اشرنا اليها ، وتكونت فيها النقابات الحرفية التي بينا اهم مميزاتها ، ولذا اصبحت تلك المدن قوية مرهوبة الجانب وبدأ الناس فيها لايطالبون بمجرد الحقوق الاقتصادية والسياسية الاولية البسيطة ، وانما تطورت مطالب السكان الى امتيازات اوسع وحقوق دستورية اكثر من السابق ، وقد بدت تلك المطاليب لاتروق في اعين النبلاء واصحاب الامتيازات القديمة وشعروا ان الامر ليس مجرد حقوق يمكن للاقطاعي ان يستردها متى شاء من سكان المدن ونبيجة لتطرف كل من الطرفين في عدم التنازل عن مطاليبه للاخر شعر سكان المدن المختلفة انه

لابد من عمل شيء لانتزاع حقوق اكثر من السابق ولذلك ظهر نظام (الكومونات) وهو الحكم المحلي البلدي الذي كان يقوم بين مجموعة من المدن او بين سكان مدينة واحدة متضامنة للوقوف امام تحديات الاقطاعيين واللوردات • وهذا النظام كما يقول الاستاذ (ديفز) نوع « من التحالف يقسم بألتزامه المتحالفون » يقوم على « تحدي اصحاب النفوذ ، ويهدف كذلك الى اغتصاب حقوق تكون من الناحية القانونية مخولة للسيد اللورد او للتاج والتحالف ايضا معاد للطبقات الحاكمة في المجتمع وهدف الاعضاء من هذا التحالف هو اقامة شكل من النظام الجمهوري للحكم في مدنهم »(١٢)•

وقد اشتهرت في التأريخ الاوربي في العصور الوسطى ما قامت به المدن المتضامنة من حروب مظفرة ضد اعدائها من الاقطاعيين ولعل اهم تلك الحروب ما قامت به مجموعة المدن اللمباردية الايطالية وعلى راسها مدينة ميلان ضد امبراطور الدولة الرومانية المقدسة (فردريك بارباروسا) والتي ارغمته في نهايتها على تحقيق مطاليبها(١٣) • واشتهرت كذلك من التأريخ مايسمى بـ (العصبة الهنسية) التي قامت على تحالف واسع ومتين بين المدن الممتدة شمال بحر الباطيق من مدينة نوفجورود في روسيا حتى مدينة بروج في بلجيكا والتي بلغ من قوتها وتنظيمها انها « كانت تنظم الحراسة في بحر البلطيق والمجاري المائية الاخرى ••• »(١٤) ، تلك العصبة التي كانت شوكة في عيون الاقطاعيين واللوردات والتي بلغت من القوة بانها كانت تعمل على تعيين او عزل ملوك الدانيمارك والسويد والنرويج(١٥) •

(١) كويلاند ، الاقطاع والعصور الوسطى في غرب اوربا ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٤ .

(٢) فشر ، تاريخ اوربا العصور الوسطى ، القسم الاول ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، ص ٢٢١ .

(٣) مجموعة من المؤلفين ، حضارة عصر النهضة ، ترجمة الدكتور عبدالرحمن زكي ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٦٧ .

(٤) فشر ، المصدر السابق ، ص ٢٢٢ .

(٥) ديفر ، اوربا في العصور الوسطى ، ترجمة عبدالحميد حمودي محمود ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢١٢ – ٢١٣ .

(٦) ديفر ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

(٧) فشر ، المصدر الساق ، ص ٢٢١ .

(٨) هكذا شبهه الدكتور عبدالقادر احمد اليوسف في احد محاضراته على طلبة كليـة التربيـة .

(٩) شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ترجمة مجد الدين خضي ناصف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٥٢ .

(١٠) شيني ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ – ١٥٣ .

(١١) كرامب وجاكوب ، تراث العصور الوسطى ، ج٢ ، ترجمة محمد مصطفى زيادة وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٦٢٦ .

(١٢) ديفر ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ – ٢١٧ .

(١٣) راجع احداث الصراع بين فردريك وبين المدن الايطالية في كتاب ديفر المشار اليه ، ص ٢٣٤ – ٢٤٥ .

(١٤) ديفر ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

(١٥) فشر ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

ابوعلي القالي البغدادي
وأثره بالفكر الأندلسي

الدكتور
خليل ابراهيم الكبيسي
قسم التاريخ / كلية الاداب
جامعة بغداد

ابو علي القالي البغدادي واثره بالفكر الاندلسي

الدكتور خليل ابراهيم الكبيسي
قسم التاريخ / كلية الاداب
جامعة بغداد

بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق اهلها الى حمل آلوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدة الافكار ونفاد الخواطر(١) • بهذه العبارات وصف العالم الاندلسي الكبير ابو محمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) مدينة بغداد ، فاجاد وانصف •

وبهذه المدينة التي كانت مساجدها ومنازلها وازقتها اشبه بخلية نحل تضج بالاملاء والمحاضرة والجدل ، ولم يكد يعلو صوت على صرير الاقلام تجري بالتأليف على المهارق والاوراق(٢) ، تتلمذ ابو علي البغدادي ، فنهل من مناهلها وتزود بالعلم والمعرفة فيها وتردد على شيوخها ودكاكين الوراقين فيها لمدة ربع قرن من الزمن ، ومنها رحل الى الاندلس ، الى قرطبة حاضرتها ، يحمل بضاعة بغداد اسنى البضاعات في رحلة العلم افضل الرحلات فرفع اسمها ونشر علومها فكان خير رسول لها •

ونحن في هذا البحث سنحاول التعريف بهذا الرجل العالم ، وبالجهد الكبير الذي بذله في الاندلس ، تدريسا وتأليفا ، وبالاثار الفكرية التي خلفها هناك •

١ ـ شخصيته :

هو ابو علي اسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان(٣) • ولد في مناز كرد من ديار بكر سنة ٢٨٠ هـ(٤) ، وفي رواية اخرى سنة ٢٨٨ هـ(٥) • وقد ناقش احد الباحثين المحدثين هذا

الاختلاف ورجح الرواية التي جعلت ولادته سنة ٢٨٠ هـ لانها اقدم رواية ولانها تجعل سنة مغادرته مناز كرد الى العراق معقولة(٦) ، وانا بدوري أؤيد ذلك واضيف ، ان الزبيدي لم يكن اقدم من ترجم للبغدادي فقط وانما كان صاحبه وتلميذه وقد سأله شخصيا عن نسبه ومولده ، فذكر له سنة ٢٨٠ هـ(٧)

وكان الزبيدي قد سأله ايضا عن سبب تسميته بالقالي فأجاب : « لما انحدرنا الى بغداد كنا في رفقه فيها اهل قالي قلا ، فكانوا يحافظون(٨) لمكانهم من الثغر ، فلما دخلت بغداد اتسبت الى قالي قلا ، وهي قرية من مناز كرد رجوت ان انتفع بذلك عند العلماء ، فمضى على القالي »(٩) الا انه على مايبدو لم ينتفع بذلك(١٠) ، وعلى حد تعبير احد الباحثين فقد تلبسه اللقب وفاتته الحظوة(١١) .

وفي الاندلس كانوا يسمونه البغدادي ، وذلك لطول مقامه في بغداد ولوصوله اليهم منها(١٢) ولهذا صار صاحبنا يعرف بأبي علي القالي البغدادي .

وكان ابو علي قد بدأ رحلته في طلب العلم قاصدا بغداد سنة ٣٠٣ هـ باجماع المؤرخين ، الا انهم اختلفوا في سنة وصوله اليها ، فمنهم من يقول : انه دخل بغداد سنة ٣٠٣ هـ(١٣) ، ومنهم من يقول : انه اقام في الموصل ودرس فيها ثم رحل الى بغداد ودخلها سنة ٣٠٥(١٤) ، وارجح الرواية الاخيرة لان هذا التاريخ ذكره البغدادي نفسه عندما سأله تلميذه الزبيدي عن ترجمة حياته ، وللاسباب المنطقية التي ذكرها البيرمطلق عندما ذكر ان الرواية الاخيرة اقرب الى الصدق لانها لاتنفي قدوم القالي الى بغداد ، ولان الموصل في طريق القادمين من ديار بكر ولان المصادر ذكرت صراحة اسم عالم او اكثر ممن اخذ عنه القالي في الموصل(١٥) .

٢ ـ شيوخه في بغداد :

وفي بغداد وجد ابو علي ضالته وشعر بدنو تحقيق امنيته فاندفع يطلب العلم بحماس شديد ، يتردد على الشيوخ ويحضر المجالس العلمية ويتجول في دكاكين الوراقين ويقتني الكتب ، وقد ظل القالي البغدادي على هذه الحالة ٢٣ سنة او يزيد ، ومن حسن حظه ان بغداد في هذه الفترة كانت تغص بالحركة العلمية بمجالاتها المتعددة ، فيها من العلماء الاعلام والشيوخ الكبار العدد الكثير ، فاكب على الدرس والتحصيل وتتلمذ على يد نخبة ممتازة منهم سواء اكان ذلك في الحديث او اللغة او الادب او الاخبار او القراءات او غيرها . وقد ذكرت لنا المصادر القديمة التي ترجمت لابي علي القالي البغدادي اسماء الكثير من شيوخه ، نخص منهم بالذكر : ابو بكر عبدالله بن ابي داود ، وابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، وابو عمر يوسف بن يعقوب القاضي ، وابو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي ، وابراهيم بن عبدالصمد الهاشمي ، واحمد بن اسحاق بن البهلول القاضي ، وابن قطن الاسكافي ، وابو سعيد الحسن بن علي بن زكريا بن يحيى العدوي ، وسمع من ابي بكر محمد إبن دريد الازدي البصري وابي بكر محمد بن القاسم الانباري وابي عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفه المعروف بنفطويه ، وابي بكر محمد بن السري النحوي ، ومن ابي بكر محمد بن شقير النحوي ومن ابي اسحاق بن السري ابن سهل الزجاج النحوي ومن ابي الحسن علي بن سليمان بن الفضل الاخفش ومن ابي بكر محمد بن ابي الازهر ومن ابي محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه ومن ابي احمد بن موسى بن مجاهد المقرىء وغيرهم(١٦) .

لقد مال ابو علي بطبعه الى اللغة وعلوم الادب فبرع واستكثر منها(١٧)، ووصف بأنه « كان احفظ اهل زمانه للغة وارواهم للشعر الجاهلي واحفظهم له واعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين واكثرهم تدقيقا فيه)«١٨» .

ان مثل هؤلاء العلماء الذين اخذ عنهم في بغداد ، وربما في غيرها من مدن العراق ، والفترة الطويلة التي قضاها بصحبتهم ، كونت شخصيته الثقافية ووسمتها بالسمة البغدادية العراقية ، وجعلته عالما متميزا بالروح العلمية وبسعة الاطلاع والتوثيق فيما يأخذ ويدررس ، مما جعلها فيما بعد من اكبر العوامل التي امالت اليه قلوب الاندلسيين واثرت في طلابه تأثيرا بعيدا ووضعت الاصول الصحيحة للحياة اللغوية بالاندلس(١٩) .

٣ ـ رحلته الى الاندلس :

اجمع المؤرخون على ان ابا علي القالي البغدادي ترك بغداد قاصدا الاندلس سنة ٣٢٨ هـ(٢٠) . فما الاسباب التي دفعته الى الهجرة ؟

يعلل ياقوت الحموي ذلك بقوله : « لما تأدب ببغداد ورأى انه لاحظ له بالعراق قصد بلاد الغرب ـ اي الاندلس »(٢١) وقد اعتبر البير مطاق هذا الرأي احد العوامل المهمة في هجرته ، لان البغدادي حسب قوله وجد نفسه في موضع لايمكن وصفه بانه موضع القمة وانه لا يمكن ان يبلغ القمة في بغداد أبدا وذلك لانه وجد في « عصر الجبابرة » ولم يكن يستطيع ان يتفوق عليهم لو ظل مقيما في بغداد ، لذلك كانت هجرته الى الاندلس مجالا حسنا للتفرد والشهرة(٢٢) ، في حين يشير الطعان الى رواية عللت رحلته الى الاندلس بالحاجة ، الا انه فندها وذكر ان القالي لم يكن معوزا فقد استطاع ان يعيش ربع قرن في بغداد يدرس على شيوخ الفوا ان يتقاضوا اجرا على التدريس ويقتني الكتب الكثيرة في وقت لم تكن فيه الكتب رخيصة ، اضف الى ذلك ما تقتضيه الاقامة وما يقيم الاود(٢٣) .

وقد احتمل الطعان ان تكون من اسباب هجرته ، حالة نفسية اعترته بعد وفاة شيخه ابن دريد ، فقد نسب الى القالي قوله : لا ارجو ان اقيم

بعده في بغداد(٢٤) .

وبالرغم من ان هذه الاسباب قد تكون جميعها او اغلبها واردة ومحتملة الا انها لا يمكن ان تكون الا اسباب متممة للسبب الحقيقي وراء رحلته الى الاندلس . فالرواية الاندلسية تذكر ان القالي قصد الاندلس بعد ان تلقى دعوة من خليفتها عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ) اولي عهده الحكم المستنصر .

ذكر الحميدي « ويقال انه (اي الحكم المستنصر) هو كان قد كتب اليه ورغبه في الوفود عليه واستوطن قرطبة ونشر علمه بها »(٢٥) في حين يذكر المقري « ويقال ان الناصر هو الذي استدعاه من بغداد »(٢٦) ، يبدو لي ان الحكم المستنصر كان وراء فكرة استدعاء القالي الى الاندلس ، وان الاختلاف وقع بين المؤرخين لان القالي وصل الى الاندلس في زمن الخليفة الناصر ، وقد عرف عن الحكم المستنصر حبه للعلم والعلماء وحرصه على تشجيع الحركة العلمية بالاندلس(٢٧) « مستجلبا للعلماء ورواة الحديث من جميع الافاق »(٢٨) وتمشيا مع هذا الاتجاه فقد وجه الدعوة الى البغدادي ، ولم يكن الوحيد الذي دعاه للمجيء الى الاندلس ، فقد ذكرت المصادر التاريخية ان الحكم المستنصر وجه الى علي بن محمد بن اسماعيل المعروف بأبي حسن الانطاكي يدعوه الى المجيء الى الاندلس فلبى دعوته ودخل قرطبة في شعبان سنة ٣٥٢ هـ(٢٩) . كما وجه دعوه مماثلة الى ابي الحسين بن الفارس من اهل حلب ، فوفد اليه وقرأ عليه الناس كثيرا ومن بينهم الزبيدي ومن قرأ على الزبيدي(٣٠) . ومما يعزز رأينا بأن الحكم المستنصر هو الذي كتب الى ابي على القالي البغدادي ورغبه بالوفود الى الاندلس ما اغدق عليه من كرم وما حظى به من حفاوة وتقدير ، بأمر من الحكم المستنصر ، منذ ان وطأة قدماه ارض الاندلس ، كما سنرى .

على كل حال فقد توجه القالي الى الاندلس ولسنا نملك تفاصيل وافية عن الرحلة وطريقها ، سوى ما ذكره القالي نفسه في قصيدته(٣١) التي مدح بها الخليفة الناصر عندما وصل قرطبة • اذ ذكر في طريق الرحلة ، هيت وتدمر وبردى(٣٢) ، والاشارة التي اوردها القفطي بأنه « نزل مصر »(٣٣) دون اية تفاصيل ، وما ذكره ابن بسام عن حلوله بالقيردان(٣٤) ، التي فقد فيها بعض كتبه كما يستشف من عبارة اوردها ابن خير الاشبيلي(٣٥) ، ثم وصوله الى بجاية في شهر رجب سنة ٣٣٠ هـ(٣٦) ، ومنها على مايبدو عبر الى الاندلس •

وقد وصفت لنا الرواية الاندلسية مظاهر الاحتفاء والتكريم التي حظي بهما البغدادي منذ ان وصل الى الاندلس ، وفي هذا يقول ابن حيان المؤرخ الاندلسي الكبير : « وفي يوم الاثنين لثلاث يقين من شعبان وفد على الناصر لدين الله الاديب ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ، المعروف بالقالي ، العالم المستبحر في علوم اللسان ، الجامع لضروب الادب ، المحتوي على دواوين الثقات ، الراوية عن جلة اهل العلم ، الملتقي للثقات طرا من اقصى أرض العراق قاصدا باب عظيم الخلفاء بأسنى البضاعات وقد كان المخبر سبق جوازه البحر من قبل عامل بجانة(٣٧) ، فكتب الامير الحكم ولي العهد ، المنافس في اقتناء العلم واصطناع اهله الى هارون بن موسى ، كاتبه ووزيره ، وهو يومئذ ببجانة لبعض اموره ، بتلقي اسماعيل هذا وتبشيره واكرامه واقدامه معه الى قرطبة والتقدم الى كل عامل يمر به في طريقه بالاحتفال في ميرته والانتهاء في تكريمه ففعل ذلك الى ان وصل الى قرطبة في اليوم المذكور ••• »(٣٨) •

وعن استقبال ابي علي القالي البغدادي ، عندما حط الرحال على ارض الاندلس ، وصلت الينا رواية ثانية اوردها المقري جاء فيها « وفد على الاندلس ايام الناصر امير المؤمنين عبد الرحمن ، فامر ابنه الحكم ـ وكان يتصرف عن

امر ابيه كالوزير ــ عاملهم ابن رماحس ان يجيء مع ابي علي الى قرطبة ويتلقاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكرمة لابي علي ، ففعل وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل ، فكانوا يتذاكرون الادب في طريقهم ويتناشدون الاشعار ... »(٣٩) .

ومن الروايتين اعلاه يتضح ما يأتي :ـ

١ ــ ان الحكم المستنصر ، ولي العهد آنذاك ، هو الذي أمر بتكريم البغدادي وبتشكيل وفد رسمي لاستقباله والتشديد على الاحتفاء به وتقديره في كل مدينة يمر بها من مدن الاندلس .

٢ ــ ان المسؤولين الاندلسيين كانوا يتابعون رحلة البغدادي وهو في طريقه اليهم ، وعندما علموا بجوازه البحر ، سارع عامل بجانة الى اخبار الحكم المستنصر بذلك . ولا يستبعد ان يكون هذا الاهتمام والترقب لقدوم القالي البغدادي ، من قبل عامل بجانة ، هو الاخر بأمر من الحكم المستنصر ايضا .

٣ ــ اذا ما صح ذلك فان الحكم المستنصر يكون قد أمر ابن رماحس ان يجيء مع ابي علي البغدادي الى قرطبة ويتلقاه في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة ، قبل ان يصل البغدادي اصلا الى الاندلس وعندما جاز البحر في طريقه اليها ، اخبر ابن رماحس الحكم المستنصر ، لانه شعر بأهتمامه الكبير بهذا الوافد الجديد ، فارسل الحكم مرة اخرى الى كاتبه ووزيره هارون بن موسى الذي كان في مدينة بجانة لبعض اموره ، يأمره بتلقي البغدادي وتكريمه واقدامه الى قرطبة مكرما معززا ، وبذلك يكون ابن رماحس وهارون بن موسى كلاهما مأمورا بالاحتفاء بأبي علي البغدادي . وعلى هذا فلا يوجد تناقض بين ما اورده ابن حبان وبين ما اورده المقري ، بخصوص الشخص المأمور

بالاستقبال كما يبدو من النصين لاول وهلة • ولا سيما اذا ما علمنا ان ابن رماحس كان عاملا على الكورة التي تقع فيها مدينة بجانة(٤٠) •

٤ ـ ومما تقدم يتضح اهتمام الحكم المستنصر بتشجيع الحركة العلمية بالاندلس وحرصه على استقبال العلماء البارزين لينشروا علمهم في بلده، ونلمس من هذا الاستقبال الرائع لابي علي البغدادي ومالقيه فيما بعد بمدينة قرطبة من تكريم واحترام كبيرين ، مكانة العالم واهميته ، ونظرة العرب والمسلمين السامية الى العلم والعلماء • كما ان هذا الاستقبال يعزز ما ذكرناه سابقا ، ان الحكم المستنصر كان وراء فكرة استدعاء البغدادي • وقبل ان تتحدث عن اثر ابي علي البغدادي بالفكر الاندلسي ، نود ان نشير الى ان البغدادي لم يكن ، في بداية الامر ، على معرفة بما وصلت اليه الاندلس من تقدم علمي ، ولا سيما في المجال اللغوي ، وهذا ما صرح به البغدادي نفسه عندما قال : « لما وصلت القيروان وانا اعتبر من أمر به من اهل الامصار ، فاجدهم درجات في الغباوة وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ، حتى كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة • قال ابو علي : فقلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت في افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم ، فسأحتاج الى ترجمان بهذه الاوطان »(٤١) الا انه عندما وصل الاندلس وجدها على غير ما توقع ، قال ابن بسام : « فبلغني انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من اهل هذا الافق في ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمفاتشه ويقول لهم : ان علمي علم رواية وليس بعلم دراية فخذوا عني ما نقلت فلم آل لكم ان صححت• هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الرواية والاخذ عن الثقات »(٤٢) •

٤ ــ اثره بالفكر الاندلسي :

وصل ابوعلي القالي البغدادي قرطبة يوم الاثنين لثلاث بقين من شعبان سنة ٣٣٠ هـ « فاكرم الناصر لدين الله مورده واحسن تقبل مثواه وبوأ لديه اسنى مبوأ واوسع عليه في الانزال والاقطاع وناغاه في ذلك ابنه ولي عهده الحكم بفضل عنايته بالعلم ونزاعه الى اهله »(٤٣) ولعل الناصر وابنه الحكم قد استقبلا البغدادي في احتفال خاص وأنشد الشعراء يومئذ قصائدهم(٤٤) ، وربما قيلت قصيدة الشاعر الرمادي في مدح البغدادي في هذا الاحتفال(٤٥) ، والتي مطلعها :

من حاكم بيني وبين عذولي الشجو شجوي والعويل عويلي(٤٦) •

كما القى القالي على مايبدو في هذا الاحتفال قصيدته في مدح الخليفة الناصر(٤٧) •

ان هذا الاستقبال كان بداية طيبة لوافد العراق وضيف الخلافة بالاندلس(٤٨) فاستوطن قرطبة في كنف ولي عهدها الامير الحكم الذي « تلقاه بالجميل وحظي عنده وقرب منه وبالغ في اكرامه »(٤٩) فاطمأنت نفسه وعلى حد تعبير ابن حيان « نال بها امنيته واطمأنت في كنفها ذراه »(٥٠) •

وقد اوعز اليه الحكم المستنصر « بنشر مايحمله من علمه في الناس واشاعة اسماعهم وافادتهم وتأليف ما التقط من منشور ما اعيا عليهم ، فسارع الى ذلك بجد وقوة وفاض على طلاب العلم منه ما عظم انتفاعهم به جدا ، وصحح لهم صحائف كانت عندهم بورا ، فاجد للسان العرب عندهم نشورا »(٥١) •

ومن هذا النص يستشف ما يأتي :

١ ــ ان الحكم المستنصر ادرك قيمة ضيفه وما يتمتع به من قابليات علمية

فطوى الى الابد ما جال بخاطره مرة ، عندما اخبره ابن رماحس بقصة البغدادي مع ابن رفاعة الالبيري ، الذي كان احد اعضاء الوفد المستقبل والمرافق لابي علي ، وقد ترك الوفد عندما لم يقيم البغدادي وزنا لبيت من الشعر كان قد رواه وهو في الطريق الى قرطبة ، فاجاب الحكم المستنصر ابن رماحس : دع الالبيري وشأنه واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته فسوف يعليه الاختبار انشاء الله او يحطه(٥٢) • مما تقدم يتضح ان ابا علي كان في مستوى سمعته ويزيد وصار محط اعجاب الحكم المستنصر فاختص به وحسب عليه •

٢ ـ حرص الحكم على الا يختص البغدادي بفئة معينة من الطلاب وان يجعل السماع عليه مشاعا لجميع الراغبين بذلك ، وهذه شهادة جلية بمكانة البغدادي العلميـة •

٣ ـ ومن هذا النص يستشف ان ابا علي قد كلف رسميا بالقاء المحاضرات على الطلاب والمساهمة بمعالجة ما اعيا على الاندلسيين في مواضيع اللغـة(٥٣) •

وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامور وبعد ان صارت اليه بحث ابا علي القالي على التأليف وينشطه بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط في الاكرام(٥٤) والقالي بدوره يستجيب لطلب الحكم المستنصر ويباشر في التأليف ويجلس للتدريس ، فصار يملي آماليه على الطلبة في الزهراء وقرطبة كل يوم خميس(٥٥) على بني ملول (كذا) ثم زاد فيه فبلغه ستة عشر جزءا للعامة ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءا الامير المؤمنين(٥٦) ـ اي الحكم المستنصر ـ حيث رفعه اليه مطرزا باسمه(٥٧) •

ويتضح من النصوص ان الحكم المستنصر كان مشغوفا بأبي علي يؤهله لكل مهم في بابه ، فلما ورد رسول ملك الروم أمره عند دخول الرسـول

الى الحضرة ان يقوم خطيبا بما كانت العادة جارية به(٥٨) • فارتج عليه الا ان هذا الموقف المحرج لم يؤثر في مكانته لدى المستنصر الذي ندبه لهذه المهمة استئثارا بفخره(٥٩) ، فظل على تعهده له ، يكرمه وينشطه بوافر العطاء ويحثه على التأليف وينتدبه في مهام علمية ، فلما اراد المستنصر ان يقف على نسخة صحيحة من كتاب العين كلفه مع محمد بن ابي الحسين وابنا سيد (احمد ومحمد وهما من تلاميذ البغدادي) بمقابلة كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي ، وقد احضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد ، والتي كانت اسوأ النسخ واكثرها تصحيفا وتحريفا ، فقاموا بواجبهم على اكمل وجه واتموا نسخة صحيحة من الكتاب(٦٠) • ومما يذكر في هذا المجال ان الحكم المستنصر كان قد زارهم وهم يعملون في المقابلة وسألهم عن نسخة القاضي منذر بن سعيد ، فاجابه احدهم انها اسوأ النسخ ، الا المستنصر لم يقتنع وسأل البغدادي عن رأيه فاجابه بنفس الاجابة ، دون انه يجامل القاضي منذر بن سعيد ، رغم العلاقة الطيبة التي كانت قائمة بينهما ، فقد كانا يتبادلان الرسائل واعارة الكتب • قال منذر بن سعيد كتبت الى ابي علي البغدادي استعير منه كتابا في القريب وقلت :

بحق ريم مهفهف	وصدغه المتعطف
ابعث الى بجزء	من الغريب المصنف

فقضى حاجتي بقوله :

وحق در تألف	بفيك اي تألف
لابعثن بما قد	حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسي	اليك ماكنت اسرف(٦١)

ليس ذلك وحسب بل ان الحكم المستنصر كان يستشيره ويستأنس برأيه من ذلك انه قال له مرة : من انبل من رأيته ببلدنا هذا في اللغة ؟ فقال : محمد

ابن القوطية(٦٢) • وما هو جدير بالذكر ان ابن القوطية كان موضع تقدير البغدادي واحترامه وفي هذا يقول المقري : ان ابا علي القالي لما دخل الاندلس اجتمع مع ابن القوطية وكان يبالغ في تعظيمه(٦٣) • ولم يكن ابن القوطية العالم الاندلسي الوحيد الذي اثنى عليه البغدادي،فقد اظهر اعجابهواثنى على قاسم بن ثابت وكتابه الدلائل ووصفه بانه افضل ما وضع بالحديث في الاندلس(٦٤) •

اضافة الى تقدير السلطة واحترامها لابي علي البغدادي ، نجده ينال اعجاب الاندلسيين ويحظىبتقديرهم ، فاستفاد الناس منه وعولوا عليه واتخذوا حجة فيما نقله(٦٥) ، وقرأوا عليه كتب اللغة والاخبار والامالي وعظمت استفادتهم منه الى ان توفي(٦٦) • ولهذا وصفه ابن حيان بأنه «اعظم من وفد الى الاندلس من العلماء »(٦٧) • واعتبره ابن حزم اندلسيا وقال : فمن هاجر الينا من سائر البلاد فنحن احق به وهو منا ، وعلى هذا فاننا « لا ندع اسماعيل بن القاسم »(٦٨) • ومن هذا النص يتضح افتخار الاندلسيين بأبي علي البغدادي وحرصهم على اعتباره واحدا منهم ، مما يؤكد اعتزازهم به ومكانته العلمية العالية في نفوسهم •

وقد تتلمذ على يديه جملة كبيرة من طلبة العلم والمعرفة ، والمتتبع لكتب التراجم الاندلسية يجد صدى واسعا للجهود التي بذلها ابو علي البغدادي متمثلة بالاعداد الكبيرة من الطلاب الذين سمعوا منه او كتبوا عنه فحدثوا بما سمعوا او اكتبوا ، وفي الكتب التي الفها ، او التي ادخلها الاندلس وقام بتدريسها او في الحركة الفكرية التي وجدت بالاندلس تدريسا وتأليفا ، فيما بعد ، على غرار ما كتب او ادخل من كتب •

ونحن في هذا المجال لا نستطيع ان نخص بالذكر كل من سمع من ابي

علي البغدادي او كتب او حدث او روى او قرأ او اجاز له ، وذلك لكثرتهم ، الا اننا سنحاول ذكر ابرزهم ومن اشتهر بمصاحبته منهم :

١ ــ ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي (ت ٣٧٩ هـ) وكان حينئذ اماما في الادب ولكنه عرف فضل ابي علي فمال اليه واختص به واستفاد منـه وقر له(٦٩) .

٢ ــ عبدالله بن اصبغ المعروف بابن الصناع (ت ٣٧٣ هـ) روى عنه كثيرا من كتب اللغة وكان ضابطا حسن النقل معـدودا في ثقات اصحـاب البغدادي(٧٠) .

٣ ــ محمد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن معاوية بن المنذر القرشي (ت ٣٧٣ هـ) اخذ عن ابي علي البغدادي وكان من ثقاة اصحابه وقد غلب عليـه علـم اللغـة(٧١) .

٤ ــ ابو ايوب سليمان بن خلف بن سليمان (ت ٤٠٨ هـ) روى عن ابي علي البغدادي وسمع عليه كتاب النوادر من تأليفه وغير ذلك وأجاز له(٧٢) .

٥ ــ ابو نصر هارون بن موسى بن صالح من أهل قرطبة ، سمع من ابي علي البغدادي وقد كان حريصا على حضور مجلسه ، ولم يمنعه من ذلـك سحابة اخذته وهو في طريقه اليه ، فابتلت ثيابه فلما رآه البغدادي هون عليه الامر وحكى له حكايته مع شيخه ابن مجاهد والتي بسببها تمزقت ثيابه وادمي جسمه حتى انكشف المظم ، قال ابو نصر : وهان عندي ما عرض لي من تلك الثياب واستكثرت من الاختلاف اليه ولم افارقه حتى مات رحمه الله)(٧٣) .

٦ ــ يوسف بن هارون الرمادي الشاعر (ت ٤٠٣ هـ) مدحه بقصيدة ، مـر ذكر مطلعها فيما مضى من البحث،وروى عنه كتاب النوادر من تأليفه(٧٤) .

٧ ــ يوسف بن فضالة الاديب ويكنى ابا الحجاج من اصحابه ، روى عنه كتاب فعلت وافعلت وكتاب فعل من كذا(٧٥) .

٨ ــ عبدالله بن حمود بن عبدالله بن مذحج الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) كان من مشاهير اصحاب ابيعلي البغدادي(٧٦) ، وله معه حكاية يرويها لنا ابو الفتوح الجرجاني قال : « ان ابا علي غلس لصلاة الصبح في المسجد فقام اليه ابو محمد الزبيدي من مزود كان لدابته خارج الدار قد بات فيه او ادلج اليه ليكون اول وارد عليه ، فارتاع منه وقال : ويحك من تكون ؟ قال : انا عبدالله الاندلسي ... »(٧٧) .

ومن هذا النص يستشف حرص الطلبة على السماع من ابي علي وتسابقهم في ذلك .

٩ ــ ابو القاسم احمد بن ابان بن سيد (ت ٤٨٢ هـ) صاحب الشرطة بقرطبة، يكنى ابا القاسم روى عنه(٧٨) كتبه والكتب التي درسها او ادخلها الاندلس(٧٩) . وقد ذكر ابن الابار ، ان محمد بن خشخاش سمع من احمد بن ابان بن سيد كتاب الزاهر لابي بكر ابن الانباري عن ابي علي لانه كان يضن بهذا الكتاب فلم يسمعه الا ابن سيد لمكانه من السلطان وعنه رواه أصحاب ابي علي اجمعون(٨٠) ، في حين ذكر ابن خير الاشبيلي عند حديثه عن كتاب الزاهر لابن الانباري ما نصه « حدثني ابو محمد بن عتاب رحمه الله عن ابيه عن القاضي ابي ايوب سليمان بن خلف بن غمرون عن ابي علي البغدادي عن ابي بكر ابن الانباري مؤلفه »(٨١) وفي هذا النص دليل على ان ابا علي لم يضن بالكتاب على طلابه ولم يقتصره على ابن سيد فقط لمكانه من السلطان .

١٠ ــ ابو عمر احمد بن عبدالعزيز بن ابي الحباب (ت ٤٠٠ هـ) روى عنه وكان من ابرز طلابه وقد روى عنه جملة كثيرة من الكتب التي الفها او التي

قام بتدريسها ككتاب النوادر(٨٢) وكتاب الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام الذي رواه عنه قراءة من اوله الى آخره سنة ٣٤٣ هـ(٨٣) ، وكتاب الالفاظ ليعقوب بن السكيت(٨٤) وكتاب اصلاح المنطق لابن السكيت ايضا(٨٥) وكتاب ادب الكتاب لابي محمد عبدالله ابن مسلم بن قتيبة(٨٦) ، وكتاب خلق الانسان لابي محمد ثابت ابن ابي ثابت ، سمعه عليه في شوال سنة ٣٤٩ هـ تم قرأه عليه في سنة ٣٥٠ هـ(٨٧) وغيرها من الكتب(٨٨) وبابي عمر هذا وسعيد بن عثمان وابي بكر محمد ابن الحسن الزبيدي صحت اللغة بالاندلس بعد القالي(٨٩) •

١١ـ ابو محمد عبدالله بن ربيع بن عبدالله التميمي (ت ٤١٥ هـ) روى عن ابي علي البغدادي(٩٠) ، ذكره ابن خير الاشبيلي فيمن روى عنه كتاب النوادر(٩١) ويبدو انه كان اطول طلابه عمرا ، ولعله آخر من حدث عنه(٩٢) •

واخيرا فان المتصفح لكتاب ابن خير الاشبيلي ، يجد عشرات العلماء ممن تتلمذوا على ابي علي ورووا عنه ، ويكفي ان نذكر في هذا المجال ما قاله عن رواة كتاب النوادر « وروي هذا الكتاب عن ابي علي البغدادي في جماعة من العلماء منهم ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي وابو العاص حكم بن منذر بن سعيد القاضي •• (تم ذكر تسعة عشر عالما من علماء الاندلس) »(٩٣) •

ب ـ مؤلفاته :

خلف لنا البغدادي جملة من المؤلفات وصفها لنا الحميدي بقوله : « وكانت كتبه على غاية التقييد والضبط والاتقان وقد الف في علمه الذي اختص به تواليف مشهورة تدل على سعة روايته وكثرة اشرافه ••• »(٩٤) •

استوطن البغدادي قرطبة ، ولم يعرف عنه انه غادرها الى غيرها من مدن الاندلس ، وفيها نشر علمه(٩٥) ، والف كتبه التي املاها عن ظهر قلب(٩٦) •

مما يوضح لنا كيف استطاع البغدادي ان يؤلف هـذه التواليف الكثيرة والواسعة والتي ساهمت في اغناء الحركة الفكرية بالاندلس ولا سيما فـي المجـال اللغـوي •

اما مؤلفاتـه فهي :

١ ـ النوادر (الامالي) :

وهو كتاب في الخبر املاه على ظهر قلب وارتجل تفسير ما فيه ، وهـذا الكتاب غاية في معناه وهو من انفع الكتب لان فيه الخبر الحسن والمثـل المتصرف والشعر المنتقى في كل معنى(٩٧) • وكان ابو علي قد املاه كما ذكرنا سابقا ، على طلبته في الزهراء وقرطبة كل يوم خميس ، ثم اهداه بعد ان زاد فيه ، الى الحكم المستنصر ، وقد اثنى على هذا الكتاب ابن حزم وقال : « وهذا الكتاب مبارٍ لكتاب الكامل الذي جمعه ابو العباس المبرد ولئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوا وخبرا فان كتاب ابي علي لاكثر لغة وشعرا »(٩٨) كما وصفه ابن خير الاشبيلي بقوله : « هو كتاب حسن ، يشتمل على انواع من العلـم لا نظير له في معناه »(٩٩) • هذا وقد لقي هذا الكتاب صدى واسعا بالفكـر الاندلسي كما سنرى •

٢ ـ الممدود والمقصور :

وهو كتاب « بناه على التفصيل ومخارج الحروف من الحلق مستقصىً في بابـه لا يشـذ عنـه في معناه ولـم يوضـع له نظـير »(١٠٠) • وقد سماه الحميدي كتاب « المقصور والممدود والمهموز » • وقال عنه « لم يؤلف في بابه مثله »(١٠١) وقد ذكره ابن خير الاشبيلي وقال عنه : يقع فـي عشرة اجزاء(١٠٢) ، ولعله اقدم كتبه وقد ذكره في الامالي(١٠٣) •

٣ ـ الابل ونتاجها وما تصرف منها ومعها :

ذكره الزبيدي بهذا الاسم(١٠٤) ، في حين ذكره ابن خير الاشبيلي بعنوان « كتاب الابل ونتاجها وجميع احوالها » وقال انه يقع في خمسة اجزاء(١٠٥) ،

وهو عند ياقوت الحموي « كتاب الابل وتناجها وما تصرف منها »(١٠٦) ٠

٤ ـ حلى الانسان والخيل وشياتها :

اجمع المؤرخون القدامى على هذه التسمية(١٠٧) ، وذكروا على اساس انه كتاب واحد ولم يفصلوا بين حلي الانسان والخيل وشياتها بكلمة كتاب او عبارة ، منها كتابه ، كما فعلت مع بقية مؤلفاته ، في حين اعتبره الطعان كتابان(١٠٨) ٠ وانا اميل الى رأيه واعتقد ان الخطأ ، ان وجد ، وقع لان المؤرخين نقلوا عن الزبيدي او عمن اخذ عن الزبيدي وبما ان التسمية وردت هكذا ذكرتها كما وردت في مظانها ٠

٥ ـ فعلت وافعلت(١٠٩) :

وقد ذكره ابن خير الاشبيلي من مؤلفات ابي علي البغدادي وقال : « وصله لامير المؤمنين(١١٠) ٠٠٠ حتى جعله ثلاثة امثال ما كان للزجاج»(١١١) فالاساس فيه كما يبدو كتاب الزجاج المعروف بهذا الاسم ثم زاد فيه كثيرا(١١٢) ٠

٦ ـ مقاتل الفرسان :

اجمع المؤرخون على هذه التسمية(١١٣) ، ولم يشذ منهم سوى السيوطي حيث سماه « مقاتل العرب »(١١٤) ٠

٧ ـ تفسير القصائد والمعلقات وتفسير [illegible] ومعانيها :

اجمع المؤرخون ايضا على هـ[illegible] لم يشذ منهم سوى ياقوت الحموي حيث سماه « كتاب تفسير [illegible] (١١٥) ٠

٨ ـ البارع في اللغة :

وهو كتاب « بناه على حروف المعجم وجمع فيه كتب اللغة وعزا كل كلمة من الغريب الى ناقلها من العلماء واختصر الاسناد وهو يشتمل على خمسة الاف ورقة(١١٦) ، ولا يعلم احد من العلماء المتقدمين والمتأخرين الف مثله في الاحاطة والاستيعاب وتوفى قبل ان ينسخه »(١١٧) وقد تهيأ لهذا الكتاب تمليذان وراقان لابي علي البغدادي هما : محمد بن الحسين الفهري ، ومحمد ابن معمر الجياني حيث قاما باستخراج مسودة البارع من اصوله التي كانت بخط البغدادي نفسه او الاصول التي بخطهما مما كتبا بين يديه ، ثم رفعا الكتاب بعد اكماله ، الى الحكم المستنصر(١١٨) • وقد قام هاشم الطعان بتحقيق ما عثر عليه من البارع في اللغة وطبعه في بيروت ١٩٧٥ وقد اعتمدناه كمرجع من مراجع هذا البحث •

٩ ـ فهرست ابي علي البغدادي واخباره وتسميه كتبه وتواليفه :

ذكر هذا الكتاب عن ابن القاسم احمد بن ابان بن سيد عن ابي علي البغدادي(١١٩) •

١٠ ـ افعل من كذا :

ذكره ابن خير الاشبيلي برواية ابي الحجاج يوسف بن فضاله النحوي عن ابي علي البغدادي(١٢٠) •

١١ ـ لغة مجموعة :

انفرد بذكره ابن خير الاشبيلي ضمن الكتب التي ادخلها البغدادي الى الاندلس وقال عنه : انه تأليف الا انه لم يتمه(١٢١) •

جـ ـ المؤلفات التي ادخلها ابو علي البغدادي الى الاندلس :

لم ينحصر اثر القالي بالفكر الاندلسي بالكتب التي الفها والمحاضرات التي القاها مما يحفظ على طلابه ، وانما يبرز هذا الاثر في مجال آخر يتمثل بالمؤلفات العلمية التي حملها معه من بغداد وادخلها الى الاندلس وسمعها منه او قرأها عليه جملة كبيرة من طلابه الاندلسيين . وقد ذكر لنا ابن خير الاشبيلي هذه المؤلفات بقائمتين الاولى تحت عنوان « تسمية كتب الشعر واسماء الشعراء التي وصل بها ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي رحمه الله الى الاندلس ، سوى ما تزايل عنه واخذ بالقيروان منه »(١٢٢) .

المجموعات الشعرية	الاجزاء	الملاحظات
١ ـ شعر ذي الرمة (تام)	١	قرأه على نفطويه
٢ ـ شعر بن عمر بن قميئة (تام)	١	قرأه البغدادي على نفطويه
٣ ـ شعر الخنساء (تام)	١	قرأه على ابن دريد
٤ ـ شعر الحطيئة (تام)	١	قرأه على ابن دريد
٥ ـ شعر جميل (تام)	١	قرأه على ابن دريد
٦ ـ شعر ابي النجم (الفضل بن قدامة)	١	قرأه على ابن دريد
٧ ـ المفضليات (تامة)	٣	املاه عليه الاخفش وسمعه من ابن الانباري
٨ ـ شعر معن بن اوس المزني (تام في كراستين)		املاه عليه الاخفش
٩ ـ شعر النابغة الذيباني (تام)	١	قرأه على ابن دريد
١٠ ـ شعر علقمة بن عبده التميمي (تام)	١	قرأه على نفطويه
١١ ـ شعر الشماخ بن ضرار الثعلبي	١	قرأه على ابن دريد

١٢ـ نقائض جرير والفرزدق (تام)	٥	قرأه على نفطويه
١٣ـ شعر الاعشى (تام)	٤	قرأه على ابن دريد
١٤ـ شعر عروة بن الورد		
١٥ـ شعر المثقب العبدي		قرأه على ابن دريد
١٦ـ شعر مالك بن الريب المازني		قرأه على ابن دريد
١٧ـ شعر النابغة الجعدي		قرأه على نفطويه
١٨ـ شعر المغيرة بن حبنا واخيه صحن		قرأه على ابن دريد
١٩ـ شعر كثير بن عبدالرحمن الخزاعي (تام)	٢	قرأه على ابن دريد
٢٠ـ شعر اوس بن حجر التميمي (تام)		قرأه على نفطويه
٢١ـ شعر القطامي عمير بن شييم (تام)		قرأه على ابن دريد
٢٢ـ شعر الاخطل (تام)	٧	سمعه من نفطويه
٢٣ـ شعر عدي بن زيد العبادي (تام)	١	
٢٤ـ شعر عبده بن الطبيب (تام)	١	
٢٥ـ شعر عدي بن زيد		قرأه على ابن دريد
٢٦ـ شعر الافوه صلاة بن عمرو الاودي (تام)	١	قرأه على ابن دريد
٢٧ـ شعر زهير بن ابي سلمى (تام)	١	برواية مجاهد عن ثعلب

٢٨ــ شعر عبيد بن الابرص (تام)	١	قرأه على ابن دريد
٢٩ــ شعر المرقش الاكبر والاصغر (تـام)	١	قرأه على ابن دريد
٣٠ــ شعر سلامة بن جندل (تام)	١	قرأه على ابن دريد
٣١ــ شـعر قيس بـن الخطيم الانصاري (تام)	١	قرأه على ابن دريد
٣٢ــ شعر الطرماح بن حكيـم الطائي		قرأه على ابن دريد
٣٣ــ شعر امرىء القيس		قرأه على ابن دريد
٣٤ــ شعر دريد بن الصمة		قرأه على ابن دريد
٣٥ــ شعر ابي خلده		قرأه على ابن دريد
٣٦ــ شعر روبة	٥	أجزاء منه قرأه على ابن دريد
٣٧ــ شعر الهذليين	١٤	جزء منه قرأه على ابن دريد
٣٨ــ شعر عمر بن ربيعة المخزومي (تـام)	١	قرأه على نفطويه
٣٩ــ شعر ابي نؤاس		لـم يقرأه
٤٠ــ شعر جرير بن الخطفي • وهو جزء ضخم فيه كل ما خـرج من شعره عن النقائض		سمعه يقرأ على نفطويه
٤١ــ شعر طرفة بن العبد (تام)		لـم يـسمعه كله
٤٢ــ شعر طفيل (تام)	١	قرأه على ابن دريد
٤٣ــ شعر ابي تمام حبيب بـن اوس	١	

اما القائمة الثانية فقد ذكرها ابن خير الاشبيلي تحت عنوان « ما جلبه ابو علي البغدادي من الاخبار »(١٢٣) ٠

الكتب	الاجزاء	الملاحظات
١ ـ اخبار نفطويه	٢٨ (مجموعة)	سمعها منه
٢ ـ اخبار ابن الانباري	٥	سماع
٣ ـ اخبار ابن ابي الازهر	٧	سماع
٤ ـ اخبار ابن دريد	٥٨	سماع
٥ ـ الاخبار والانشادات	٢	عن ابن دريد
٦ ـ اخبار وانشادات عن الاخفش	٢	
٧ ـ المدخل للمبرد (تام)	١	
٨ ـ المهذب للدينوري (تام)	١	
٩ ـ الاحباس لابي نصر	٢	
١٠ـ مقاتل الفرسان	نسخة غير موضبة (كذا) ولا مسموعة	
١١ـ عدة من ايام العرب ومعاني الشعر الجاهلي	١	ذكر البغدادي انه اشترى هذه النسخة على ان يقابلها فقطعه عن ذلك الشغل وفيه قصائد شتى مما قرأه على ابن دريد وانشادات قرأها من خط اسحاق بن اسماعيل الموصلي
١٢ـ البهي للفراء		

١٣ــ مراثي الاعلاق	١	غير مسموعه
١٤ــ الالف واللام للمازني	١	
١٥ــ التصريف للمازني	١	
١٦ــ الاكليل	٢	غير مسموع
١٧ــ الضيفان لثعلب	١	مسموع
١٨ــ العروض لابن درستويه (تام)		
١٩ــ لغة مجموعة من تأليفه الا انه لم يتمه		
٢٠ــ السرج واللجام لابن دريد (تام)		

ومما تقدم يتضح ان هذه المؤلفات والكتب التي سمعها او قرأها على شيوخه في بغداد او التي اشتراها وحملها معه الى الاندلس ، كانت كثيرة جدا ، ناهيك عن انها ليست كل ما جلبه معه من بغداد ، اذ فقد بعضها في القيروان كما ذكرنا سابقا ، فكم تحمل البغدادي من عناء حتى تمكن من ايصال هذه المجموعات والكتب الى الاندلس في وقت لم يكن السفر فيه ميسورا ؟ غير ان البغدادي كان عالما وافدا من اجل العلم يدرك قيمة الكتب فيهون في سبيلها اي جهد او مشقة يبذلها .

ان هذه المكتبة التي استقرت بالاندلس بجهده وفضله ، تناولها العلماء بالتتبع والدراسة ، فصار البغدادي وما درسه وما الفه وما ادخله من كتب الى الاندلس يمثل مرحلة جديدة في حياتها الفكرية ولا سيما اللغوية والادبية . ليس في عصر البغدادي فقط وانما في العصور اللاحقة .

ي ــ آثار اخرى للبغدادي بالفكر الاندلسي

لم تنحصر اثار البغدادي بما ذكرناه فيما مضى من البحث ، وانما صار محورا لنشاط فكري شهدته الاندلس فيما بعد ، ومما اطلعنا عليه من نصوص يقوم خير دليل على ما نقول • وبالامكان اجمالها بما يأتي :ـ

١ ــ اهتمام المؤرخين الاندلسيين بابي علي البغدادي ، فاوردوا له ترجمة وافية في كتبهم واشادوا بشخصيته العلمية وذكروا مؤلفاته ونسبه وشيوخه وطلابه وما الى ذلك ، وهذا يتجلى بوضوح من خلال البحث ومصادره •

٢ ــ الف ابو محمد الفهري احد طلابه ، كتابا خاصا عن ابي علي البغدادي تحدث فيه عن نسبه ورواياته ودخوله الاندلس(١٢٤) • ومن المؤسف ان هذا الكتاب لم يصل الينا •

٣ ــ الف بعض الاندلسيين كتبا على غرارماكتب البغدادي مثل كتاب سراج الادب لابي عبدالله بن ابي الخصال الشقوري رئيس كتاب الاندلس صنفه على منزع كتاب النوارد لابي علي(١٢٥) •

٤ ــ ولابي عبيد البكري (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد) كتاب بعنوان : التنبيه على اوهام ابي علي البغدادي في كتاب النوادر(١٢٦) •

٥ ــ قام بعض الاندلسين بشرح كتاب النوادر لابي علي ، منهم ابو عبيد البكري وكتابه ، اللالى في شرح الامالي(١٢٧) ، الذي وصفه المقري بانه كتاب مفيد في الادب(١٢٨) والكتاب مطبوع(١٢٩) ، وممن شرحه ايضا ابراهيم بن محمد بن ابراهيم المعروف بالاعلم(١٣٠) •

٦ ــ قام بعض الاندلسيين بأختصار كتاب النوادر ، منهم احمد بن عبد المؤمن القيسي من اهل شريش (ت ٦١٩ هـ)(١٣١) •

٧ ــ اما احمد بن عبد الجليل المعروف بالتدمري ، من اهل المرية ، سكن

مدينة بجاية وقتا الف بها لمحمد بن علي بن حمدون وزير بني الناصر الصنهاجين كتابا سماه « نظم القرطين وضم اشعار السقطين » جمع فيه اشعار الكامل للمبرد والنوادر لابي علي البغدادي(١٣٢) .

٨ ــ ويبدو مما تقدم ان كتاب الامالي (النوادر) اشهر كتب البغدادي ، قد نال شهرة واسعة بالاندلس فلم يقف الامر عند شرحه او اختصاره او التأليف على غراره او التعليق عليه، بل ان بعضهم كان يحفظه عن ظهر قاب ، فهذه العروضية مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب ، من سكنة مدينة بلنسية ، كانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما ، قال ابو داود سليمان بن نجاح قرأت عليهما الكتابين(١٣٣) . وهذا ابو الحسن النباهي العالم الاندلسي المعروف قال عنه المقري بهذا الخصوص « استظهر محفوظات منها النوادر للقالي وناهيك به محفوظا مهجورا ومسلكا غفلا فما ظنك بسواه »(١٣٤) .

٩ ــ حظي البارع في اللغة من كتب ابي علي البغدادي ، هو الاخر ، باهتمام الاندلسيين فاخرجوه من مسوداته ، ووقفوا على ما فيه من الزيادة على النسخة المجتمع عليها من « كتاب العين فبلغ ذلك خمسة آلاف وستمائة وثلاث وثمانين كلمة(١٣٥) ، وقعت في « نيف واربعمائة ورقة مما وقع في العين مهملا فاملاه مستعملا ومما قلل فيه الخليل فاملى فيه زيادة كثيرة ومما جاء دون شاهد فامل الشواهد فيه » وقد خظيت هذه الزيادة على ما يبدو ، باهتمام الزبيدي فوضع منها كتابه الموسوم « المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لابي علي البغدادي على كتاب العين للخليل بن احمد »(١٣٧) . وقد قام الفقيه ابو مروان بن سراج (ت ٤٨٩ هـ) ايضا ، بالاستدراك على كتاب البارع في اللغة لابي علي(١٣٨) .

وعندما سأل المعتمد بن عباد الفقيه ابي الحجاج يوسف بن سليمان المشهور بالاعلم حول كلمة المسهب بالفتح ام بالكسر اجابه : « والذي احفظه واعتقد أن المسهب بالفتح المكثر في غير صواب وان المسهب بالكسر البليغ المكثر في الصواب » وقال : اني اذكره عن ابي علي البغدادي من كتاب البارع او غيره(١٣٩) • مما يبرز اهمية البارع كمرجع لغوي معتمد عند الاندلسيين •

١٠ ـ وفي العموم فان كتب البغدادي كانت معتمدة في حلقات التدريس بالاندلس ، يرويها الشيوخ ويسمعها او يقرأها الطلاب عليهم ، ويتجلى هذا بوضوح من خلال الاطلاع على سلاسل الرواة لمؤلفات البغدادي والتي اوردها ابن خير الاشبيلي على مدى قرنين وربع من الزمن ، وهي الفترة الواقعة بين وفاة البغدادي ٣٥٦ هـ ووفاة ابن خير الاشبيلي سنة ٥٧٥ هـ(١٤٠) • وقد استمر الامر بعد ذلك ، حيث ذكر ابن الابار في ترجمة محمد بن احمد بن يربوع مانصه « رأيت السماع عليه بالنوادر لابي علي البغدادي سنة ٥٩٢ هـ »(١٤١) •

هـ ـ خاتمة :

واليوم وبعد ان اصبحت معالم العروبة والاسلام في اندلسنا الجميلة خيالا واطيافا فما اجدر ان نعيد الى اذهاننا بعض صورها الزاهية وحضارتها الدائمة المتجلية برجالها الاكرمين الخالدين الذين لايخلو منهم حديث ولا تنسى لهم ذكريات ولا يهمل لهم تاريخ ولا يزين بسواهم كتاب ولا تطرب بغير أدبهم نفوس(١٤٢) • فنعم الرجال هم ورحم الله عالمنا الكبير ابا علي البغدادي وافد العراق وضيف الاندلس في ربيعها الزاهي في عصر الخلافة ، الذي دخل قرطبة سنة ٣٣٠ وفارق الحياة بها في ربيع الاخر سنة ٣٥٦ كما ذكر تلميذه

الزبيدي(١٤٣) في حين يذكر ابن الفرضي « وكانت وفاته فيما اخبرني به غير واحد من اصحابه : ليلة السبت لسبع خلون من جمادى الاولى سنة ست وخمسين وثلاثمائه »(١٤٤) ودفن بمقبرة متعة بظاهر قرطبة وصلى عليه الفقيه ابو عبيد الجبيري(١٤٥) ، ورثاه تلميذه الزبيدي(١٤٦) • وقد حكى ابن الطيلسان عن ابن جابر انه قرأ في لوح رخام كان قد سقط من القبة المبنية على قبر ابي علي البغدادي عند تهدمها •

صلو لحد قبري بالطريق وودعوا   فليس لمن وارى التراب حبيب(١٤٨)
ولا تدفنوني بالعراء فربما   بكى ان رأى قبر الغريب غريب

حواشي البحث

(١) رسائل ابن حزم ، ٢/١٧٦ .

(٢) هاشم الطعان ، مقدمة كتاب البارع في اللغة ، ١٧ .

(٣) انظر ترجمته في الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٢ ، ابن الفرضي تاريخ علماء الاندلس، ١/٦٩(رقم : ٢٢٣)، الحميدي، جذوة المقتبس، ١٦٤ (رقم : ٣٠٣) ، الضبي ، بغية الملتمس ، ٢١٦ (رقم : ٥٤٧) ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ١/٢٢٦ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١/٢٥ ، المقري نفح الطيب ، ٣/٧٢ واخرون غيرهم .

(٤) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٤ ، الحميدي ، جذوة المقتبس، ١٦٦ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ١/٢٧ .

(٥) ان لفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ١/٦٩ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ١/٢٢٧ القفطي ، انباه الرواة ، ١/٢٠٧ .

(٦) هاشم الطعان ، مقدمة البارع ، ٩ .

(٧) انظر ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٤ .

(٨) وردت في جذوة المقتبس « يكرمون » ٢٠٥ .

(٩) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٥ ، ثم انظر ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٦ .

(١٠) القفطي ، انباه الرواة ، ١/٢٠٩ .

(١١) البير مطاق ، الحركة اللغوية بالاندلس ، ١٨٩ .

(١٢) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٦ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١/٣٢ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣/٧٢ .

(١٣) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ١/٦٩ ، الحميدي ، جذوة المقتبس، ١٦٤ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ٢١٦ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١/٢٦ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣/٧٢ .

(١٤) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٤ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ١/٢٢٧ ، القفطي ، انباه الرواة ، ١/٢٠٧ .

(١٥) الحركة اللغوية بالاندلس ، ١٩٠ — ١٩١ .

(١٦) انظر : الزبيدي ، طبقات النحويين ، ٢٠٤ — ٢٠٥ ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ١/٦٩ ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٤ ، ياقوت

الحموي ، معجم الادباء ، ١/٢٧ القفطي ، انباه الرواة ، ١/٢٠٧ — ٢٠٨ وغيرهم ومن المحدثين انظر ، هاشم الطعان ، مقدمة البارع ، ٢٩ — ٣٩ وقد ذكر من شيوخه (٤٠) شيخا . محسن جمال الدين ، ادباء بغداديون في الاندلس ، ١٤ .

(١٧) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٤ .
(١٨) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٢ ، السيوطي ، بغية الوعاة ، ١٩٨ .
(١٩) البير مطلق ، الحركة اللغوية بالاندلس ، ١٩٧ .
(٢٠) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٥ ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ١/٦٩ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٤ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ٢١٧ ، ابن خلكان وفيات الاعيان ، ١/٢٢٧ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ١/٢٦ ، القفطي ، انباه الرواة ، ١/٢٠٨ السيوطي ، بغية ، ١٩٨ .
(٢١) معجم الادباء ، ١/٢٨ .
(٢٢) الحركة اللغوية بالاندلس ، ١٩٩ .
(٢٣) مقدمة البارع ، ٢١ .
(٢٤) مقدمة البارع ، ٢٢ .
(٢٥) جذوة المقتبس ، ١٦٥ ثم انظر : الضبي ، بغية الملتمس ، ٢١٧ .
(٢٦) نفح الطيب ، ٣/٧٥ .
(٢٧) ولنا في هذا الموضوع بحثا هو الان تحت الطبع في مجلة المؤرخ العربي .
(٢٨) ابن الابار ، الحلة السيراء ، ١/٢٠١ .
(٢٩) الجزري ، طبقات القراء ، ١/٥٦٥ .
(٣٠) ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٤٠٨ .
(٣١) ايضا ، ٤٢٢ .
(٣٢) انظر : الطعان ، مقدمة البارع ، ٢٢ — ٢٣ وقد ذكر ان القصيدة ملحقة بمخطوطة المقصور والممدود ، انظر هامش رقم ٤ ، ص ٢٤ .
(٣٣) انباه الرواة ، ١/٢٠٤ .
(٣٤) الذخيرة ، ١/١ ، ص ١٤ .
(٣٥) فهرسة ، ٣٩٥ .
(٣٦) القفطي ، انباه الرواة ، ١/٢٠٩ .
(٣٧) بجانة : مدينة اندلسية بينها وبين المرية خمسة اميال او ستة اميال وكانت بجانة في القدم هي المدينة المشهورة قبل المرية فانتقل اهلها الى المرية فعمرت وخربت بجانة .
(انظر ، الحميري الروض المعطار ، مادة بجاية ٧٩ — ٨٠)

(٣٨) المقتبس ، ٥/٤٧٩ ــ ٤٨٠ .
(٣٩) نفح الطيب ، ٣/٧٠ .
(٤٠) انظر بهذا الخصوص ، العذري ، نصوص عن الاندلس ، ٨١ ، ثم انظر ، الطمان مقدمة البارع ، ٢٤ .
(٤١) ابن بسام ، الذخيرة ، ١/١ ص ١٤ ــ ١٥ .
(٤٢) ايضــا .
(٤٣) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٤٨٠ .
(٤٤) البير مطلق ، الحركة اللغوية بالاندلس ، ٢٠٢ .
(٤٥) محسن جمال الدين ، ادباء بغداديون ، ١٦ ، البير مطلق ، الحركة اللغوية بالاندلس ، ٢٠٢ .
(٤٦) الحميدي ، جذوة ، ٣٧ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣/٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ .
(٤٧) انظر : ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٤٢٢ .
(٤٨) انظر : المقري ، نفح الطيب ، ١/٣٦٨ .
(٤٩) الحميدي ، جذوة ، ١٦٥ .
(٥٠) المقتبس ، ٥/٤٨٠ .
(٥١) ابن حيان ، المقتبس ، ٥/٤٨٠ .
(٥٢) المقري ، نفح الطيب ، ٣/٧١ .
(٥٣) وقد اعتبره محسن جمال الدين اول استاذ رسمي في الاندلس يلقــي محاضراته ويملي رواياته ويستشهد باقواله وافعاله ويعتمد على ارائه النحو واللغة والادب . انظر : ادباء بغداديون ، ١٥ .
(٥٤) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٦ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣/٧٥ .
(٥٥) ابو علي البغدادي ، الامالي ، ١/٣ .
(٥٦) ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٣٢٥ .
(٥٧) ابو علي البغدادي ، الامالي ، ١/٢ ــ ٣ .
(٥٨) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٣٤٨ ، المقري ، نفح الطيب ، ١/٣٦٤ .
(٥٩) المقري ، نفح الطيب ، ١/٣٦٤ .
(٦٠) انظر : الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٥١-٥٢ ، الضبي ، بغية الملتمس ، ٦١ ، القفطي ، انباه الرواة ، ٣/٧١ ــ ٧٢ .
(٦١) المقري ، نفح الطيب ، ٢/٢٠ .
(٦٢) المقري ، نفح الطيب ، ٣/٧٣ .
(٦٣) ايضــا .

(٦٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ٣٦١/١ (رقم : ١٠٦٢) .
(٦٥) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٥ .
(٦٦) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ٦٩/١ .
(٦٧) المقتبس ، ٥/٤٨٠ .
(٦٨) رسائل ابن حزم « رسالة في فضل الاندلس وذكر رجالها » ١٧٦/٢ ، ثم انظر : المقري ، نفح الطيب ، ١٦٤/٣ .
(٦٩) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٥ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ٣٠/١ ، المقري ، نفح الطيب ، ٧٥/٣ .
(٧٠) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ٢٣٧/١ (رقم ٧٢٨) .
(٧١) ايضا ، ٨٥/٢ (رقم ١٣٤٢) ، السيوطي ، بغية ، ٥ .
(٧٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ١٩٨/١ (رقم ٤٤٦) ثم انظر ابن خير ، فهرسة ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ .
(٧٣) ابن بشكوال ، الصلة ، ٦٥٦/٢ ـ ٦٥٧ .
(٧٤) ابن بشكوال ، الصلة ، ٦٧٤/٢ (رقم ١٤٩١) ، المقري ، نفح الطيب ، ٦٤/٤ .
(٧٥) ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ على التوالي ، ثم انظر : ابن بشكوال ، الصلة ، ٦٧٦/٢ ، الطعان ، مقدمة البارع ، ٤١ .
(٧٦) المقري ، نفح الطيب ، ٦٤٧/٢ .
(٧٧) ابن الابار ، التكملة ، ٧٨٣/٢ (رقم ١٩٢٣) ، ٧٨٤ .
(٧٨) انظر : الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١١٨ (رقم ١٩٦) ، ١٦٥ ، ابن بشكوال ، الصلة ، ٨/١ ، السيوطي ، بغية ، ١٢٦ .
(٧٩) انظر : ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٩ .
(٨٠) التكملة ، ٣٨٢/١ (رقم ١٠٥٧) وقد اخذ بهذه الرواية هاشم الطعان ، انظر : مقدمة البارع ، ٤٠ .
(٨١) فهرسة ، ٣٤١ .
(٨٢) ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٣٢٨ .

(٨٣) ايضـا ، ٣٢٨ .

(٨٤) ايضـا ، ٣٢٩ .

(٨٥) ايضـا ، ٣٣٠ .

(٨٦) ايضـا ، ٣٣٤ .

(٨٧) ايضـا ، ٣٦٣ .

(٨٨،٨٩) انظر ايضا ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٧٢ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٩٤

(٩٠) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٥ ، ٢١٦ .

(٩١) فهرسـة ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٩٢) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٥ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١/٣١
ثم انظر ، الطعان مقدمة البارع ، ٤٤ .

(٩٣) فهرسة ، ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(٩٤) جذوة المقتبس ، ١٦٥ ، ثم انظر ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١/٣١.

(٩٥) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٥ ، ثم انظر : الضبي ، بغية الملتمس ، ٢١٧ ، المقري ، نفح الطيب ، ٣/٧٣ .

(٩٦) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٣ ، ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ١/٢٨ ، القفطي .
انباه الرواة ، ١/٢٠٥ .

(٩٧) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٣ ، القفطي ، ابناه الرواة ، ١/٢٠٦ .

(٩٨) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١٦٥ ، ياقوت الحموي ، معجم الادبـاء ، ١/٢٨ .

(٩٩) فهرسـة ، ٣٢٥ .

(١٠٠) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٣ ، ياقوت ، المعجم الادباء ، ١/٢٩ ، القفطي ، انباه الرواة ، ١/٢٠٦ .

(١٠١) جذوة المقتبس ، ١٦٦ .

(١٠٢) فهرسة ، ٣٥٣ .

(١٠٣) الطعان ، مقدمة البارع ، ٤٦ ويذكر ان لهذا الكتاب في الوقت الحاضر ثلاث نسـخ مخطوطـة .

(١٠٤) طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٣ .

(١٠٥) فهرسـة ، ٣٥٥ .

(١٠٦) معجم الادباء ، ٢٩/١ ثم انظر : القفطي ، انباه الرواة ، ٢٠٦/١ .

(١٠٧) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٣ ، ابن خير ، فهرسة ، ٣٥٥ ياقوت ، معجم الادباء ، ٢٩/١ ، القفطي ، انباه الرواة ، ٢٠٦/١ .

(١٠٨) مقدمة البارع ، ٥١ ــ ٥٢ .

(١٠٩) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٣ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ٢٩/١ ، القفطي ، انباه الرواة ، ٢٠٦/١ .

(١١٠) اعتقد انه يقصد الحكم المستنصر لانه كان يرعاه وباسمه طرز البغدادي ابـرز مؤلفاتـه .

(١١١) فهرسـة ، ٣٥٢ .

(١١٢) البير مطلق ، الحركة اللغوية بالاندلس ، ٢٠٨ .

(١١٣) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٣ ، ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ٣٥٥ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ٢٩/١ ، القفطي ، انباه الرواة ، ٢٠٦/١ .

(١١٤) بغيـة الوعـاة ، ١٩٨ .

(١١٥) معجم الادباء ، ٢٩/١ .

(١١٦) ذكر ياقوت ثلاثة الاف ورقة ، انظر ، معجم الادباء ، ٢٩/١ .

(١١٧) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٣ ، القفطي ، انباه الرواة ، ٢٠٦/١ .

(١١٨) ابن الابار ، التكملة ، ٣٧١/١٢ ثم انظر ، ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٣٥٥ ، البير مطلق ، الحركة اللغوية بالاندلس ، ٢١٣ .

(١١٩) المقري ، نفح الطيب ، ٧٧/٤ ثم انظر : الطعان ، لحق بالبارع ، ٧١٧ . اللغوية بالاندلس ، ٢٠٩ ، الطعان ، مقدمة البارع ، ٥٣ .

(١٢٠) فهرسة ، ٣٥٣ .

(١٢١) ايضـا ، ٣٩٩ .

(١٢٢) فهرسة ، ٣٩٥ ـ ٣٩٧ .

(١٢٣) فهرسة ، ٣٩٨ ـ ٣٩٩ .

(١٢٤) ابن الابار ، التكملة ، ٦٨٨/٢ (رقم ١٦٩٩) ، المقـري ، نفح الطيب ، ٧٢/٣ .

(١٢٥) المقري ، نفح الطيب ، ١٨٤/٣ .

(١٢٦) ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٣٢٥ـ٣٢٦ والكتاب وصل الينا وهو مطبوع .

(١٢٧) ايضـا ، ٣٢٦ .

(١٢٨) نفح الطيب ، ١٨٤/٣ .

(١٢٩) طبعه الميمني بعنوان السمط وهو ليس شرحا بالمعنى الدقيق ، انظـر : الطعان ، مقدمة البارع ، هامش رقم ٥ ، ص ٤٩ .

(١٣٠،١٣١) ابن الابار ، التكملة ، ١١١/١ (رقم ٢٧١) ، المقري ، نفح الطيب ، ١١٥/٢ .

(١٣٢) ابن الابار ، التكملة ، ١٦٥/١ (رقم ١٧٥) ثم انظر : الطعان ، مقدمـة البارع ، ٤٩ .

(١٣٣) المقري ، نفح الطيب ، ١٧١/٤ ثم انظر : الطعان ، مقدمة البارع ، ٥٠ .

(١٣٤) نفح الطيب ، ١٢٠/٦ .

(١٣٥) ابن الابار ، التكملة ، ٣٧١/١ .

(١٣٦) ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ، ثم انظر : الطعان ، مقدمة البارع ، ٧٢ .

(١٣٧) ابن خير الاشبيلي ، فهرسة ، ٣٥٠ .

(١٣٨) ابن بسام ، الذخيرة ، ٨١١/١ .

(١٣٩) المقري ، نفح الطيب ، ٧٧/٤ ثم انظر : الطعان ، لحق بالباع ، ٧١٧ .

(١٤٠) انظر : فهرسة ، ٣٢٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(١٤١) التكملة ، ٥٩٢/٢ (رقم ١٥٦٨) .

(١٤٢) محسن جمال الدين ، ادباء بغداديون ، ٢١ .

(١٤٣) طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٥ .

(١٤٤) تاريخ علماء الاندلس ، ١/٦٩ .

(١٤٥) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ٢٠٥ ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ١/٦٩ .

(١٤٦) الطعان ، مقدمة البارع ، ٢٨ نقلا عن يتيمة الدهر .

(١٤٧) المقري ، نفح الطيب ، ٢/٧٢ .

قائمة المصادر والمراجع

ابن الابار ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٩ هـ)

التكملة لكتاب الصلة (جزءان) تحقيق : عزت الغطار الحسيني (القاهرة ١٩٥٦) الحلة السيراء (جزءان) ، تحقيق : الدكتور حسين مؤنس (القاهرة ١٩٦٣)

اسماعيل بن القاسم (ابو علي القالي البغدادي) (ت ٣٥٦ هـ)

الامالي ، تحقيق : اسماعيل يوسف بن ذياب (القاهرة ١٩٢٦ م)

ابن بسام ، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٣ هـ)

الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق : الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٧٥)

ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف (ت ٥٧٨ هـ)

الصلة (قسمان في مجلد واحد) ، (القاهرة ١٩٦٦)

البير حبيب مطلق

الحركة اللغوية في الاندلس (بيروت ١٩٦٧)

الجزري ، شمس الدين ابي الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ)

غاية النهاية في طبقات القراء ، عنىبنشره ، ج٠ برجستراسر (القاهرة ١٩٣٢) طبعة الاوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد (ت ٤٥٦ هـ)

رسائل ابن حزم الاندلسي ، تحقيق : الدكتور احسان عباس ، ج٢ (بيروت ١٩٨١)

الحميدي ، ابو عبد الله محمد ابن ابي نصر (ت ٤٨٨ هـ)
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، (القاهرة ١٩٦٦)

الحميري ، محمد بن عبد المنعم (توفي حوالي ٧١٠ هـ)
الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٧٥)

ابن حيان ، ابو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩ هـ)
المقتبس ، تحقيق : ب. شالميتا واخرين ، ج٥ (مدريد ١٩٧٩)

ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٦٨)

ابن خير الاشبيلي ، ابو بكر محمد (ت ٥٧٥ هـ)
فهرسة ماروا عن شيوخه ، تحقيق : الشيخ فرنشكه قداره زيدين وتلميذه خليان (بيروت ١٩٦٣)

الزبيدي ، ابو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ)
طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة ١٩٥٤)

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (القاهرة ١٣٢٦ هـ)

الضبي ، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ)
بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس (مدريد ١٨٨٤ م) نسخة الاوفست

العذري ، احمد بن عمر بن انس
نصوص عن الاندلس منكتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثـار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق: الدكتور عبد العزيز الاهواني (مدريد ١٩٦٥)

ابن الفرضي ، ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت ٤٠٣ هـ)
تاريخ علماء الاندلس (القاهرة ١٩٦٦)

القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤)
انباه الرواة على انباه النحاة ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة ١٩٥٠)

محسـن جمال الدين
ادباء بغداديون في الاندلس (بغداد ١٩٦٢)

المقري ، شهاب الدين احمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ)
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب تحقيق : الدكتور احسان عباس (بيروت ١٩٦٨)

هاشـم الطعان
مقدمة كتاب البارع في اللغة (بيروت ١٩٧٥)

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦)
معجم الادباء (القاهرة ١٩٣٦)

الناشر دار القادسية للطباعة
بغداد/الاعظمية/مجاور السينما
هاتف : ٤٢٢٨١٧٤ ص.ب : ٤٠١٨

Only the anonymous author of the Waṣāyā comes up with such bold statements[132] Sam'ānī was not a contemporary of Niẓām al-Mulk, and it is not known whether or not it reprecesents Sam'ānī's personal stand. Also, we should not misinterpret statements by Sam'ānī and those of 'Abd al-Ghāfir on the nature of Niẓām al-Mulk's religious qualities. Niẓām al-Mulk was a true politician and he indicated his qualifications for that profession indirectly by the statement that he was not qualified to serve as ḥadīth-transmitter, and by his writings on statecraft. But Sam'ānī and 'Abd al-Ghāfir's concepts of what a Saljaq politician is, allowed them to speak of Niẓām al-Mulk's religious qualities, by which they meant that he was a Saljuq functionary who believed in the Shāfi'ī madhhad and championed its cause. In this context, the religious attributes of Niẓām al-Mulk, when compared with professional secretaries of the Saljuq class, are understandable.

132. Waṣāyā, (Mircofilm copy of the Bodleian Library MS Fraser, 251) fol. 220a, the statement by al-Fandūrachī on the birth of Niẓām al-Mulk.

Māfarrūkhī's favorable accounts of Niẓām al-Mulk were influencedby his loyalty to Fakhr al-Muk and probably exaggerate the benefit which scholars and authors received from Niẓām al-Mulk's allocation of funds to scholarship. It is not known in the absence of any direct information, whether the same thing is true of Fāmī or Ibn Isfandiyār. The Shāfi'ī Fāmī is known to be favorabe to the native Ḥanbalī Anṣārī, who on two occasions, was banished by Niẓām al-Mulk. Ibn Isfandiyār was hostile to Niẓām al-Mulk's enemy, Ḥasan al-Ṣabbāḥ, but left no direct statement on the vizier.

Those historians were under direct Saljuq rule and the chance to direct criticism aginst Niẓām al-Mulk was possible but not likely, given the influence exerted by Niẓām al-Mulk's descendants on Saljuq affairs for generations tō come. That chance was available to Kirmānī and the Baghdādī group but they failed to produce anything worth noting. Afẓal's attempt at casting Niẓām al-Mulk in an unfavorable light is a trivial instance and was promptedby his loyalty to the Saljuq line of Kirman. Sam'ānī left a somewhat interesting biography of Niẓām al-Mulk, but the veracity of his statements on Niẓām al-Mulk is somewhat questionable. Sam'ānī, as was earlier the case with 'Abd al-Ghāfir, was a Shāfi'ī traditionst, friendly toward but not a proponent of Ash'arism, and knew Niẓām al-Mulk's contribution to the Shāfi'ī madhhab. The Sam'ānī family also owes much to Niẓām al-Mulk's patronage of Abū al-Muẓaffar, the grandfather of Sam'ānī. While there is some truth in Sam'ānī's statements on the conduct and character of Niẓām al-Mulk because they are supported by evidence from other sources, Sam'ānī's statement that God knew Niẓām al-Mulk's secret for the era of Niẓām al-Mulk is doubtful in implication. This statement indicates that he was preparing Niẓām al-Mulk for an important mission, and to achieve this goal Niẓām al-Mulk was endowed with an unusual charecter.

traditions, coupled with his ability to direct objective criticism to members of his Shāfi'ī madhhab. Within the Baghdādī group-like the Nīshāpūrī Shafi'i traditionalists - Sam'ānī occupies an important position because of his comprehensive coverage of wafayāt during a little more than two decades of Niẓām al-Mulk's vizierates. In contrast to 'Abd al-Ghāfir, though, Sam'ānī's contribution to fifth/eleventh century Baghdad is disappointing. By virtue of being a Marwazī, alien to Baghdad except by residence, Sam'ānī made a valiant attempt at recording a Dhayl of wafayāt for Baghdad and its deceased, but his effort was not enough to gain him recognition as writer of thatgenre. While it is safe to hold Anṣārī responsible for some of the defects apparent in his abridged edition, the Dhayl surely suffered from Sam'ānī's disadvantage, which was seized upon by Ibn al-Jawzī. Ibn al-Jawzī himself used for a corresponding period some of the sources utilized by Sam'ānī and in the Muntaẓam produced a better coverage of the wafayāt.

At any rate, Niẓām al-Mulk undoubtedly left a remarkable impression on these historians. Although the literature surveyed is diversified in nature, it embraces aspects of Niẓām al-Mulk's true character. The problem, however, is how to distinguish what is true of Niẓām al-Mulk as Saljuq politician from literature written for propaganda purposes. What is safe to claim primarily is that Niẓām al-Mulk's contributions to cities, both cultural and religious, and his patronage of their historians, influenced the manner in which Niẓām al-Mulk was depicted. Ibn Funduq, Māfarrūkhī and in very special circumstances 'Abd al-Ghāfir are true representatives of this trend. Ibn Funduq's two reports, both of which are favorable express his grandfather's stand on Niẓām al-Mulk, suggesting that the vizier was well-ahead of his time, and that it was within the nature of his character to listen to good advice.

which contains Ibn al-'Adim's biographical notice on Nizam al-Mulk has been so far unedited.

In summary, local sources, largely Arabic but also Persian, are numerous, ranging from biographical works to local histories; they enjoy a practical advantage over universal chronicles in that their authors were natives, with access to local traditions and instituions. Still, for a variety of reasons noted in the course of this survey, a number of local sources do not stand to this reputation.

For our purposes, the chief benefits from local sources are two: (1) information aspects of Nizān al-Mulk's religious policies, above all the madrasa institution: (2) views of Nizām al-Mulk as formulated by historians of three Saljuq cities (Nishapur, Bayhaq and Isfahan) and by historians representing Baghdad and Kirman, both known to be hostile to the Saljuq rule.

Unsurprisingly, there is much greater interest for us in the group centered on Ḥākim's Tārīkh Nīsābūr than in the Baghdādī group, centred on Khaṭīb's Tārīkh Baghdād. Information on Nizām al-Mulk's religious policy comes mainly from the Nīshāpūrī group, that is, Ḥākim, 'Abd al-Ghāfir, along with Ibn Funduq. In this respect, Māfarrūkhī also has some relevance. The Baghdādī group, in effect, has little bearing on this question. Within the Nīshāpūrī group, the value of 'Abd al-Ghāfir's Siyāq is high, though it is not without shortcomings, especially on the role of Ash'arism in fifth/eleventh century Nishapur, which was reputed during this epoch for its Ash'arī leadership. On the positive side, the Siyāq is an important source (1) because of its information on key aspects of Nizām al-Mulk's policy (often short of detail but wortwhile) and (2) because of 'Abd al-Ghāfir's reliability as historian within the framework of Nishapur's complicated religious and social structure and his faithfulness to Shāfi'ī

influenced by the vivier's stand on the Ash'arīs, because Sam'ānī, as Ibn al-Jawzī acknowledged, was a Shāfi'ī traditionist. It should also be remembered that Sam'ānī's grandfather Abu al-Muẓaffar (d. 489/1095-96), a converted Shāfi'ī from the Ḥanafī madhhab, was Niẓām al-Mulk's patron and composed in his name a lost treatise entitled "al-Risāla al-qiwamīya."[129]

There exist local sources which cover Mosul and Ḥalab, two cities visited by Niẓām al-Mulk but we do not learn much from the published ones. Ibn al-Azraq al-Fāriqī (b. 510/1116-17) covered the Marwānids in a work entitled Tārīkh Mayyāfāriqīn wa Āmid, known as Tārīkh al-Fāriqī.[130] The Marwānids served at first as a vassal principality for the Great Saljuqs, but then Malik-Shāh and Niẓām al-Mulk, for reasons overlooked by Fāriqī, ordered its invasion. The Bughyat al-ṭalab fī tārīkh Ḥalab, which was composed by the Syrian Ibn al-'Adīm (d. 660/1261-62), is an interesting local history, owing to Ibn al-'Adīm's practice of introducing a variety of accounts, very often coupled with references to his sources, some of which have not reached us such as the anonymous Malik-nāma.[131] But the part

129. Of which there is a brief quotation in Subkī, Ṭabaqāt al-Shāifiʿīya, V, 346. Notice the relationship of the title to Niẓām al-Mulk's honorific "Qiwām al-Dīn."

130. Ed. 'A. al-Laṭif 'Awaḍ (Cairo : al-Maṭābi' al-Amirīya, 1379/1959).

131. The Bughya has been widely utilized, though it remains unpublished. 'A Sevim edited the section which treats the reign of Alp Arslansee "Bughyetü Taleb fī Tārīh-i Haleb'e Gore Sultan Alp-Arslan," Belleten, XXX/118 (1966). 208-22. Ibn al-'Adīm made an a bridged edition of the Bughya entitled Zubdat al-ḥalab min tārīkh Ḥalab, ed. S. al-Dahhan (2 vols. to date Bayrut: al-Maṭba'a al-Kathūlikīya 1370-73/1951-54).

source reference.[123] The Ansab, also composed from the standpoint of a muhaddith, contains a few items of interest to us, as is shown by the entry on al-Shāriki, whose request to work in Nizām al-Mulk's administration was rebuffed by the vizier.[124] Sam'āni's Tārikh Marw is considered to be wholly lost.[125] From the Dhayl, however, we can see that Sam'āni thought highly of Nizām al-Mulk, both as a skillful administrator and a pious vizier. Sam'āni goes further to say that no one knew God's secret intention in making of Nizām al-Mulk (maknūm sirr Allāhfī amrihi) until the era of the "rule of Nizām al-Mulk" began, when he initiated a just policy toward the Saljuq subjects and managed to arrange the affairs of the dīwāns in the most efficient manner.[126] He goes on to say that the actual rulership was held by Nizām al-Mulk, while the right ruler, the sultan, (Malik-Shāh?) ruled only in name.[127] Sam'āni's overall view of Nizām al-Mulk may be a little bit exaggerated, as is shown by his claim that the Saljuq sultan was among the sultans' most just rulers.[128] It should be pointed out that Sam'āni's view of Nizām al-Mulk was not

123. We may learn, however, a few names of persons who transmitted ḥadīth through Nizām al-Mulk. For this and other marginal aspects see Taḥbīr, fols. 17b, 36a, 52a, 80b, 103a.
124. Ansāb, fol. 325a.
125. Subkī says that he had not been able to trace the source: see Ṭabaqāt al-Shāfi'iya, VII, 182, no. 4; also al-Sakhāwī, al-I'lān bi al tawbīkh li man dhamma al-tārīkh, ed. F. Rosenthal and Ṣ.A. al-'Alī (Baghdad: Matba'at al-'Ānī, 1382/1963), p. 276, n. 76.
126. Anṣārī, Mukhtār, fol. 187b.
127. Ibid.
128. Ibid., fol. 188a.

Samʻani's original Dhayl and utilized a good number of his reports for the biographies which he devoted to Niẓām al-Mulk under the wafayāt of 485/1092. It should be noted that despite the aim of the Dhayl to serve as a sequel to local history of Baghdad, Samʻāni's biography of Niẓām al-Mulk contains nothing on his contribution to Baghdad, even though it fell under the sway of his policy and was visited by the vizier twice. It is not known whether Anṣārī's abridgements are responsible for the defect.[120] This defect was noticed, however, by Ibn al-Jawzī and Ibn al-Athīr and to compensate for it, they drew on Baghdādī sources to record some of the missing aspects of Niẓām al-Mulk's career.

The Taḥbīr fī al-muʻjam al-kabīr is not useful for assessing Samʻani's overall view of Niẓām al-Mulk.[121] In the Taḥbīr, Samʻānī's interest was to record biographies of all his masters and transmitters in ḥadīth, both men and women who attended his meeting-sessions, beginning with Samʻānī's first session down to those held by the wafayāt of 562/1166. This shaped the nature of Taḥbīr as an exclusive biographical

120. The same thing applies to Maniʻ ī.
121. A microfilm copy of the Ẓāhirīya library MS, 1233. There is an M.A. thesis on the Taḥbīr done by M N. Sālim (college of Arts, Baghdad).
122. Taḥbīr, fol. 105a. There are references to wafayāt which occurred in 568-1172-73, six years after Samʻānī's death, and 577/1181-82. Given these examples, it appears that Subkī is right in claiming that certain hands added material to the Taḥbīr. See ibid., fol., 122b; Ṭabaqāt al-Shāfiʻīya, VI, 130. Samʻānī used his own notes and experience for the composition of the Taḥbīr. It begins with the "Ibrāhīms," but part of the last section covering Samʻānī's hearing of ḥadīth from authoritative women is missing.

reputation and "vices" of the deceased (mathālib).[113]

The issue of forgery leads us to consider the relationship of Sam'ānī's reports on Niẓām al-Mulk in the Dhayl to those cited by Ibn al-Jawzī and Ibn al-Athīr. Sam'ānī's notice on Niẓām al-Mulk is written from the standpoint of a traditionist historian and the original notce was probably richer in information than the one which has reached us through Anṣārī.[114] This biography contains three brief statements on Niẓām al Mulk's background and his religious measures, plus three reports on the vizier from his brother Abū al-Qāsim 'Abd Allāh.[115] It also includes three direct quotations from Niẓām al-Mulk himself and four reports on incidental matters.[116] Of this total number of reports, Ibn al-Jawzī utilized two of the incidental items, four of Niẓām al-Mulk's quotations, one of 'Abd Allāh's references and one statement on background.[117] Six of these eight items utilized by Ibn al-Jawzī appear in Ibn al-Athīr's Kāmil, plus one statement on religious policy.[118]

The comparison indicates that Ibn al-Jawzī had access to

---

113. Ibid., fols. 84a-b. An example involving this tendency is to be found in Ibn Nāṣir's remark on Abū al-Faḍl Muḥammad al-Wāsiṭī (d. 547/1152-53) on whom he says: laysa min ahl al-wiqāya wa al-dirāya, See ibid., fol. 32a.
114. Mukhtār, fols. 187a-90a.
115. Ibid., fols. 187a-188a, 188b, 190a.
116. Ibid., fols. 188a-b, 189a-b, 190a.
117. Muntaẓam, IX, 64, 65, 66, 68.
118. Kāmil, VIII, 162-63. Ibn al-'Ibrī, in turn, used Sam'ānī through Ibn al-Athīr. See Tārīkh mukhtaṣar al-duwal (Bayrut, al-Maṭba'a al-kāthūlikīya, 1958), pp. 193-94.
119. Ṭabaqāt al-Shāfi'īya, IV, 312, 317, 318. Subkī utilized the original Dhayl without an intermediary.

adversaries did not escape Ibn al-Jawzī's attack save when he depicted the character of the Ḥanbalī clique (mukassirī al-ḥanābila).[108] Sam'ānī's sources for biographies of non-Baghdādī natives were numerous, but were dropped by Anṣārī. Still, the content of his notice on Manī'ī indicates that he used 'Abd al-Ghāfir's notes and added to it his own. Later on Subkī utilized Sam'ānī.[109] Again a source which does not appear in his notice on Niẓām al-Mulk, namely, Sirr al-surūr, is cited by Subkī in the same context.[110] The two sources do appear in Bundārī's edition, however.[110] But any dispute on the validity of Ibn al-Jawzi's claims must be tested against Sam'ani's biographies of Baghdādī natives. From Bundāri's abridged edition we learn that Ibn al-Jawzī is right in claiming that Sam'āni used Shujā' for writing his notices on Baghdādi inhabitants in the Dhayl. But in a good number of passages Sam'ānī does acknowledge his indebtedness to this group.[112] It appears that what prompted Ibn al-Jawzī's charges is Sam'āni's remarks in the Dhayl on Ibn al-Jawzi's master Ibn Nāṣir and probably other Ḥanbalīs of Baghdad. For example, Sam'āni says that Ibn Nāṣir loved to cast slur on people's reputation and to sully their merits; Bundārī adds that in the original Dhayl Sam'ānī said that while Ibn Nāṣir was reviewing the Dhayl, he had the habit of indicating in its margins the ill-

108. Kāmil, IX, 98.
109. See Mukhtār, fols. 177a-78a; cf. Siyāq, fols. 15a-18a; also Ṭabaqāt al-Shāfi'īyā, IV, 300.
110. Ibid., IV, 328, also n. 1, 328. The author of Sirr al-surūr, is a certain Abū al-'Alā' Muḥammad Ibn Maḥmūd al-Ghaznawī, a friend of Sam'ānī.
111. Tārikh Baghdād 2, fols, 42b, 58a, 69a.
112. Ibid., fols. 25b, 32a 33b, 43b, 46a-b, 47a-b, 48a 50b 51a.

tend that the meeting was held in Transoxiana.[104] Because the original Dhayl is no longer extant, it is not easy to judge Ibn al-Jawzī's charges. Anṣārī's edition sheds not light on them because he dropped the sources used by Sam'ānī, as is shown, for instance, by the biographies of Abū 'Alī al-Manī'ī and Niẓām al-Mulk.[105] As will be seen shortly, Bundārī was faithful to the original Dhayl.

The integrity of Sam'ānī has been unequivocally recognized by Shāfi'ī historians, including Dhahabī, who considered him as a reliable transmitter. This does not mean that Sam'ānī made no errors, a point to which Ibn al-Athīr devoted useful remarks. But it was Ibn al-Athīr who dismissed Ibn al-Jawzī's charges about the credibility of Sam'ānī as ḥadīth - transmitter, asserting in his Lubāb that such charges were true of Ibn al-Jawzī alone, who never left his city, Baghdad, and therefore was inclined to forgery.[107] In the Kāmil, Ibn al-Athīr goes furthere to say that what prompted Ibn al-Jawzī to attack Sam'ānī was his affiliation to the Shāfi'ī madhhab and adds that all

104. Ibid., X, 225, also Makdisi, "Autograph diary of an eleventh century historian of Baghdad," BSOAS, XVII (1956), 15 — 16.
105. Mukhtār, fols. 177a-78a, 187a-89a.
106. Tadhkirat al-ḥuffāẓ, IV, 1316-1318; Subkī, Ṭabaqāt al-Shāfi'īya, VII, 180-181, Ibn Khallikān Wafayāt, II, 378-81
107. Lubāb, (Cairo: al-Qudsī, 1356-69), 10 - 12, the section on Sam'ānī's virtues. Sam'ānī's Ansab has been produced in facsimile by D.S. Margoliouth (Leiden and London: E.J. Brill and Luzac for Gibb Memorial, 1912); also edited by 'A. al-Raḥmān al-Mu'allimī (lst ed., 6 vols. to date; Hyderabad: Dā'irat al-Ma'ārif al-'Uthmānīya, 1382-86/1962-66). Ibn al-Athīr's abridged editionof the Ansāb provides new notes and corrections, however.

residents, both men and women.[101]

Sam'ānī's faithfulness to his source material was questioned by Ibn Jawzī and this accusation was nat challenged until Ibn al-Athīr intervened in this Ḥanbalī-Shāfi'ī dispute. According to Ibn al-Jawzī, who knew Sam'ānī, Sam'ānī owed his Dhayl to Shujā' al-Dhuhlī (d. 488/1095) and Abū al-Faḍl Ibn Khayrūn (d. 507/1113), both inhabitants of Baghdad who covered the second-half of the fifth century in two incomplete works, and to Ibn al-Jawzī's masters, 'Abd al-Wahhāb and Muḥammad Ibn Nāṣir, who provided Sam'ānī, while attending their sessions, with notes for the wafayāt of the first-half of sixth century Baghdad. Out of this material, Sam'ānī composed the Dhayl.[102] This accusation is not altogether correct, though Ibn al-Jawzī did have reasons to suspect Sam'ānī of committing forgery. They relate to three areas: (1) Sam'ānī's incorporation of Ḥanbalī material without proper acknowledgement, (2) his tendency to take sides against the followers of Ibn Ḥanbal, despite his benefit from Ḥanbalī sources, because of Sam'ānī's ill-intention (li sū'maqsadihi). As a result, Sam'ānī's biographies of Ibn Ḥanbal's followers contained unfounded charges against deceased Ḥanbalīs, as is shown by his charge against Ibn Nāṣir, (3) his failure to present accurate and precise information because of his inability to grasp its meaning. To buttress these charges, Ibn al-Jawzī claimed that Sam'ānī's journey to Transoxiana (mā warā' al-nahr) in pursuit of ḥadīth and, references to Transoxianan authorities, were fabrications: what he did was meet a Baghdādī shaykh near the upper part of the 'Isā River in Baghdad and later pre-

101. Ibid., fol. 203a; Tārīkh Baghdād2, fol. 68a, as an example.
102. Muntaẓam, X, 224. Shujā' was composing a Dhayl and Abū al-Faḍl had accounts of the deceased wafayāt.
103 Ibid., X, 224 — 25.

We do not gather much information from Anṣari's Muntakhab about Sam'ānī's historical method, since Anṣarī dropped from his edition most of Sam'ānī's references to date and source material and retained from the original a few references to Sam'ānī's informants. [97] That this defect has nothing to do with Sam'ānī is indicated by the surviving accounts of Sam'ani in Bundārī's edition. Of the three works which Bundārī abridged, references to Sam'ānī's text in the extant part to Tārīkh Baghdād are numerous. [98] Ibn al-Dubaythī [99] is very rarely cited. [100] Citations by Bundarī for Khaṭib's text are insignificant because of the availability of the original. In combination, the two abridged editions indicate that Sam'ānī's original Dhayl had a biographical structure arranged to cover in alphabetical order the wafayāt which took place after Khaṭīb's death down to 557/1161-62, and was written from the standpoint of a muhaddith, covering prominent Baghdādī

97. We have come across a few examples. See Mukhtār, fols. 24a-b, 28a, 46b, 63a, 64a, 83a-b, 149b.

98. Here is a complete reference to Sam'ānī's text as cited in Tārīkh Baghdād 2: fols. 2a-b, 3a, 6b, 7a-b, 8a-b, 15a, 16a, 20a-b, 24a-b 25a-b, 26a-b, 27a-, 30b, 31a-b, 32a-b, 33b 41b 42a-b, 43a-b, 44a-b, 46a-b' 47a-b, 48a, 49a-b, 50a-b, 51a-b, 57a-b, 58a-b, 59a-b, 60a-b, 61a, 62a-b, 63b, 64a-b, 65a-b, 66a-b, 67a-b, 68a-b, 69a, 70a-b, 71a-b, 76a, 77a-b, 78a-b, 79a-b, 80a-b, 82a-b, 83b, 84a-b, 85b, 86a, 87a, 92b, 93a, 95a-b, 96a-b, 97a-b, 104b, 105a, 109a, 110a-b, 112a-b 113a-b 114a-b, 115a-b, 116a-b, Notice that some of the headings are missing.

99. Jamāl al-Dīn 'Abd Allāh Muḥammad b. Sa'īd (558-637/1163-1239). On him see F. Rosenthal, "Ibn al-Dubaythī," EI 2, III, 750.

100. Mukhtār, fols. 15a-b, 21a, 27b, 28a-b, 29a.

711/1311) made in 708/1038-9 an abridged edition of the Dhayl under the title Mukhtār dhayl Baghdād. Of this edition, only the second part of the Mukhtār has survived.[92] Still, part of Sam'ānī's Dhayl has reached us through the seventh/thirteenth century historian, Abū Ibrāhīm al-Bundārī, who made in 639/1241-42 an abridged edition of three texts treating Baghdad, namely, Khaṭīb's Tārīkh Baghdād; its principal sequel, Sam'ānī's Dhayl; and Abū 'Abd Allāh Ibn al-Dubaythī's sequel to Sam'ānī, also entitled Dhayl tārīkh Baghdād. All three authors were Shāfi'ī traditionists and historians[93] This edition of Bundārī does not include Ibn al-Najjār's Dhayl tārīkh Baghdād, of which only two parts have survived.[94] Ibn al-Najjār,[95] a Shāfi'i and Baghdad historian, dealt to a large extent with biographies of prominent religious figures who were living in Baghdad during sixth and seventh/twelfth and thirteenth centuries Baghdad.[96]

---

92. Microfilm copy of Cambridge-Trinity College MS R. 13. 66. According to Makdisi, Leiden has another copy of the Mukhtār. See Ibn 'Aqīl, p. 34, n. 5. Hereafter, references to this work will be made as Mukhtār.
93. Bibliotieque National Arabe: 6152. To distinguish this manuscript from Khaṭīb's Tārīkh Baghdad, hereafter Bundāri's edition is referred to as Tārīkh Baghdad 2. Abū Ibrāhīm al-Bundārī, who was alive in 639/1241-42, also made an abridged edition of 'Imād al-Dīn's Nuṣra.
94. "Ibn al-Nadjdjar." drew on numerous sources, an extensive list of which is given by Makdisi, Ibn 'Aqīl, pp. 38-46.
95. Muḥibb al-Dīn Muḥammad b. Maḥmūd (578-643/1183-1245). He is the subject of study by C.E. Farah. "Ibn al-Najjār: a neglected Arabic historian," JAOS 84 (1964), pp. 220 30: also "Ibn al-Nadjdjār," E12, III, 896 - 97,
96. Ibn al-Najjār's work is now published by Bashshār 'Awwād of Baghdad.

the Ḥanbalīs can be taken to account for the lack of biographical notices on Ḥanbalī scholars but this problem cannot be dismissed on this consideration alone because Khaṭīb's failure to devote biographies to important contemporary figures surfaces in the instance of the Shāfi'ī Shīrāzī too.[90]

... Among the several continuations of the Tārīkh Baghdād is the Dhayl tārīkh Baghdād of the Shāfi'ī traditionist and historian Abū Sa'd Ibn al-Sam'ānī. Sam'ānī is also the author of three important works: the lost Tārīkh Marw, a local history of his own native town; the well-known Kitāb al-ansāb; and the Kitāb al-taḥbīr fī al-mu'jam al-kabīr.

Sam'ānī's original Dhayl tārīkh Baghdād is not extant. The philologist Muḥammad Ibn al-Mukarram al-Anṣārī (d.

---

al-Muẓaffar, editor of Khaṭīb's work the Taṭfīl (Najaf: al-Maktaba al-Ḥaydarīya, 1386/1966), asserts, without referring to his source, that Ibn al-Jawzī composed a work entitled al-Sahm al-muṣīb fī radd al-Khaṭīb, where Ibn al-Jawzī allegedly refuted Khaṭīb's accusation against Ibn Ḥanbal. Ibn Rajab merely mentions a book entitled al-Sahm al-muṣīb and this is probably the same work. See Taṭfīl, p., ?, Dhayl, ed. al-Fiqī (Cairo: al-Muḥammadīya 1372 1952-53) I 417.

90. Shīrāzī was a friend of Khaṭīb. See Subkī, Ṭabaqāt al-Shāfi'īya, IV, 35-36, 218.

91. Tāj al-Islām Abū Sa'd 'Abd al-Karīm b. Muḥammad b. Manṣūr al-Sam'ānī (505-562/1112-13-1166-67), a distinguished and recognized Shāfi'ī traditionist of Khurasan and a friend of the Syrian Shāfi'ī-Ash'arī Ibn 'Asākir. For details on his background see Ibn Khallikān, Wafayāt, II, 378-81; Subkī, Ṭabaqāt al-Shāfi'īya, VII, 180-185.

own renowned city.[85] Apparently, Khaṭīb's choice for the biographies was not determined by the date of his subject's death, as is shown by the entry for Qā'im, whose death happened three years after the death of Khaṭīb (d. 463/1070-71).[86] No tarjama preserved in the Tārīkh covers events which took place after 451/1059. But this does not explain the omission of biographies of certain distinguished scholars who are known to have reported ḥadīth and who were known to the author.[87] Khaṭīb, a Shāfi'ī-Ash'arī, was attacked on doctrinal grounds by the Shāfi'ī Dhahabī and on personal and doctrinal grounds by the Ḥanbalī Ibn al-Jawzī. Subkī resisted Dhahabī's charges against Khaṭīb on the grounds of Dhahabī's lack of familiarity with the doctrine of al-Ash'arī.[88] Ibn al-Jawzī (as narrated by Yāqūt) acknowledges Khaṭīb's status as muḥaddith, but attacks Khaṭīb out of hatred for theologians, including the Ash'arīs. The Ḥanbalīs accused Khaṭīb of having sympathy for the mubtadi'a, that is, heretics in general, and bitterly resented his conversion from Ḥanbalism to Shāfi'ism. According to the Ḥanbalīs, this led Khaṭīb to exclude Aḥmad Ibn Ḥanbal from the ranks of the fuqahā', placing him instead among the "masters of the traditionists" and slandering his Ḥanbalī followers. In addition, Ibn al-Jawzī claims that Khaṭīb took sides with the theologians and the Ash'arīs and thus negated his qualities as a traditionist because the aim of the science was to discredit kalām.[89] Khaṭīb's conflict with

85. Ibid., cf. Subkī, Ṭabaqāt al-Shāfi'iya, IV, 29.
86. Tārīkh Baghdād, IX, 399-404.
87. For reference to a leading Ḥanbalī who was exeluded by Khaṭīb see Makdisi, Ibn 'Aqīl, p. 33.
88. Ṭabaqāt al-Shāfi'īya, IV, 33.
89. Irshād, ed. Margoliouth (7 vols, London: Gibb Memorial 1923-3). I, 249-52. This view of Ibn al-Jawzī, of course, is contested by Subkī, Ṭabaqāt al-Shāfi'ī ya, IV, 32. K.

important contribution to the cultural life of Baghdad.[81] It has been critically examined by Makdisi and utilized extensively by Munīr al-Dīn Aḥmad for his dissertation on the "Muslim educational system" preceding the age of the madrasa.[82] But this work does not contribute to Niẓām al-Mulk or the madrasa because his author does not mention either one. It is not easy to account for Khaṭīb's failure to treat contemporary events. Khaṭīb's brief introduction to the Tārīkh does not spell out his method. He merely defines the text as a history of Baghdad designed to cover its construction and its 'ulamā' local celebrities, both native and foreign residents, in accordance with biographical structure based on private and acquired knowledge.[83] But Khaṭīb cites no date for the composition of the text or its completion. We do know, however, that in mid Ṣafar 451 he left Baghdad for Damascus and from there he supplemented the tarjama of the Caliph Qā'im which he had written in Baghdad.[84] But he did not make a public recitation of the Tārīkh until 462/1069-70 when he returned to his

81. Tārīkh Baghdād or madīnat al-salām (14 vols., Cairo: Maktabat al-khānchī and others, 1349/1931). It is said that al-Khaṭīb composed more than sixty works most of which were related to the science of ḥadīth, but it is the Tārīkh Baghdad which accounts for Khaṭīb's reputation as a historian. See Subkī, Ṭabaqāt al-Shāfi'īya, IV. 31, 33.

82. Ibn 'Aqīl, pp. 31-34; Muslim education and the scholars' social status up to the 5th century Muslim era (Zurich, Der Islam, 1968). For Aḥmad's reflection on the Tārīkh Baghdād see ibid., pp. 1-6.

83. Tārīkh Baghdād, I, 3 .

84. Ibid., IX, 403.

Regarding Baghdad, we have a good number of local histories and local biographical dictionaries.[79] These we shall survey from the standpoint of Niẓām a-Mulk's career as seen by each writer, and we shall examine the relationship between local histories of Baghdad and other histories examined thus far.

A contemporary source on fifth/eleventh century Baghdad is al-Khaṭib al-Baghdādī's[80] Tārīkh Baghdād, which is an

---

Niẓām al-Mulk. See Badā'i', p. 18. The same allegation is to be found in Muḥammad Ibn Ibrāhīm's Tārīkh-i Kirmān, ed. M.B. Pārīzī (Tehran: Chāp-khāna-i Bank-i Bāzargan-yi Irān, 1343/1964), pp. 24-25, which dates to eleventh/seventeenth century Kirman. This Ibn al-Habbārīya had a notorious reputation for changing positions toward his eulogists and Niẓām al-Mulk knew in person this poet's attitude. See 'Imād al-Dīn, Kharīda ('Iraq), ed. al-Atharī I, 72. Afẓal exaggerates the magnitude of Ibn al-'Alā' and the reference to the composition of Dīwāns is likely to mean qasīdas delivered by the four poets on the occasion of their visit to Ibn al-'Alā'. Muḥammad Ibn Ibrāhīm's Tārīkh was first published by M. Th. Houtsma, Recueil de textes Relatifs a l'Historie des Seljoucides (4 vols., Lugduni-Batavorum and Leiden: E.J Brill, 1886-902), I.

79. Basra, in spite of its reputation as a center of cultural florescence, furnishes us with no local history.

80. Abū Bakr Aḥmad b. 'Alī b. Thābit al-Khaṭīb al-Baghdādī (392-463/1002-1071), a famous Shāfi'ī master of ḥadīth and historian. For his background and works see Makdisi, Ibn 'Aqīl, (Damas: catholique, 1963) pp. 31-33.

bulk of the material contained in the Maḥāsin was retained, Ibn Abī al-Riẓā, by omitting key data, rendered it historically insignificant. A concrete example is his omission from the charter on the Isfahan Niẓāmīya of the phrase fuqahā' al-Shāfi'īya to whom, according to Māfarrūkhī, Niẓām al-Mulk dedicated the Niẓāmiya.[76]

The region of Kirman arises in this survey of local sources because of its autonomous Saljuq line. Its founder, Qāwurt, 'disputed with Alp-Arslān and Malik-Shāh over his right to claim the main sultanate and later on was killed by orders from Niẓām al-Mulk and Malik-Shāh.[77] But despite the political implication, the Kirman school of historiography did not leave any material worth analyzing.[78]

---

76. Maḥāsin, p. 104; cf. Tarjama-i Maḥāsin, p. 142. Ibn Abī al-Riẓā did add new, but irrelevant, information.
77. Qāwurt's Saljuq line managed to retain, to a certain degree, their territorial integrity until the disruption of a new invasion.
78. Afẓal al-Dīn Abū Ḥāmid Aḥmad-i Kirmānī, a munshī and boon - companion of Sultan Arslān-Shāh II (d. 572/1176-77) composed Tārīkh-i Afẓal or Badāi' al-azmān fī waqā'i' Kirmān, ed. M. Bayānī (Tehran: Chāp-khāna-i Dānish-gāh, 1326). In the reference known to us, Afẓal chose to disparage Niẓām al-Mulk by comparing him with Tūrān-Shāh's vizier, Mukarram Ibn al-'Alā', a late contemporary of Niẓām al-Mulk. For the sake of stressing the virtue of Ibn al-'Alā', Afẓal says that books and Dīwāns that were composed on his behalf (he names four poets) testify to his noble character and generosity. Here Afẓal cites a verse from a qaṣīda composed by 'Abbāsī, that is, Ibn al-Habbārīya, about Ibn al-'Alā''s generosity, the aim of which, he asserts, was to discredit

'Abd al-Ghafir.[70] Mafarrukhi's passage on Nizam al-Mulk focuses on his contribution to Isfahan and his sound rule, noting his reorganization of local fiscal policy and his allocation of stipends, subsidies and estates to knowledge-seekers. Here Mafarrukhi says that not a single knowledge seeker (talib'ilm) failed to receive his share.[72] But this claim is an obvious exaggeration prompted by loyalty to Nizam al-Mulk's son Fakhr al-Mulk.[72] Prior to the Saljuqs, Isfahan was a Buwayhi center ruled by the iine of of Fakhr al-Dawla. Although the Saljuqs, as shown by the exampleof Mafarrukhi and others, won the loyalty of Buwayhi secretaries, this process was iimited, and it was Nizam al-Mulk who labelled them as heretics.[73] It is not clear whether Mafarrukhi's writing was influenced by religious considerations. In the one instance, he notes that his madhhab affilitation, which is not identified, had no bearing on what he wrote.[74] This probably is not true of Mafarrukhi's political loyalty.

In 729/1328-29, a certain native of Awa, Ibn Abi al-Riza Husayn al-'Alawi, translated Mafarrukhi's Mahasin into Persian giving it the title Tarjama-i Mahasin Isfahan.[75] The

---

70. Siyasat-nama, ed. Darke (Tehran: Bank-i Melli, 1962) p. 122; Siyaq, fols. 16a-b.

71. Mahasin, pp. 103-05.
72. Ibid., p. 103. Notice that he calls Nizam al-Mulk "mawlana" without complete citation.
73. Siyasat-nama, p. 203.
74. Mahasin, p. 28.

75. ...**Ed. A. Iqbal (Tehran: Siham-yi Chap, 1328). It was** first made known by Browne through his articles "Account of a rare manuscript History of Isfahan, "JRAS (1901), pp. 411-46, 661-89.

Māfarrūkhī does not say when he composed the Maḥāsin, although his accounts of Alp-Arslān, Niẓām al-Mulk and Malik-Shāh indicate that he completed it sometime during Malik-Shāh's sultanate.[66] Nor does Māfarrūkhī reveal his relationship to Fakhr al-Mulk, who emerges from the Maḥāsin as its dominant figure in fifth/eleventh century Isfahan.[67] However, the passage on Fakhr al-Mulk, indicates that he was Māfarrūkhī's patron and that he employed him as a secretary when he, Fakhr al-Mulk, served as vizier of Isfahan. Despite its literary purpose, the Maḥāsin does contain valuable information on the character of three contemporary Saljuq sultans and Niẓām al-Mulk. In this respect Māfarrukhī's remarks, which are based on his own observations and on information provided by relatives and "reliable informants" (thūqāt), are accurate since they can be corroborated from contemporary sources.[68] For instance, Māfarrūkhī notes on Alp--Arslān's tendency to inflict the death penalty and other punishment upon offenders and says that he applied such measures against local officials, when the people of Isfahan complained about their fiscal policy.[69] Alp-Arslān's coercive character is noted in other contexts by Niẓām al-Mulk and

---

66. Ibid., pp. 101-105.

67. Ibid., pp. 62-63, 67, 69, 79-80, 105-06, 109-23. Most of these references involve poetry. Māfarrūkhī describes himself as the khādim of Fakhr al-Dawla and refers to Fakhr as mawlānā walī al-ni'am: "our master, the benefactor." See ibid., pp. 2, 114.

68. Maḥāsin, pp. 3, 12, 27, 45, 46, 90-91, 99, 100. Māfarrūkhī's benefit from preceding local history of Isfahan is marginal. See ibid, pp. 4-5, 7, 16, 27, 92.

69. Mahāsin, p. 102.

reporters, but Abū Nu'aym's coverage stopswith the wafayāt of 419/1028.[63]

Māfarrūkhī wrote during Malik-Shāh's sultanate his Kitāb maḥāsin Iṣfahān, perhaps for Fakhr al-Mulk, Niẓām al-Mulk's eldest son, so that it might be used as a treatise (risāla) on the virtues of Isfahan.[64] Accordingly there is no attention to dates and reports inherent in historical texts.[65] For instance,

---

63. Ed. S. Dedering (2 vols, Ieiden: E.J. Brill, 1931-34) Abū Nu'aym is also the author of Ḥulyat al-awliyā wa ṭabaqāt al-aṣfiyā' (10 vols, Cairo: Maktabat al-Khanchi and Maṭba'at al-Sa'āda, 1351-57/1923-38). This biographical dictionary of Ṣūfī shaykhs was abridged by Ibn al-Jawzī under the title Ṣifat al-ṣafwa (1st ed. 4 vols., Hyderabad: Dā'irat al-Ma'ārif al-'Uthmāniya, 1355-56/1936-37). For a biography of Abū Nu'aym see Subkī, Tabaqāt al-Shāfi'īya, IV, 18 - 25.

64. (Tehran: Maṭba'at Majlis, 132131933), along with Risālat al-irshād fī aḥwāl al-Sāhib al-Kāfī Ismā'īl Ibn 'Abbād by Abū al-Qāsim Aḥmad al-Iṣfahānī. Al-Mufaḍḍal b. Sa'd b. al-Ḥusayn al-Māfarrūkhī, a descendant of Māfarrūkh Ibn Bakht - yār, his grandfather on the father's side. One of his masters(s.g., shaykh) was Abū al-Faḍl Sa'd Ibn al-Ḥusayn, but Māfarrūkh does not say whether this Sa'd was his own father. Members of this family served as secretaries under the Buwayhids and one of them was elim'nated by the vizier Ibn 'Abbād. See Maḥāsin pp. 14, 20, 25-27, 33, 62, 92, 99. In order to know more about members of this family, we need to wait until we have a complete edition of 'Imād al-Dīn's Kharidat al-qaṣr.

65. Mahāsin, pp. 3, 107. For a few exceptions see ibid., pp. 84, 107.

faẓā'iḥ al-Rawāfiẓ,[60] 'Abd al-Jalīl Qazwīnī wrote the Naqẓ from the standpoint of a Rāfiẓi (i.e., Shi'ī-Imāmī) and designed it as a source for defending followers of that madhhab from the accusation put forward by an unknown mujabbir (Sunnī) convert from Shi'ism that the Rāfiẓīs were the backbone of the Bāṭinī (mulḥidān) movement[61] This Naqẓ casts new light on Niẓām al-Mulk's attitude toward the local Shi'ī community of Rayy and the content of the Naqẓ has been studied in detail by J. Calmard.[62]

Isfahan served as a central capital for Sultans Alp-Arslān and Malik-Shāh, and it was from here that Niẓām al-Mulk had conducted the affairs of the 'Abbāsī caliphate. Historiographically it was linked to the Baghdādī school of literature. In spite of its political importance, Isfahan failed to produce its own local sources like those of Nishapur or Baghdad. What is left for us are works by two Iṣfahānīs, Abu Nu'aym and Maffarrūkhī, dating to the beginning and the heyday of the Great Saljuqs.

Abu Nu'aym (d. 430/1038-39), a famous Shāfi'ī Ṣūfī, composed a local history entitled Kitāb dhikr akhbār Iṣbahān, which contains biographical notices on those 'ulamā' whose prime interests were the science of ḥadīth, as transmitters and

---

60. Ed. Muḥaddiṣ Tehran : Chāp-khāna-'i Sipihr, 1371/1951), with a separate introduction unseen as yet by us. Naṣīr al-Dīn Abū al-Rashīd 'Abd al-Jalīl b. Abī al-Ḥusayn al-Qazwīnī al-Rāzī composed the Naqẓ around 560/1164/-65.

61. Naqẓ, pp. 1, 4, 10—11, 84—102.

62. "Le Chisme Imamite en Iran a l'epoque Seldjoukide d'apres le kitab al-Naqḍ," Le Monde Iranien et l'Islam (Genève and Paris: Librairie Droz, 1971), pp. 46-66.

suppress it, but eventually fell victim to Bū Ṭahir-i Arrānī.[57] It is evident from differences in terminology that the references to Ḥasan's movement were not written by the author of the passage on Fakhr al-Islām, i.e, Ibn Isfandiyār.[58] Though Ibn Isfandiyār is not sympathetic to Ḥasan or his movement, there is not enough evidence to generalize about his attitude toward Niẓām al-Mulk and we should suspend judgement until further information comes to light.[59]

We do not have a local history for Rayy, an important Shīʿī Muʿtazilī center. What we do have is a heresiographical work by a sixth/twelfth century native ʿAbd al-Jalīl Qazwīnī entitled Kitabal-naqẓ or Baʿẓ maṣālib al-Nawāṣib fīnaqẓ baʿẓ

57. Ibid., II, 28-29.

58. Iqbal, as already stated by Qazwīnī, has reason to believe that the passage belongs to Juwaynī's Tārīkh-i Jahān gushā and was added by unknown hands to substitute for Ibn Isfandiyār's lost passage. See ibid., II, 27, n 3. Part 2 contains a good number of such passages extracted from accessible sources. See ibid., II, 2, n.1.

59. Other features of the text are: (1) lack of consistent references to dates and (2) lack of direct quotations from his sources, giving room for his own comments. Nor does he hesitate to leave out accounts when he thinks that they are useless. See ibid., I, 83, 85, II, 58, 61. Another native, Ẓahīr al-Dīn Marʿashī (d. after 894/1489) added to Ibn Isfandiyār's Tārīkh a local history entitled Tārīkh-i Ṭabaristān wa Rūyān wa Māzandarān, ed. ʿA. Shāyān (Tehran: Chāp-khāna-i Firdawsi, 1333/1955). Another edition is by M.H. Tasbīḥī (Tehran: Chāp-khāna-i Khurramī, 1345/1966). But this source contributes nothing to our knowledge of the Saljuqs.

Great Saljuqs were lost and were replaced by new accounts.[53] The surviving accounts are not altogether Ibn Isfandiyār's own. One example is his passage on a Rūyānī native Fakhr al-Islām Abū al-Maḥāsin 'Abd al-Wāḥid (d. 502/1108), for whom Niẓām al-Mulk founded a madrasa in Āmul and who was later assassinated.[54] Here Ibn Isfandiyār describes Fakhr al-Islām as a martyr Shāfi'ī imām and attributes the killing to the malāḥida, i.e., the Bāṭinīs, who were reacting to a fatwa which he issued making permissible the capture of the children of the malāḥida. Ibn Isfandiyār adds that he had seen the scene of the killing and the knife causing it.[55] But the passage on Niẓām al-Mulk's endeavour to wipe out the newly born movement of Ḥasan al-Ṣabbāḥ is not Ibn Isfandiyār's own narration.[56] This passage is favorable to Niẓām al-Mulk and hostile to Ḥasan. Hasan's followers are referred to as bāṭiniyān and Alamūt, the stronghold of Ḥasan's fedayeen, as qā'ida-'i fidā'iyān. Ibn Isfandiyār contends that Niẓām al-Mulk, by his sharp sightedness and vigorous endeavour, saw the danger inherent in Ḥasan's movement and took military measures to

53. See the remarks by Iqbal in ibid., I, ج . It should be pointed out that the Bawandī Ḥusām al-Dawla Sharayār Ibn Qārin (466/1073-74) was a contemporary of Malik-Shāh. Niẓām al-Mulk's son-in-law Abū Muslim was ra'īs of Rayy, whereas the localities which were to be controlled by Ḥasan al-Ṣabbāḥ were held by Sharaf-Shāh al-Ja'farī. See Ibn al-Athīr, Kāmil, (Cairo: al-Munīriya, 1348/1929 - 39) VII ٢٥١.
54. Tārīkh-i Ṭabaristān, I, 123.
55. Ibid., I, 123. Abū Sa'd Ibn al-Sam'ānī also held the malāḥida responsible for the act. See Ibn Khallikan, Wafayāt, II, 370.
56. Tārīkh-i Ṭabaristān, II, 28-29, cf. ibid., II, 32.

and Iqbal noted that unknown hands added new material to the text and carried the narration to a date untouched by Ibn Isfandiyār.[48]

It is not easy to reconstruct through Ibn Isfandiyār the nature of Yazdādī's[49] lost work the 'Uqad. Ibn Isfandiyār's actual references to the 'Uqad are limited to a few instances[50] And these instances allow us to say that the 'Uqad has relavance for events which took place prior to the Saljuqs and was composed during the reign of Qābūs Ibn Washmgīr. Ibn Isfandiyār also utilized familiar Saljuq sources, namely, Bākharzī's Dumya and Niẓām al-Mulk's Siyāsat-nāma but his reliance on them is rare.[51] These sources, and others, which we have not mentioned, do not account for Ibn Isfandiyār's information on the Saljuqs, especially on Niẓām al-Mulk about whom he had very little to say, despite the advantage which he enjoys as an inhabitant of Āmul with access to local traditions.[52] This may be because the portions relating to the

48. Literary, II, 480, Tārīkh-i Ṭabaristān, I,
49. Abū al-Ḥassan 'Alī b. Muḥammad al-Yazdādī, a native of Tabaristan on whom we have a single reference by Ibn Isfandiyār which states that Yazdādī's works are so well-known that they need not to be cited. See ibid., I, 125.
50. Ibid., I, 77, 79, 80-81, 83, 142-46. Other suspected passages are to be found in ibid., I, 199-200 212-19, 238-44. But do not confuse references which say : "I heard" with Yazdādis. Such references are meant to refer to the author, See ibid., I, 47, 48, 51, 55, 101, 108' 251.
51. See ibid., 125, 128-29, 137; for reference to the Siyāsat-nāma see ibid., I, 141, 147.
52. This includes a group of sources composed by local natives, references to poets and literary and historical sources. See ibid., I, 60, 82, 85, 94, 98, 101, 139 142 192 198, 225, 245, II, 86, 93.

history of the local dynasties which ruled over Tabaristan and its districts from ancient times to the reign of Ibn Isfandiār's patron, Ḥusām al-Dawla Ardashīr Ibn Ḥasan (567-601/1171-72-1204-05), a distinguished ruler of the Bawand house of Tabaristan, and Ḥusām's "successors." In this work he discusses the merits of Tabaristan and its local celebrities and shows the relationship of local principalities to neighboring dynasties. In 606/1209 - 10, Ibn Isfandiyār completed his first draft of the Tārīkh, which included a translation of a lost Arabic work by Abū al-Ḥasan al-Yazdādī entitled 'Uqad (al-) siḥr wa qalā'id (al-) durar, plus Ibn Isfandiyār's notes on the virtues of Ardashīr and his "predecessors and successors."[45] Five years later, he added his own Persian edition of Ibn al-Muqaffa''s Arabic translation of the epistle of Tansar.[46] It is not certain, however, in which year Ibn Isfandiyār finished his work, and we have no complete and faithful copy of the original source.[47] Browne

---

(Leiden and London: Gibb Memorial, 1905); XI-XII. These references were reproduced by E. Yar-Shater, "Ibn-i Isfandiyār," EI 2, III, 810.

44. Ed. 'A. Iqbal (2 parts in 1 vol., Tehran: Chāp-khana-'i Majlis, n. d.)

45. Tārīkh-i Tabaristān, I, 4, 5 (lines 7-9).

46. Ibid., I, 7.

47. In the introduction, Ibn Isfandiyār states that his history covers the successors (akhlāf) of Ardashīr too. He also dates his time to 613/1216 - 17, but we also know that the second Bawand dynasty ended in 606/1209-10 with the murder of Ardashīr's son Rustam. Iqbal takes 606 as the year in which Ibn Isfandiyār concluded his narration of the Tārīkh and 613 as a date for its compostion. See ibid., I, ط, 1, 5, 7, 82.

affairs in Harat.

The province of Tabaristan is important because it served as a base for Ḥasan al-Ṣabbāḥ, who led from Alamut an anti-Saljuq movement which toward the end of Niẓām al-Mulk's vizierate disrupted Saljud political stability. But for a variety of reasons, the sources covering Tabaristan shed no light on this important issue. This is true, for example, of Ibn Isfandiyār's Tārīkh-i Ṭabaristān.

Abū al-Qāsim Ḥamza al-Sahmī (d. 427-28/1036-37), a Shāfi'ī traditionist, composed a local biographical history on the 'ulamā' of jurjan, a district of Tabaristan with the title Tarīkh jurjān or Kitāb ma'rifat 'ulamā' ahl Jurjān.[41] But this Tārīkh ends with the entry of the Saljuqs, and it is not known whether any Jurjānī wrote a dhayl to Ḥamza's Tārīkh.[42]

Ibn Isfandiyār[43] designed the Tārīkh-i Ṭabaristān[44] as a

---

40. Such as a delegation of Harawī 'ulamā' headed by Ṣā'id Ibn Sayyār, who, for unknown reasons, paid Alp-Arslān a special visit in 464/1071-72, see Ṣarīfīnī, Muntakhab, fol. 40b.
41. Ed. A.R. al-Yamānī (1st. ed. Hyderabad: Dā'irat al-Ma'ārif al-'Uthmāniya, 1369/1950). The title may have been designed by the editor. For information on this text and its author Ḥamza see the editor's introduction to Tārīkh Jurjan, pp.
42. Ibid., p. 4.
43. Bahā' al-Dīn Muḥammad b. Ḥasan b. Isfandiyār whose years of birth and death are not known. For detail on Ibn Isfandiyār and his Tārīkh see Browne, Literary (cambridge : University press, 1951 - 53) II, 479-80; also Browne, An Abridged Translation of the History of Tabaristan by Muḥammad b. al-Hasan b. Isfandiyār

composed his local history in 897/1422 and who utilized Fāmī to an unknown extent.[37] With the exception of the notice in Dhahabī, these surviving accounts from the lost Tārīkh do not concern Niẓām al-Mulk's relationship to Harat. They merely show that Fāmī wrote the history to cover religious and political figures of Harat beginning with a date prior to the Ṭāhirids and brought it up his own generation. In so doing, he may have followed Ḥākim or 'Abd al-Ghāfir. Fāmī is regarded as a reliable transmitter by Dhahabī and Subkī, two Shāfi'ī but rival historians because of Subkī's support of Ash'arism and by Ibn al-Sam'ānī.[38] Nevertheless, the Tārīkh Harāt has been stigmatized by Dhahabī as "a little history" (Tārīkh ṣaghīr) and Subkī does not dispute his teacher's remark.[39] In this context, it is not possible to verify incomplete reports which have come down to us through other local sources on Saljuq

37. Rawẓāt al-jannāt fī awṣāf madīnat Harāt, ed. M.K. Imān (2 vols., Tehran : Chāp - khāna-'i Dānish-gāh, 1338/1919-20), I, 42, 252. Isfizārī probably had direct access to Fāmī and utilized for his section on the Saljuqs also Ḥamd Allāh's 'Ajā'ib al-makhlūqāt and other un-specified works. But the information he cities is not original.

38. Tadhkirat al-ḥuffāẓ, IV, 1309; Ṭabaqāt al-Shāfi'īya, VII, 150.

39. See reference in n. 38. In addition to Fāmī and Isfizārī, Sayf b. Muḥammad b. Ya'qūb composed on behalf of his patron Ghiyāth al-Dīn Kurt a local history entitled Tārīkh nāma-i Harāt, ed. M.Z. Ṣiddīqī (Calcutta : Baptist Mission Press, 1326/1944) But this work deals with seventh and the first quarter of the eighth centuries Harat. For detail see Ṣiddīqī's notes, ibid., pp. 9, 11, 15.

wed Shāfi'īrite.[32] there is hardly any mention of Shāfi'ī-Ḥanafī squabbles. [33]

Harat, in the person of the Ḥanbalī Anṣārī, was second to Baghdad in mounting Ḥanbalī opposition to Niẓām al-Mulk's followers, the Shāfi'ī-Ash'arīs, and was the site for a Niẓāmīya madrasa. Although native Harawīs composed local works on Harat, the surviving histories of this city do not cast light on the nature of the opposition or of the madrasa. This gap may be bridged somewhat by depending on Shāfi'ī and Ḥanbalī books of ṭabaqāt Subkī, for example, cites a lost contemporary Arabic work, the Tārīkh Harāt, composed by the Shāfi'ī traditionist Abū Naṣr al-Fāmī.[34] Subkī quotes from this local history in the biographies of three prominent figures who had connection with the city, namely, Abū al-Faḍl al-Jārūdī (d. 413/1022-23), Sultan Maḥmūd (d. 421-22/1030-31), and the judge Abu 'Āmir al-Azdī (d. 487/1094). [35] So does Dhahabī in his notice on Anṣārī.[36] We do not receive much help from Mu'īn al-Dīn Isfizārī, a Harawī historian of the Timūrid period who

---

32. Ibid., p. 180.
33. However, see Tārīkh-i Bayhaq, pp. 467 - 68, for a rare report. For a different assessment of Ibn Funduq's Tārīkh see D.M. Dunlop, "al-Bayhaqī, Ẓahīr al-Dīn," EI 2, I, 1131 - 32, who asserts that the Tārīkh-i Bayhaq has hardly any original material.
34. Thiqat al-Dīn Abū Naṣr (Naḍr) 'Abd al-Raḥmān b. 'Abd al-Jabbār al-Harawī al-Fāmī (472 - 546/1079 - 80 - 1151-52), the traditionist of Harat. For details on his background see Dhahabī, Tadhkirat al-ḥuffāẓ, (Hyderabad: al-'Uthmānīya, 1375 - 77/1955 - 58) IV, 1309 ; Subkī Ṭabaqāt al-Shāfi'īya, VII, 150 - 51.
35. Ibid., IV, 116, V, 319 - 20, 324, 328.
36. Tadhkirat al-ḥuffāẓ, III, 1184.

al-Mulk's father and grandfathers, which reflects favorably on the vizier's character and conduct.[27]

In addition to family traditions, Ibn Funduq drew for the composition of the Tārīkh-i Bayhaq on a good number of contemproray Arabic sources, largely on Khuwārī's incomplete work on Bayhaq and Bākharzī's Dumya and 'Abd al-Ghāfir's Siyāq, both of which are accessible to us.[82] Of the lost sources, Ibn Funduq knew Abū 'Āmir al-Jurjānī's Qalā'id al-sharaf, a work containing poets' tributes to Niẓām al-Mulk, Ḥākim's Tārīkh Nīsābūr and Abū Ḥafṣ 'Umar al-Muṭṭawwi 'ī's al-Mudhhab fī a'immat al-madhhab.[29] What we can gain from these three sources is limited to a few extracts from Abū Ḥafṣ' Mudhhab on the nature of the local madrasa. Reference in general texts to the Mudhhab is very rare, a source designed to cover Shāfi'ī 'ulamā' who were overlooked by earlier authors. Subkī also knew the Mudhhab, but his references to it are also rare. At any rate, these sources did not decisively influence Ibn Funduq's Tārīkh - i Bayhaq since his intention was to depend on his private notes. At times, Ibn Funduq cites letters and documents, even though he warns that the Tārīkh-i Bayhaq is not designed to include letters.[31] It should be noted that Ibn Funduq's writing was not influenced by madhhab considerations. Though it is known that his grandfather follo-

27. Ibid., pp. 125, 161 358, 435 - 36.
28. For reference to the Dumya see ibid , pp. 235, 308, 340, 345, 365, 383 - 86, 395; for the Siyāq see ibid., p. 184.
29. For reference to Qalā'id see ibid., p. 395; Ḥakim's work see, as an example, ibid., p. 262; for the Mudhhab see ibid., pp. 274, 297 - 98.
30. As indicated by the meaning of the title.
31. Tārīkh-i Bayhaq, pp. 176 - 77, 197 - 98, 298, 315, 337 - 38.

shed it in 563/1167-68, more than thirty years after the completion of his lost Mashārib al-tajārib and the Wishāḥ al-dumya, a sequel to Bākharzī's Dumyat al-qaṣr.[22] In this text, Ibn Funduq dealt with distinguished Bayhaqī houses (Khāna dān) and traced the pedigrees of their ancestors, both those who were born in and migrated to Bayhaq from its surrounding districts. within each family, Ibn Funduq singled out distinguished members, especially the Bayhaqīs of his own generation, naming their positions and marriage ties.[23] In this respect the Tārīkh-i Bayhaq could be characterized as a semi-biographical work of local but prominent Bayhaqī families paying little attention to the ḥadīth activities covered by ṭabaqāt works.[24]

But the Tārīkh - i Bayhaq contains little information even though Ibn Funduq claims that his history of Bayhaq is more comprehensive than the history composed on Nishapur.[25]

This Tārīkh-i Bayhaq includes a section on the house of Niẓām al-Mulk Ḥasan, his father Abū al-Ḥasan 'Ali and the pedigrees of their descendants.[26] Nevertheless, Ibn Funduq records very little about Niẓām al-Mulk's contribution to Bayhaq, except for his order to restore the walls of Bayhaq and his patronage of the imāms and few Bayhaq chiefs. Otherwise Ibn Funduq was content to record information on Niẓām

22. Tārīkh-i Bayhaq, p. 512.
23. Ibn Funduq's account of a given family is also replete with Arabic and Persian poems.
24. It is not clear who originated this historical genre, which appears not to have been followed by contemporary historians.
25. See above n. 21, Ibn Funduq probably means Ḥākim's Tārīkh Nīsābūr.
26. Tārīkh-i Bayhaq, pp. 91, 125-42, 161, 193, 358, 375, 435-36.

in the **madhhad** between the Shāfi'īs and the Ḥanafīs (al-farīqayn).[19] (2) the **madrasa**: the origin and character of the Shāfi'ī and Ḥanafī madrasas and the structure of the Niẓāmīya of Niẓām al-Mulk .

The **Siyaq** has been utilized by many authors, notably by the Shāfi'ī-Ash'arīs Ibn 'Asākir (who maintained a personal correspondence with 'Abd al-Ghāfir), Subkī, Sam'ānī and the Ḥanafī Ibn Abī al-Wafā'.[20]

Throughout Niẓāmal-Mulk's vizierates, Bayhaq, a city tied politically to the provincial capital of Nishapur, generated no opposition to Niẓām al-Mulk's religious policy. Accordingly, the surviving local literature on Bayhaq casts Niẓām al-Mulk's house in a favorable light. Of the two works known to have been composed on Bayhaq, only Ibn Funduq al-Bayhaqī's Tārīkh-i Bayhaq has survived. The contemporary 'Alī Ibn Abī-Ṣāliḥ al Khuwārī, a Bayhaqī **imam**, preceded Ibn Funduq in composing in Arabic a history of Bayhaq, but his death, which occurred some time after 517/1123 - 24 prevented 'Alī from completing the text.[21]

Ibn Funduq wrote the **Tārīkh-i Bayhaq** in Persian and fini-

---

19. Siyāq, fol. 15b (line 10).
20. See respectively Tabyīn, (Dimashq: al-Tawfīq, 1347) pp. 257-58 Ṭabaqāt al-Shāfi'īya, V, 305-06; for Sam'ānī see Muḥammad al-Anṣārī, Mukhtār dhayl Baghdad, fols. 177a-78a Jawāhir (2 vols Hyderabad: al-'Uthmānīya, 1332/1914) I, 105-06. for complete reference to the Mukhtār see below, p. 35, n. 92.
21. Tārīkh-i Bayhaq, ed. Q. Husaini (Hyderabad: Da'irat al-Ma'ārifal-'Uthmānīya, 1968), p. 33; also ibid., ed. A. Bahmanyar (2nd ed , Tehran: Chāp-Khāna-i Islamīya, n. d.), p. 21. Hereafter, references will be made to Husaini's edition.

which depends on nature of the offense. It would be helpful in this context to have the view of 'Abd al-Ghāfir on Niẓām al-Mulk, who although he falls within 'Abd al-Ghāfir's original plan for the selection of his biographical notices, is not included in the surviving **Siyāq.**[15] We do have notices on Kundurī and Shihāb al-Islām 'Abd al-Razzāq, the son of Niẓām al-Mulk's brother, the faqīh Abū al-Qāsim 'Abd Allāh.[16] A short and insignificant biography of Niẓām al-Mulk appears in Ṣarīfīnī's Muntakhab, whose section on "al-Ḥasan" corresponds otherwise to this section of the **Siyāq.**[17] The notice in the **Muntakhab** is confined to Niẓām al-Mulk's participation in the transmission of **hadīth.** Whatever the reason for the omission of a biography in the **Siyāq** may have been, 'Abd al-Ghāfir did include information on Niẓām al-Mulk in passages throughout the Siyāq which cast the vizier in a favorable light.[18]

We can specify two areas where the information of the Siyāq is indispensable: (1) Niẓām al-Mulk's policy toward Shāfi'īs and Ḥanafīs. In this respect, some of 'Abd al-Ghāfir's key terms are useful such as the issue of intolerance **(ta'aṣṣub)**

---

14. For illustration see his biographical notices on the Shāfi'īs Abū Ḥāmid al-Ghazālī and Abū al-Ḥasan Aḥmad al-Shujā'ī, where he remarked on the nature of their offenses. Compare them with his notices on the Ḥanbalī Anṣārī and the Ḥanafī Abu Naṣr Aḥmad Ibn Ṣā'id, Siyāq, fol. 33b; Ṣarīfīnī, Muntakhab, fols. 26a-b, 33a-b; 34a.
15. See Siyāq, fols. 6b-8a. The text does contain entries in the ṭabaqa of "al-Ḥasan", Niẓām al-Mulk's first name.
16. Ibid., fols. 88a-b; Ṣarīfīnī, Muntakhab, fol. 104a.
17. Ibid., fol. 54b; cf. Siyāq, fols. 6b-8a.
18. See ibid., fols. 48b, 49a, 68b; Ṣarīfīnī, Muntakhab, fols. 15a, 33a-b.

juqs. The same holds true when we use Ṣarīfīnī as a replacement for the lost part of the **Siyāq**, as for example, the notice on Niẓām al-Mulk. Moreover, in dealing with sensitive religious events, ʿAbd al-Ghāfir had the tendency to withhold valuable information from his readers. Although he was a devoted Shāfiʿī, he wanted to avoid quarrels with Shāfiʿī-Ashʿarīs, and believed that the informationhe was withholding was dispensible.[12] This being said, ʿAbd al-Ghāfir probably is one of the most reliable Shāfiʿī historians. Despite his family ties with the Qushayrīs, a strong but committed Ashʿarī family, ʿAbd al-Ghāfir is free from the Ashʿarī-Ḥanbalī bias inherent in Ibn ʿAsākir, Ibn al- Jawzī and Subkī.[13]

ʿAbd al-Ghāfir's biographies contain information based on the merits of the deceased and their religio-cultural achievements, directing when nencessary, criticism against Shāfiʿīs and non-Shāfiʿis, the level of

10. Taqīy al-Dīn Abū Isḥāq Ibrāhīm b. Muḥammad al-Ṣarīfīnī (581-2-641/1185-6-1243-4), a Ḥanbalī traditionist born in Ṣarīfīn, a village north of Baghdad, but spent most of his life in Manbuj and Ḥalab where he was put in charge of dār al-ḥadīth. He also travelled widely in Khurasan. Ibn Rajab devotes a notice to Ṣarīfīnī, indicating Ḥanbalī affiliation. Ṣarīfīnī also epitomized ʿAbd al-Ghafir's Siyāq, but this fact is not noted by his biographers and Frye is completely silent about it. For further information on Ṣarīfīnī see Dhayl, II, 227-30; Muntakhab, fol. 1b; The Histories of Nishapur (the introduction), 10, 16; als Ibn al-ʿImād, Shadharāt. (Cairo: al-Qudsī, 1931 - 32) V, 209 - 10.

11. Muntakhab, foll 54b.

12. See Siyāq, fol. 87a.

13. Each wrote from the standpoint of his own madhhab.

'ulamā' who lived between 330/941 - 42 and the turn of the fifth/eleventh century. Here 'Abd al-Ghāfir utilized the accounts of Ḥākim's **Tārīkh Nīsābūr**, which he supplemented with his own notes. The second and the third are related to the generation of 'Abd al-Ghafir's masters and his own, beginning with the first decade of the fifth/eleventh century Nishapur down to the **wafayt** of 518/1124, the year in which he completed the **Siyāq**.[9] It is there that 'Abd al-Ghāfir relied heavily upon his own experiences, drawing also on the notes of Abū Ṣāliḥ's. Of these three ṭabaqāt, Niẓām al-Mulk belonged to the third **ṭabaqa.**

'Abd al-Ghafir's selection of data for the composition of the **Siyāq** was heavily influenced by his back-ground as **ḥadīth** disciple. This is also reflected in his reliance on the notes of Abū Ṣāliḥ, and Ḥākim, both leading **ḥadīth** masters. Although 'Abd al-Ghāfir did utilize Bākharzī's Dumya and Abū Naṣr al-'Utbī's **Tārīkh al-Yamīnī**, his dependence on these two works is marginal. Since 'Abd al-Ghāfir as a biographer was interested primarily in his subjects' hearing and narration of **ḥadīth**, a sizable portion of his information is useless for historians interested in Nishapur's political history under the Great Sal-

9. Cf. **ibid.**, fol. 14[5]b, who says that 'Abd al-Ghāfir completed the Siyāq toward the end of Dhū al-Qa'da 510/1117 but this date cited by Ṣarīfīnī is an error. H. Ritter noticed th error in the instance involving the wafāt of Ḥasan Ibn Muḥammad al-Ṣābūnī; see "Arabische Handschriften in Anatolien und Istanbul," Oriens, III (1950), 75 — 76. 'Abd al-Ghāfir completed the **Siyāq** some time in Ṣafar 518/March 1124, as is shown by the wafāt of al-Abīwardī (d. 6 Ṣafar 518). Ibn Khallikān, who consulted the Siyāq, was aware of this date, but instead of Ṣafar, he gives Dhū al-Qa'da 518 as the date for its completion. See Siyāq fols, 75b-76; Wafayāt, (Cairo : Maktabat al-Nahḍa, 1949) II, 392.

ing the **Siyāq,** which he designed as a **dhayl** (i.e. **Siyāq)** to the Tārīkh Nīsābūr. But the value of the Siyāq. as compared with the lost Tārīkh, is considerable. Though the first part of the original **Siyāq** has been lost, a complete epitome of the **Siyāq,** entitied al-Muntakhab min siyāq tārīkh Nīsābūr, was made by Ibrāhīm al-Ṣarīfīnī, who preserved a brief summary of the biographies contained in the original **Siyāq.**

ʿAbd al-Ghāfir depended on his private notes and observations for the composition of the **Siyāq,** but for major part he also benefitted from the notes and collections (**musawadat wa majmūʿāt)** of the Shāfiʿī traditionist Abū Ṣāliḥ, a close friend of ʿAbd al-Ghafir's family, the Fārisīs.[7] ʿAbd al-Ghāfir also had access to Ḥākim's **Tārīkh Nīsābūr.**[8] ʿAbd al-Ghafir arranged his biographical notices in alphabetical order which consist of three **ṭabaqāt** (generations). The biographices are of the **ʿulamā'** who were born and lived in Nishapur, as well as those **ʿulamā'** who, though not originally from Nishapur, either resided in or visited this cultural center. He also devoted notices to local notables and functionaries who served as Saljuq officials. The first **ṭabaqa** deals with the generation of Ḥākim, covering those

---

(d. 465/1072 -73) and devoted Shāfiʿī traditionist. For biographical accounts of ʿAbd al-Ghāfir see Subkī, Ṭabaqāt ... **al-Shāfiʿīya,** VII, 171 — 73; Ṣarīfīnī, **Muntakhab min siyāq tārīkh Nīsābūr, The Histories of Nishapur,** ed. Frye (the third text in Arabic order), fols. 145a - b. On the location of the **Siyāq** see **ibid.** (the second text in order) hereafter referred to as ʿAbd al-Ghāfir, **Siyāq.** For Ṣarīfīnī, reference to his work will be made as Ṣarīfīnī, **Muntakhab.**

7. Ṣarīfīnī, **Muntakhab,** fol. 31b.

8. **Ibid.,** fol. 31b.

much of the original has been preserved. Nevertheles, 'Abd al-Ghāfir, Abū Saʿīd al-Samʿānī and Tāj al-Dīn al-Subkī knew Ḥākim's original text and the works of these three Shāfiʿī-Ashʿarīs can often be used as a substitue for the original source. This is also true of the unnoticed Jamāl al-Dīn Ibn al-Qifṭī (d. 646/1248-49) in his notice on Abū al-ʿAbbās al-Karjī (d. 343/954) a director of a local madrasa, at which Ḥākim studied adab[3] Ḥākim's status as Shāfiʿī historian and master of **hadīth** was recognized by his Shāfiʿī peers, as well as his symapthy for Shīʿism (i.e. 'Ali), which Subkī says did not affect Ḥākim's love for 'Ali's caliphal predecessors.[4] But Ḥākim's authority as a reporter of **hadīth** has been challenged by the Ḥanbalīs Anṣārī, Ibn Nāṣir, and their associate Ibn Ṭāhir, on the ground that he fabricated **hadīth** for the Shiʿī cause.[5] Still, this Ḥanbalī dispute with the Shāfiʿīs on Ḥākim's preference for 'Ali has no relationship to his data on Niẓām al-Mulk'spolicies, and accounts traceable to him can be useful for studying the nature of local **madrasas** in fourth/tenth century Nishapur.

ʿAbd al- Ghāfir[6] followed the pattern of Ḥākim in compos-

---

3. Anbāh al-ruwāt ʿalā anbāh al-nuḥāt, ed. Abū al-Faḍl Ibrāhīm (3 vols., Cairo: Matbaʿat Dār al-Kutub al-Misrīya, 1369 — 74/1950 - 55), III, 185.

4. Ṭabaqāt al-Shāfiʿīya, ed. al-Ḥulū (7 vols, Cairo : ʿIsā al-Bābī, 1383 - 88/1964 - 68) IV, 155, 161 - 171; also **Tabaqāt al-Asnawī**, I, 406.

5. Ibn al Jawzī, Muntaẓam (6 vols. Hyderabad: al-ʿUthmānīya 1357 — 59/1938 — 40) VIII, 274 - 75, VIII, 269; also reference to Subkī in n. 4 above.

6. Majd al-Dīn Abū al-Ḥasan 'Abd al-Ghāfir b. Ismāʿīl al-Fārisī (451 — 529/1059 — 60 — 1134 — 35), a grandson of the famous Ṣūfī Ashʿarī Abū al-Qāsim al-Qushayrī

They are primarily responsible for **Niẓām al-Mulk's great fame,** although they had in his ethics and religious policies ample justification for praising him.

Moreover, any attempt to study the Niẓāmīya network requires an understanding of the regional conditions, both religious and political, where a Niẓāmīya **madrasa** was founded. The universal chroniclers were not always well-informed about events and conditions of certain regions. Here lies the importance of local works, both histories and biograhical dictionraies, for the study of a region of which the author was often an inhabitant. In this respect, the value of the histories of Nishapur is prominent, because it was here that Niẓām al-Mulk originated his policies toward the madhhabs and then applied them to other Saljuq domains. Two local histories of Nishapur written in Arabic by natives of the region are extants: al-Ḥākim Ibn al-Bayy''s Tārīkh Nīsābūr, the earliest, and 'Abd al-Ghafir's al-Siyāq li tārīkh Nīsābūr. Of the Siyāq there is an abridged edition made by Ibrāhīm al-Ṣarīfīnī entitled al-Muntakhab min kitāb al-siyāq li tārīkh Nīsābūr. As a Shāfi'ī traditionist and historian, Ḥākim (d. 405/1014), covered in six ṭabaqāt the local 'ulamā' of Nishapur, beginning with the companions of Muḥammad down to 380/990-91, which he arranged in alphabetical order. The orginal text of the Tārīkh Nīsābūr has not survied. Only a late Persian edition by al-Khalīfa al-Nīsābūrī of a lost Arabic version of the original has come down to us.[2] But this edition in the main is insignificant for our purposes because not

---

1. The available manuscripts of these three sources have been produced in facsimile by R. Frye, **The Histories of Nishapur** (Cambridge, Mass., Harvard University Press, 1965).

2. Frye (ed.), **The Histories of Nishapur,** fols. 1b - 74b (the first text in Arabic order).

Local Histories and Local Biographical Dicitionaries : Source Analysis for the Study of Nizam al-Mulk

Dr Murtada al-Naqib
History Dept,
College of Arts
University of Baghdad

Nizam al-Mulk's rise to power as vizier under Sultans Alp-Arslan and Malik-Shah was a turning point in the history of the Great - Saljuq Sultanate, for Nizam al-Mulk had been the prime mover behind Saljuq institutions of government. This gifted vizier was a rare example of statesmanship in the history of the 'Abbasi-Saljuq Vizierate. Of his overall measures, the madrasa has attracted the attention of orientalists and Muslim scholars for quite some time. Attention has been focused on the Nizamiya network, founded by Nizam al-Mulk in particular the Baghdad Nizamiya almost to the exclusion of the other madrasas. But until now, no one has studied the historiographical nature of Nizam al-Mulk's career, despite its implication for his overall policy, including the disputed nature and characterization of the Nizamiya Network, to which we shall devote a future study. Accordingly, this task must be done because the majority of historiams who covered aspects of Nizam al-Muk's career belonged to the Shafi'i-Ash'aris, his own followers.

All non-Englsh words used in the article carry diacritical marks but do not appear in the text because of printed difficulties.

Local Histories and Local Biographical Dicitionaries : Source Analysis for the Studyof Niẓām al-Mulk

Dr Murtaḍa al-Naqīb
History Dept,
College of Arts
University of Baghdad

CONTENTS

THE ARAB HISTORIAN

A BULLETIN OF HISTORICAL RESEARCH

VOLUME 25

1984

Mustafa A. Al-Najjar
Editor - in - Chief

Issued By
THE UNION OF ARAB HISTORIANS
BAGHDAD - IRAQ